المملكة العربيّة السعوديّة

وزارة التعليم

جامعة أمّ القرى

كليّة اللغة العربيّة

حروفُ المعاني في رسائلِ الجاحظِ

دراسةٌ في التّركيبِ والدّلالةِ

رسالةٌ مقدمةٌ لنيلِ درجةِ الماجستيرِ في اللّغةِ العربيّةِ وآدابِها

تخصصُ: النحو والصرف

إعدادُ الطالبةِ:

هدى عاتق عيد العمري

الرقم الجامعي:

٤٣٥٨٠٢٩٢

إشراف:

أ.د. عبدالحميد النوريّ عبدالواحد

أستاذ دكتور اللغة والنحو والصرف

العام الدراسيّ:

١٤٤٠- ١٤٤١هـ

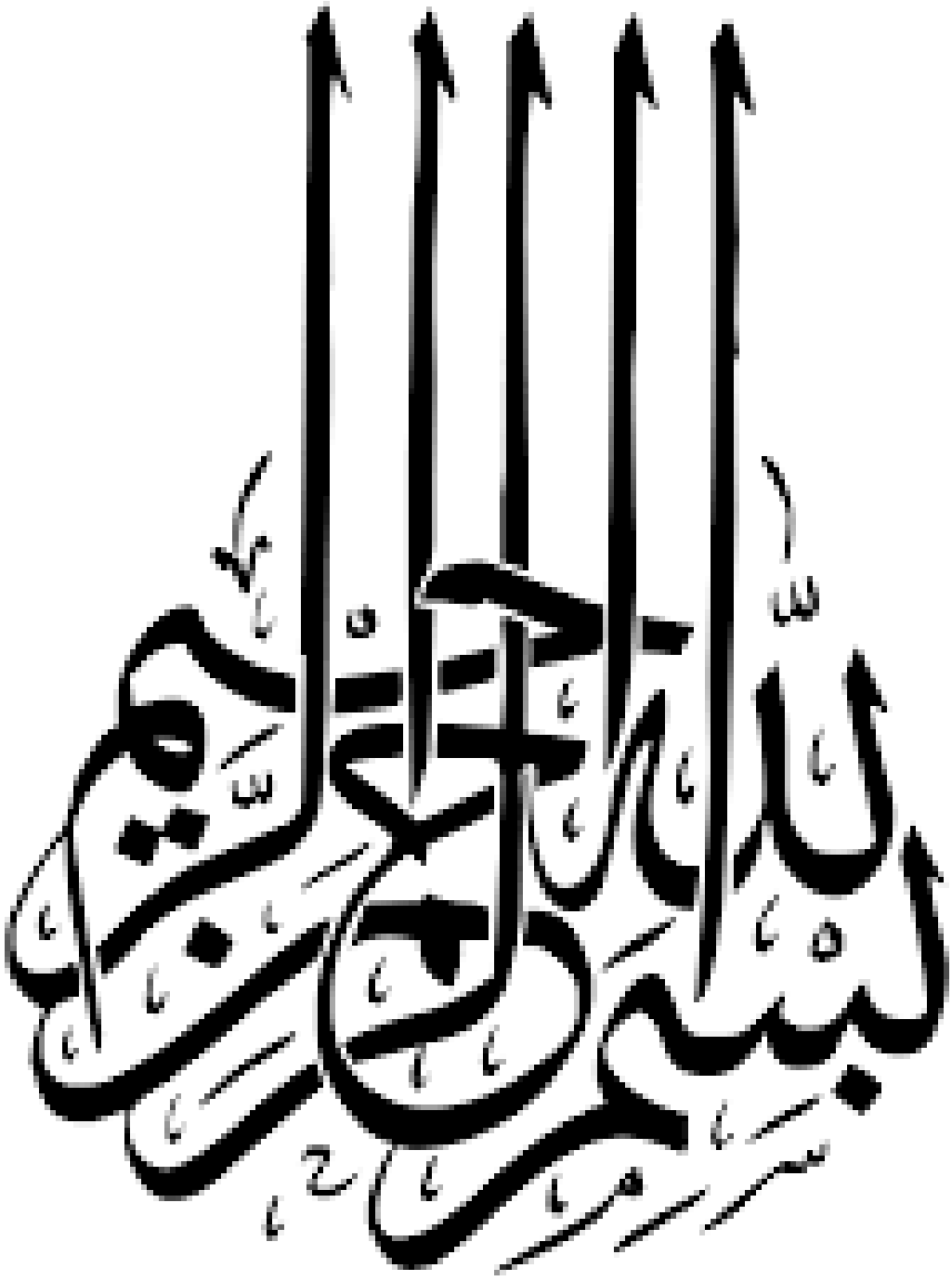
بسم الله الرحمن الرحيم

المستخلص

جاء هذا البحث بعنوان **حروف المعاني في رسائل الجاحظ دراسة في التركيب والدّلالة** وهو دراسة تطبيقيّة على **رسائل الجاحظ**؛ لبحث مسائل حروف المعاني التركيبيّة والدلاليّة في أحد النصوص النثريّة الرصينة، وقد حرص البحث على الانكباب على التطبيق وعرض أقوال النُّحاة على ما هو موجود في **رسائل الجاحظ**.

وقد قسّم البحث إلى تمهيد يدور حول حروف المعاني من حيث تعريفها وعلاماتها ووظائفها وخصائصها وأقسامها بالإضافة إلى نبذة عن الجاحظ ورسائله، وثلاثة فصول تقفوها خاتمة أبتت فيها أهمّ النتائج والتوصيات. وقد اقتضت طبيعة البحث التزام المنهج الوصفيّ، وذلك بتحديد **رسائل الجاحظ** والتي قد بلغت ستًا وأربعين رسالةً، في أربعة أجزاء بتحقيق: الشيخ عبدالسلام هارون، ثمّ حصر حروف المعاني كلّها في تلك الرسائل، وتتبع دلالاتها، وتراكيبها، وأحكامها، واستعمالاتها، وتنوع معانيها، وأثر السياق فيها؛ وقد فضّل البحث ترتيب الحروف في كلّ وصف وفق ترتيب ابن مالك في الألفيّة في المباحث التي لها أبواب في الألفيّة، أمّا مباحث الحروف المتفرّقة فقد رتبت فيها الحروف ترتيبًا هجائيًا، وقد ألحق كلّ حرف بنتائج خاصّة، ثمّ كلّ مبحث بنتائجٍ عامّة يعرض فيها ما ورد من الحروف وما لم يرد، وما كثر وما قلّ وطبيعة استعمالها؛ ممَّا يعطي تصورًا واضحًا لطبيعة استعمال هذه الحروف في **رسائل الجاحظ**.

ومن نتائج هذا البحث أنّ حروف المعاني ودلالاتها واستعمالاتها عند الجاحظ قد وردت متوافقةً مع ما ذكر في كتب النحو إلى حدٍّ بعيد؛ ممَّا يدعو إلى الاستفادة منها بتعزيز الأمثلة النحوية والابتعاد عن الأمثلة المصنوعة التي تفقد الروح والمعنى، ومنها أيضًا أنّ أكثر حروف المعاني ورودًا، هي: الحروف المختصَّة بالأسماء وخاصّة منها **أل** التعريف، ثمّ الحروف المشتركة وخاصّة **واو** العطف، ثمّ الحروف المختصَّة بالأفعال وخاصّة **لم**، وأقلّ الحروف ورودًا حروف الاستفهام والنداء؛ ولعلَّ هذا لتطلبها مباشرة المخاطب والمتكلم.

ويوصي هذا البحث باستثمار النصوص النثريّة الأخرى في تعزيز الأمثلة النحوية من خلال دراستها من النواحي التركيبيّة والدلاليّة.

Abstract.

This research was titled,
The prepositions of meaning in Rasayil Al-Jahiz - a study in Semantics and Syntax

It is an applied study on the letters of **Rasayil Al-Jahiz**, to discuss matters of the letters of meaning from syntax and semantic view, in one of the sober prose texts, the study was concentrating on the application, and looking into the sayings of grammarians on what is in **Rasayil Al-Jahiz**.

The research has been divided into a preface, three chapters, and followed by a conclusion with a detailed evidence appendix. The nature of the research required adherence to the descriptive approach, by identifying Rasayil Al-Jahizi, which reached forty-six messages divided into four parts, investigated by Al-Sheikh Abdul Salam Haroun, and then confine the letters meanings in all those messages, and following its meaning, structure, provisions, uses, repetition, the diversity of meanings, and the impact of context.

Preferably, the research arranged the letters in each description according to “Alfiat Ibn Malik” in the subjects that have sections in Al'alfiat. As for the subjects of different letters, the letters are arranged alphabetically, each letter is attached with specific results, Then, each subject is attached with general results, showing which letters are mentioned and which are not, and which is more or less; This gives a clear perception of the nature of the use of these letters in the **Rasayil Al-Jahiz**.

One result of this research is that the letters of the meaning their indications, and their uses in **Rasayil Al-Jahiz**, have been consistent with what is mentioned in the books of grammar to a large extent. Which Urging to benefit from, by reinforcing grammatical examples, and avoiding fake examples, which lose spirit and meaning. Another result is that the most common letters of meanings, the letters concerned with names, especially (**The - AL**) definition article, then the common letter and especially (**waw-Aleutfu**) conjunctions, Then the letters assigned to verbs, especially (**was not - Lma**), And the least received letters, interrogative and vocative letters; Perhaps this is required by direct Addresser and Addressee.

This research recommends, by investing other prose texts in reinforcing grammatical examples, by studying them from syntactic and semantic aspects.

المقدمة

الحمد لله ربّ العالمين، والصّلاة والسّلام على خير خلق الله نبيّنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، أمّا بعد:

فقد ورثنا من نحاتنا العرب إرثًا نحويًّا ضخمًا تعاقبوا على بنائه قرونًا عديدةً حلّلوا فيها الكلام العربيّ إلى أجزائه الصغيرة، فجعلوا أقسام الكلام على حدّ عبارة ابن مالك في الألفيّة[1]:

كلامنا لفظ مفيد كاستقم اسم وفعل ثمّ حرف الكلم

ولا يخفى أنَّهم تناولوا أقسام الكلمة بالدرس والتحليل في أبوابٍ عريضةٍ للاسم وما يتعلّق به من القضايا النحويّة، وكان الأمر كذلك بالنسبة إلى الفعل، وكذلك الحرف على الرّغم من كونه أصغر وحدة في التّركيب؛ فاهتموا به ولم يتركوه هملًا، فخصّصت له بعض الأبواب النحويّة بل المؤلفات. وفي هذا المضمار يقول المراديّ "فإنّه لما كانت مقاصد كلام العرب، على اختلاف صنوفه، مبنيّاً أكثرها على معاني حروفه صرفت الهمم إلى تحصيلها، ومعرفة جملتها و تفصيلها. وهي مع قلّتها، وتيّسر الوقوف على جملتها، قد كثر دورها، وبعد غورها، فعزّت على الأذهان معانيها، وأبت الإذعان إلّا لمن يعانيها"[2] وتعتبر حروف المعاني حسب المالقيّ "أكثر دورًا، ومعاني معظمها أشدّ غورًا، وتركيب أكثر الكلام عليها ورجوعه في فوائده إليها"[3]، وبالنظر إلى هذه الوظائف النحويّة والدلاليّة المركزيّتين لحروف المعاني فإنّ "معرفة ذلك –أي حروف المعاني– من المهمّات المطلوبة ؛لاختلاف مواقعها ولهذا يختلف الكلام والاستنباط بحسبها"[4]؛ فلا غرو في أنّ هناك العديد من المصنّفات التي اختصّت بدراسة حروف المعاني دون غيرها، منها على سبيل الذكر **حروف المعاني** للزجاجيّ، و**معاني الحروف** للرمانيّ، **والأزهيّة في علم الحروف** للهرويّ، و**شرح معاني الحروف** للمجاشعيّ، و**رصف المباني في شرح حروف المعاني** للمالقيّ، و**الجنى الداني على حروف المعاني** للمراديّ.

وبهذا يتضح مدى أهميّة حروف المعاني في الكلام ومركزيّتها في الكلام العربي، وما تؤديه من وظائف نحويّة ودلاليّة، وما يتعلق بفهم المعاني؛ وهي لهذا ذات مسائل دقيقة تستحق الاستقصاء والدراسة، والمتتبّع للأبحاث النحوية في هذا المجال يجدها قليلةً جدًا في دراسة النتاج النثري مقارنة بنظيره من النتاج الشعري.

(١) ألفيَّة ابن مالك، ابن مالك (١)

(٢) الجنى الداني، المراديُّ (١٩)

(٣) رصف المباني، المالقيُّ (٢٤)

(٤) معترك الأقران في إعجاز القرآن، السيوطيُّ (٥١٦)

وفي ضوء هذه المعطيات رأى البحث أن يوجّه نظره إلى النتاج النثريّ الأدبيّ، ويدرس فيه حروف المعاني وقد اختار **رسائل الجاحظ**؛ لرصانة عبارتها وإشراقها ميدانًا للتطبيق؛ ليكون عنوان البحث "**حروف المعاني في رسائل الجاحظ** دراسة في التركيب والدلالة".

وتنبثق أهميّة هذه البحث من كونه يسلّط الضوء في الدراسة النحويّة على النتاج النثريّ الأدبيّ لأديب عربيّ مشهود له بالفصاحة والبلاغة وعمق الفكر وجزالة الأسلوب والثراء اللغويّ ألَا وهو الجاحظ، والذي قد تلقّى اللغة العربيّة على أيدي علماء جهابذة كأبي زيد الأنصاريّ، وأبي عبيدة معمر بن المثنى، وخلف الأحمر، وأبي عمرو الشيبانيّ، وغيرهم. وقد اتضح أثر هذه اللغة فيما ألّف الجاحظ، ولا سيّما في الرسائل التي سوف نهتمّ بها؛ فكان انطلاقًا من هذا ومن غرض إثراء المكتبة العربيّة إيثار البحث لدراسة أثر أدبيّ لهذا الأديب الأريب عبر رحلة شاقّة عسيرة؛ إذ لم يسبق هذا البحث من وقف على نصوص الجاحظ لدراستها دراسة نحويّة مفصّلة.

وتنبثق أهميّة دراسة حروف المعاني في **رسائل الجاحظ** على وجه الخصوص وذلك من خلال كثرتها في رسائله؛ إذ لا تخلو جُمَله طالت أو قصرت من حرف إلى حرفين من حروف المعاني بنوعيها العاملة وغير العاملة، وهذه الكثرة بحاجة إلى دراسة تستقصي دلالاتها و استعمالاتها. وفي مقابل كثرتها فإنّ استعمالها في التراكيب يعد استعمالًا دقيقًا، ولوظائف مهمة، ولمعانٍ مختارة بعناية. ومن الخصائص التركيبيّة لحروف المعاني في **رسائل الجاحظ** ما يتعلق بالزيادة، والتضمين أو إقامة بعض الحروف مقام أُخر، وانزياحها ولو قليلًا عمّا قرَّره النُّحاة.

إضافة إلى كون هذه الدراسة دراسة نحويّة تطبيقيّة تخرج من نطاق التنظير لتطبق على إنتاج أدبيّ، وعلى ما تفيض به اللغة العربيّة، علّنا نثري الدرس النحوي وما جاء به النُّحاة فيما يتعلّق بالقواعد والأحكام النحويّة.

وتكمن مشكلة البحث في دراسة حروف المعاني في **رسائل الجاحظ** في التّركيب والدّلالة، وذلك عن طريق تتّبعها في مواضع ورودها في نصوص الرسائل، وما يتعلّق بها من قضايا نحويّة ودلاليّة، وتنطلق رحلة البحث؛ لتجيب عن السؤال الرئيس:

ما هي حروف المعاني الواردة في **رسائل الجاحظ** وخصائصها التركيبيّة بالنظر إلى موقعها، وما يتقدّمها أو يلحقها؟

وتنبثق من هذا السؤال أسئلة فرعيّة، منها:

- ما عدد حروف المعاني الواردة في **رسائل الجاحظ**، وما أكثرها ورودًا؟
- ما المعاني المتعلّقة بهذه الحروف في النصّ، وهل تماثل المعاني الواردة عند النُّحاة؟
- ما المعاني الجديدة لحروف المعاني في **رسائل الجاحظ** إن كانت لها معانٍ غير التي أوردها النُّحاة؟
- ما الخصائص التركيبيّة والوظائف النحويّة لهذه الحروف في **رسائل الجاحظ؟**
- هل للرسائل باعتبارها فنًا أدبيّا نثريًا أثر في استعمال حروف المعاني في **رسائل الجاحظ؟**
- وهل للسياق اللغويّ وغير اللغويّ أثر في استعمال هذه الحروف، وذلك من خلال التراكيب الشائعة في أكثر الرسائل، والتي لم يسبق استخدامها فيها؟

ويهدف البحث لما يأتي:

- الاطّلاع على مجمل حروف المعاني بعد جمعها وحصرها، كما جاءت في الرسائل، وتبيّن معانيها والكشف عمّا ورد منها، وما لم يرد، وأيّ الحروف الأكثر ورودًا والأقل ورودًا.
- الكشف عن الخصائص التركيبيّة والوظائف النحويّة في التراكيب لحروف المعاني كالعمل، والتضمين، والتعليق، والزيادة.
- الكشف عن مدى تماثل استعمال الجاحظ لحروف المعاني سواء في المعاني أو الوظائف النحويّة مع ما ورد عن العرب.
- الكشف عن دور حروف المعاني في بناء **رسائل الجاحظ** من خلال تتبّع استخدامه لها في سياقاتها المختلفة.
- تنمية الاطّلاع على التراث النحويّ فيما يتعلق بحروف المعاني ومسائلها النحويّة، وتتبّع ورودها في سياق نتاج أدبيّ نثريّ له قيمته، ممَّا يسهم في تكوين الملكة اللغويّة.

والدراسات السابقة في هذا الموضوع ما يأتي:

بعد البحث في كشّافات الجامعات وبوّابة الأفق – مكتبة الملك فهد الوطنية – والفهرس الموحّد – مكتبة الملك عبدالعزيز العامة – ومراسلة مركز الملك فيصل والمواقع الالكترونيّة المختلفة، فقد تبيّن لي أنَّ الدراسات النحويّة التي تناولت **رسائل الجاحظ** دراستان، وهما:

-دراسة بعنوان **حروف الجرّ في رسائل الجاحظ، دراسة في التركيب والدلالة**، بحث ماجستير، جامعة الملك سعود، كليّة الآداب، قسم اللغة العربية، ١٤٣٤هـ.

ومن خلال عنوان الرسالة يتبيّن أنَّها مقتصرة على حروف الجرّ فقط، ولا شكّ أنَّ حروف الجرّ هي جزء من حروف المعاني، وليست كلّها، ولا أرى أنَّ دراستها تمنع من هذه الدراسة؛ لأنَّ حروف المعاني أوسع وأشمل من حروف الجرّ.

-دراسة بعنوان **الجملة الخبريّة في نثر الجاحظ** أطروحة دكتوراه، جامعة القاهرة، كلية الآداب، قسم اللغة العربية.

وهذه الدراسة تتعلّق بدراسة الجملة الخبريّة البسيطة والموسّعة، وقد قسّمها المؤلف إلى ثلاثة أبواب: الباب الأوَّل درس فيه الجملة الاسميّة البسيطة والجملة الفعليّة البسيطة، وأنماط الجملة الفعليّة المحولة، ودلالة النسبة في الجملة الخبريّة. والباب الثاني درس فيه الجملة الخبريّة الموسّعة، ودرس فيه الجملة المؤكّدة، والتعبير عن النفي، ودرس التبعيّة أيضًا كالنعت والبدل، كما درس التعليل، والوسائل النحويّة للتخصيص الدلاليّ في الجملة الخبريّة. والباب الثالث درس فيه الجملة الخبريّة بين الجاحظ وآراء النُّحاة، والجملة الخبريّة واتجاهات التغيير فيها متبعًا إيّاها بجداول إحصائيّة للجملة الخبريّة.

ويتبين من هذا العرض أنَّ الدراسة المقترحة تختلف عن هذه الدراسة في نقطتين، هما:

- أنَّ هذه الدراسة شملت نثر الجاحظ كلّه حيث الرسائل وغيرها، نحو: البخلاء، على حين أنَّ هذه الدراسة تقتصر على دراسة **رسائل الجاحظ**.
- أنَّ هذه الدراسة تدرس الجملة والجملة الخبريّة على وجه الخصوص، على حين أنَّ هذه الرسالة تختصّ بدراسة حروف المعاني.

وقد آثر البحث سعيًا لتحقيق أهدافه أن ينتهج المنهج الوصفيّ التحليليّ، وسيرتكز فيه العمل على جمع وحصر حروف المعاني الرائجة في **رسائل الجاحظ**، ثمّ تصنيفها وفق تقسيم ابن مالك لحروف مختصَّة بالأسماء، وحروف مختصَّة بالأفعال، وحروف مشتركة بين الأسماء والأفعال، وفي مسألة ترتيب الحروف داخل المباحث فقد رتّبت في المباحث التي تنطوي على أبواب نحويّة في ألفيّة ابن مالك وفق ترتيبه؛ فكان هذا في كلّ من المباحث الآتية: الحروف الناسخة، وحروف الجرّ، وحروف النصب، وحروف الجزم والشّرط، وحروف العطف، أمّا في المباحث المتفرِّقة فقد اعتمد البحث في ترتيبها وفق حروف الهجاء؛ وفي دراسة كلّ حرف يتعرّض

البحث لكيفيّة وروده عند الجاحظ مستعينًا بالمنهج الإحصائيّ، ومسترشدًا بما ورد عند المراديّ في **الجنى الداني**، وابن هشام في **مغني اللبيب**؛ باعتبارهما متخصصان في حروف المعاني، مع الاستشهاد على كلّ ما يذكر بنَّ من الرسائل يليه رقم الجزء والصفحة، وهذا في المتن؛ لئلا يستغرق التوثيق في الهامش صفحات كثيرة، ثمّ يليه عرض النتائج الخاصّة بالحرف، ويتوخّى البحث فيها قراءة الدراسة الإحصائيّة السالفة؛ ليعطيها معنى نحويًّا، وهكذا في كلّ الحروف، ثمّ يليه عرض النتائج العامّة للحروف المنطوية تحت المبحث الواحد؛ لبيان أكثرها ورودًا وأقلّها مع الإشارة لما لم يرد منها، ليخرج بتصورٍ شاملٍ عن الحروف ومدى اتساق دلالاتها وتراكيبها واستعمالاتها مع ما ذكر عند النُّحاة.

ورأى البحث لتحقيق أهدافه أن يوضع في ثلاثة فصول تسبقها مقدمة وتمهيد، وتقفوها خاتمة، على النحو الآتي:

التمهيد: وفيه حديث مختصر عن حروف المعاني ووظائفها النحويّة والدّلاليّة التي تقوم بها في التّركيب، وحديث آخر عن **رسائل الجاحظ**، أغراضها وأنواعها ومناسباتها.

الفصل الأوَّل: وفيه حديث عن حروف المعاني المختصَّة بالأسماء في **رسائل الجاحظ**، وهي: الحروف الناسخة، و حروف الجرّ، و حروف متفرِّقة، نحو: **إذا الفجائية، وأل التعريف، وما العاملة عمل ليس**، وغيرها.

الفصل الثاني: وفيه حديث عن حروف المعاني المختصَّة بالأفعال في **رسائل الجاحظ**، وهي: حروف النصب، وحروف الجزم والشرط، وحروف متفرِّقة، نحو: **أَلَا، أنْ المصدرية، قد، السين**.

الفصل الثالث: وفيه حديث عن حروف المعاني المشتركة بين الأسماء والأفعال في **رسائل الجاحظ**، وهي: حروف العطف، وحروف الاستفهام، وحروف متفرِّقة، نحو: **أنْ الزائدة، إنْ النافية، واو الاستئناف**. ثمّ الخاتمة والاستخلاصات، تتلوها الفهارس الفنيَّة التي تتطلَّبها طبيعة البحث.

وبعد فإنّ هذا جهد مقلّ بذلت فيه ما مكنني الله من جهد ووقت محاولةً الإصابة في التعامل مع نص لم يسبقني أحد يعينني على قراءة حروف المعاني فيه مكتملة قراءة نحويّة؛ فما كان فيه من خلل وتقصير فإنه عمل فرديّ وبشريّته منبع نقصه، وإن كان من إصابة فهذا ما سعينا إليه ووقفنا له. ولا يسعني في هذا المقام إلَّا أن أتقدم بكلّ الشكر والعرفان لوالديّ الكريمين اللذين قد حفّتني دعواتهما آناء الليل وأطراف النهار، كما أشكر أستاذي الكريم **الأستاذ الدكتور**: عبدالحميد **النوريّ عبدالواحد** الذي ما توانى ولا ادّخر جهدًا في تقويم البحث وتعديل مساره وإنارة الطريق أمامي، والشكر موصولٌ إلى المناقشين الكريمين على ما

قدّماه للبحث من الوقت والجهد لتقويمه. وأسأل الله حسن القصد، وتمام العمل، والثبات على طلب العلم والعمل به، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

التمهيد:

تعريف الحرف:

في اللغة:

يطلق الحرف في اللغة على طرف كلّ شيء وحدَّه وشفيره وناحيته، قال الأزهريّ: "حرف كلّ شيءٍ ناحيته كحرف الجبل والنهر والسيف وغيره"(١)، "والحرف: الناقة الصلبة تشبّه بحرف الجبل... والإنسان يكون على حرفٍ من أمره كأنَّه ينتظر ويتوقع فإن رأى من ناحية ما يحب؟ وإلَّا مال إلى غيرها"(٢)، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ﴾ [سورة الحج:١١]. قيل على حرفٍ، أي: على شكٍ؛ وحقيقته أنَّه على ضعفٍ في عبادته كضعف القائم على حرف مضطربٍ فيه، وقيل على شرط، وقيل على طرفٍ من الدين لا في وسطه وقلبه، ويقال تمسّك بالحرف الفلانيّ في المسألة يُقصد به نكتةٌ يرتضيها(٣). ويقال "انحرفت عن الشيء انحرافًا إذا ملت عنه، والحرفة المكسب أو الطعمة حرفة فلان من كذا وكذا أي مكسبه منه"(٤).

وقد جمع ابن فارس هذه المعاني المفصّلة لمادة (ح ر ف) وأعادها إلى ثلاثة أصول، هي: "حدّ الشيء، والعدول، وتقدير الشيء"(٥).

والحرف يطلق في اللغة ويراد به ما يأتي:

- حرف الهجاء وهي الحروف التي تتألّف منها مفردات اللغة.
- حروف المعاني وهي التي تقصدها هذه الدراسة وسيأتي تبيّن المقصود بها.
- كلّ كلمة تقرأ على وجوهٍ من القرآن؛ فيقال في القراءات حرف ابن مسعود، وحرف ابن كثير وهكذا(٦).

في الاصطلاح:

(١) تهذيب اللغة، الأزهريُّ (ح ر ف) (٥/ ١١)
(٢) العين، الخليل (ح ر ف) (٣/ ٢١١)
(٣) ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشريُّ (٣/ ١٤٦)
(٤) جمهرة اللغة، ابن دريد (ح ر ف) (١/ ٥١٧)
(٥) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس (ح ر ف) (٢/ ٤٢)
(٦) ينظر: لسان العرب، ابن منظور (ح ر ف) (٩/ ٤١)

يعدّ مصطلح حروف المعاني من المصطلحات التي قد درست في علومٍ عدَّة أبرزها النحو والأصول والمنطق، وللكشف عن المقصود به اصطلاحيًا سنقسم دارسيه إلى قسمين:

القسم الأوَّل: النُّحاة والأصوليُّون: والمشهور عند هؤلاء أنَّ الحرف: هو "ما دلّ على معنىً في غيره"(١).

وهذا التعريف على الرغم من شهرته إلَّا أنَّهم قد اعترضوا عليه من عدَّة نواحٍ على النحو الآتي:

أ. من ناحية دلالة الحرف على معناه كما ذكر في التعريف فقد انقسموا حوله إلى طائفتين:

- الطائفة الأولى: وروَّادها يذهبون إلى أنَّ ما ذكر يقصد به أنَّ الحرف "يدل على معنى ثابت في لفظ غيره.. فالحرف وحده لامعنى له أصلًا؛ إذ هو كالعَلَم المنصوب بجنب شيءٍ، ليدلَّ على أنَّ في ذلك الشيء فائدةً ما، فإذا أفرد عن ذلك الشيء بقي غير دالٍّ على معنىً أصلًا"(٢).

والردُّ على القائلين بهذا الفهم بيّنٌ جدًا فلو كانت الحروف ليس لها معانٍ كما تقولون لما تعدَّدت الحروف في اللغة ولاكتفيَ بحرفٍ واحدٍ يتغيَّر معناها بحسب السياق الذي يستعمل فيه، ولكن تعدُّدها لم يكن إلَّا لتعدُّد معانيها ووظائفها، كما أنَّ القول بشرحهم يقتضي إخراج الحرف من الكلمة؛ إذ تعريف الكلمة "هو اللفظ الدالُّ على معنىً مفرد بالوضع"(٣)، وقولهم مفرد يعنون بها قبل إدخالها التركيب يكون لها معنىً معروف(٤).

ولعلَّ قول هذه الطائفة منبثقٌ من خلطهم بين مستويي اللغة والكلام وقد رد فندريس على من يذهب هذا المذهب قائلًا: "إنَّ الذين ينادون بهذا وهو أنَّ الكلمات ليس لها معنىً على الإطلاق خارج مكانها في النظم ينسون الفرق الأساسيَّ بين اللغة الكلام... وحينئذٍ أنَّ معاني الكلمات المخزون في أذهان المتكلمين والسامعين لا تحظى بالدِّقة والتحديد إلَّا حين تضمُّنها التراكيب الحقيقيَّة المنطوقة، ولكنْ هل هذا يعني أنَّ الكلمات ليس لها معنىً على الإطلاق؟ كيف تصنف المعاجم إذا لم يكن لهذه الكلمات معانٍ؟ إنَّنا لا ننكر

(١) الإيضاح في علل النحو، الزجاجيُّ (٥٤)

(٢) شرح الرضي على الكافية، الأستراباذيُّ (١/ ٢٢-٢٤)

(٣) المفصَّل في صنعة الإعراب، الزمخشريُّ (٦)

(٤) ينظر: الهمع، السيوطيُّ (١/ ٧-٨)، تقويم الفكر النحوي، أبو المكارم (٨١)

أنَّ كثيرًا من الكلمات يعتريها الغموض الشديد وغير محدَّدة تحديدًا دقيقًا، ولكنَّ هذه الكلمات مع ذلك لابدَّ أن يكون لها معنىً أو عدَّة معانٍ مركزيَّة ثابتة"[١].

- الطائفة الثانية: وروّادها يذهبون إلى أنَّ ما ذكر يقصد به أنَّ الحرف لا يستقل بالمفهوميّة، ومعنى ذلك أنَّ نحو: **من، على** مشروطٌ في وضعها لتدلّ على معناها الإفراديَّ ذكر متعلَّقها[٢]. فهذه الطائفة ترى أنَّ للحرف معنىً إفراديٌّ؛ فتشترط الضميمة لتكتمل دلالة الحرف على معناه الإفرادي. ويعترض عليهم أنَّ التعريف لا يدلُّ دلالة واضحة على هذا الفهم.

ب. من ناحية منعه ووضوحه: فقد ذهب الرازيُّ إلى أنَّه –تعريفهم للحرف– "لفظ مبهم؛ لأنَّهم إن أرادوا معنى الحرف أنَّ الحرف ما دلَّ على معنىً يكون المعنى حاصلًا في غيره وحاصلًا في غيره لزمهم أن تكون أسماء الأعراض والصفات كلّها حروفًا، وإن أرادوا به أنَّه الذي دلَّ على معنىً يكون مدلول ذلك اللفظ غير ذلك المعنى فهذا ظاهر الفساد، وإن أرادوا به معنى ثالثًا فلا بدَّ من بيانه"[٣] فقد اعترض على لفظه وأنَّه مبهم في دلالته.

والاختلاف في فهم هذا التعريف حتّى انقسم القائلون به إلى طائفتين لدليل واضح على إبهامه كما أنَّه ليس مانعًا فقد يدخل تحته غير الحرف.

وللخروج من هذا الإشكال فقد ظهرت تعريفات أخرى للحرف قديمًا وحديثًا أبرزها التعريفات الآتية:

- ما ذكره الجرجانيُّ من أنَّه "ما دلَّ على معنىً غير متصرِّف ولم يكن له إعراب بوجه، ولم يتضمَّن الزمان"[٤].
- ما ذكره رؤوف جمال من أنَّ الحرف "هو ما دلَّ على معنىً عامٍّ في نفسه، ولن يتَّضح إلَّا مع غيره من الأسماء أو الأفعال غالبًا"[٥].

---

(١) اللغة، فندريس (٥٥/٥٦)

(٢) الإيضاح في شرح المفصَّل، ابن الحاجب (١/ ٦٠)

(٣) مفاتيح الغيب، الرازيُّ (١/ ٥٠)

(٤) المقتصد، الجرجانيُّ (١/ ٨٥)

(٥) المعجب في علم النحو، رؤوف جمال الدين (٥٠)

- ما ذكره د. عبدالعزيز الروميُّ من أنَّه "كلمة لا محلَّ لها من الإعراب تدلّ على معنى عام في الإفراد يختصُّ بالتركيب"(١).

ويلاحظ على هذه التعريفات حرصها على تدارك ما فات التعريف المشهور عن طريق بيان استقلاليَّته بدلالة خاصّة بجانب الإشارة إلى أثر السياق في هذه الدِّلالة، وضرورة الضميمة في بيان دلالته.

القسم الثاني: المناطقة: قبل ذكر تعرفهم للحرف تنبغي الإشارة إلى أنَّ الحرف عندهم يطلق عليه الأداة، ومن أبرز تعريفاتهم له ما يأتي:

- أنَّه "لفظ يدلُّ على معنىً مفردٍ لا يمكن أن يفهم بنفسه وحده دون أن يقرَن باسمٍ أو كلمةٍ، مثل: **من، وعن،** وما أشبه ذلك"(٢).
- أنَّه "لفظة مفردة إنَّما تدلّ على أمر لمعنىً يصحُّ أن يوضع أو يحمل بعد أن يقرَن باسم أو كلمة"(٣).

فنجد أنَّ كلا التعريفين يتَّفقان على أنَّ الحرف دالٌ على معنىً في نفسه، ولكن اشترطا الضميمة ليكتمل معناه.

وهكذا نجد أنَّ كلَّ من تعرَّض إلى تعريف الحرف قد تنبَّه إلى أهميَّة الضميمة ممَّا يشير إلى أثر السياق في وضوح معنى الحرف وإخراجه من العموم إلى خصوصيَّة السياق الذي يرد فيه.

وقد سمِّي الحرف حرفًا؛ لأنَّه يقع في الغالب طرفًا من الكلام في أوله وآخره، ولانحرافه عن مذهب الاسم والفعل في أكثر عوارضهما كالإعراب والإسناد والتصرُّف، كما أنَّه حدٌّ بين القسمين –الاسم والفعل– ورباط لهما فهو الوُصلة بينهما(٤).

علامات حروف المعاني:

وضع النُّحاة لكلِّ قسمٍ من أقسام الكلمة علامات يعرف بها، ولقد جعلوا علامة الحرف أن تنعدم خاصيّة الاسم والفعل فيه فعلامته علامة عدميّة، فإذا كان الاسم والفعل يقعان في طرفي الإسناد فالحرف لا

(١) حروف المعاني العاملة في سنن أبي داود معانيها وأحكامها واستعمالاتها، الروميُّ (١٤)
(٢) كتاب في المنطق، الفارابيُّ، العبارة٧
(٣) النجاة، ابن سينا (١٧)
(٤) ينظر: الإيضاح في علل النحو، الزجاجيُّ (٣٨)

يجوز أن يخبر به ولا عنه أي أنَّ الحرف لا يأتلف منه مع مثيله كلام ذو فائدة، ولا يأتلف منه مع الفعل كلام، كما أنَّه لا يُصغّر ولا يقع فيه التغيير؛ لأنَّه أداة والأداة تغيّر ولا تتغيّر، ولا ينسب.. إلى غير ذلك من علامات الاسم والفعل(١).

ويستخلص ممَّا سبق أنَّ علامة الحرف تتميَّز بأمرين: أولهما: أنَّها عدميَّة، ثانيهما: أنَّ علامات الاسم والفعل التي يعدُّ انعدامها في الحرف علامة له أكثرها حروف، وبهذا يعدُّ انعدام الحرف علامة للحرف نفسه ولقد تنبه لهذين الأمرين الخضريُّ فقال: "علامة الحرف عدم القبول، لا يرد عليه أنَّ العدم لا يصلح علامةً للوجوديِّ كما صرَّحوا؛ لأنَّه في العدم المطلق، وهذا مقيَّد وكون بعض العلامات المجعول عدمها علامة له حروفًا لا يوجب الدور لأنَّ جعلها علامات ليس بعنوان حرفيّتها، بل بعنوان كونها ألفاظًا معينةً، وهذا التعريف لما سميّ كلمة بقرينة أنَّ الحرف من أقسامها فلا تدخل فيه الجملة، وإن كانت لا تقبل العلامات؛ لأنَّها لا تسمى كلمة في الاصطلاح"(٢).

وممَّا تنبغي الإشارة إليه في علامات الحرف أنَّ هناك علامات وطرائق للحرف أدرك العلماء اختصاص الحرف بها، وهي الأسباب التي جُعل بعضها سبب لبناء الأسماء، والتي قد قال فيها ابن مالك(٣):

كالشَّبه الوضعي في اسميّ ... جئتنا والمعنويّ في متى وفي هنا

وكنيابة عن الفعل بلا ... تأثُّر وكافتقارٍ أصِّلا

وممَّا يدل على اختصاص الحرف بالأسباب التي جعلها العلماء أسبابًا لبناء الأسماء اختصاصًا قويًا "أنَّ وجهًا واحد منها في شبه الاسم بالحرف يبعده عن الاسميّة، ويقربه ممَّا ليس بينه وبينه مناسبة إلَّا في الجنس الاسم وهي كونها كلمة"(٤)، ومن أبرز هذه العلامات:

أوَّلًا: وضع الحرف على حرف هجاء أو على حرفين.

ثانيًا: أنَّ لها معاني لا تليق بغيرها وهي معانٍ جزئيَّة غير مستقلَّة تفتقر إلى ما يتمِّم المعنى معها؛ لكونها لا تعقل إلَّا بين شيئين كالاستفهام، والشرط، والنفي، والسببيَّة.

---

(١) ينظر: الهمع، السيوطيُّ (١/٢٧)

(٢) حاشية الخضريُّ، الخضريُّ (١/٣٨)

(٣) ألفيَّة ابن مالك، ابن مالك (١٠)

(٤) حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك، الصبَّان (١/ ٧٦)

ثالثًا: جميع الحروف مبنيَّة لعدم وجود مقتضى الإعراب وهي المعاني النحويَّة، وهي: الفاعليَّة والمفعوليَّة والإضافة.

رابعًا: الافتقار للضميمة وإلى ما يتمِّم المعنى فقرًا لازمًا لا يمكن بسببه اكتمال المعنى المفرد الذي يدلُّ عليه الحرف(١).

وظائف حروف المعاني:

تنبه النُّحاة إلى وظائف حروف المعاني في التركيب والدِّلالة؛ فقد قال المهلبيُّ في أقسام ما جاءت له الحروف(٢):

تفطَّن فإنَّ الحرف يأتي لستَّةٍ لنقل وتخصيص وربط وتعديه
وقد زيد في بعض المواضع واغتدى جوابًا كُسيتَ العزَّ والأمن ترديه

كما ذكر ابن فلاح أنَّ "الحرف يدخل للربط، وللنقل، وللتأكيد، وللتنبيه، وللزيادة"(٣)، هذا إجمالها وتفصيلها وفق ما يأتي:

- الربط: ويعدُّ من أبرز وظائف الحروف التي يكاد يتَّفق عليها كثير من النُّحاة المتقدمين والمتأخِّرين؛ إذ الغرض من الحرف الربط حتَّى أنَّ المناطقة سموا الحروف والأدوات بالروابط والصلات والوسائط وهذه مصلحات تشير إلى وظيفة الربط. ومن المحدثين من يرى أنَّ وظيفة الحرف الربط فقط كتمام حسّان، والذي قد جعل المعنى الوظيفي العامَّ لها هو الربط والتعليق فتشترك عنده "الأدوات جميعًا في أنَّها لا تدلّ على معانٍ معجمية، ولكنها تدلّ على معنى وظيفي عام هو التعليق"(٤)، والربط إمَّا أن يكون بين المفردات فتربط اسمًا باسم، أو تربط فعلًا بفعل، أو فعلًا باسم كحروف الجرّ، وإمَّا أن يكون بين الجمل(٥).
- التقوية: وهي تقوية العوامل الضعيفة فنجد أنَّ "بعض الأفعال ضعفت عن تجاوز الفاعل إلى المفعول فاحتاجت إلى أشياء تستعين بها على تناولها والوصول إليها"(٦) كما أنَّ "**إنْ** تقوِّي الشرط لجزم

(١) ينظر: علل النحو، ابن الورَّاق (١٤٢)، اللباب في علل البناء والإعراب، العكبريُّ (١/ ٥١)
(٢) الأشباه والنظائر، السيوطيُّ (١/ ١٣)
(٣) الأشباه والنظائر، السيوطيُّ (١/ ٢٠)
(٤) اللغة العربية معناها ومبناها، تمَّام حسَّان (١٢٥)
(٥) دلائل الإعجاز، الجرجانيُّ (١/ ١٤- ١٥)
(٦) سر صناعة الإعراب، ابن جنيُّ (١/ ١٣٥)

الجواب.. وإلَّا تقوِّي الفعل لنصب ما بعدها على الاستثناء.. و **واو** المعيَّة تقوّي الفعل لنصب ما بعدها على أنَّه مفعول لأجله"[١] وقد جوَّز نفاذ عمل الفعل إلى ما بعد هذه الحروف أنَّ الفعل قد صار له معنى في اتصاله بما بعدها ولم تكن هذه الحروف هي العاملة بنفسها فهذه الحروف توجب معنىً ينعقد به الفعل[٢].

- الكفُّ والتهيئة: ويقصد بالكفِّ أن يمنع الحرف إنفاذ عمل ما قبله إلى ما بعده، والتهيئة أن يقوم الحرف بتهيئة ما قبله للدخول على ما لا يجوز دخوله عليه عادة ك **ما** الكافَّة تدخل على **إنَّ، أنَّ** تبطل عملهما فصار يليهما كلُّ كلام"[٣]، وكدخول **الفاء** في جواب الشرط إذ "أنَّ أصل الجواب أن يكون مستقبلًا؛ لأنَّه شيء مضمون فعله إذا فعل الشرط، أو وجد مجزومًا متلبسًا بما قبله من الشرط، ف **إنْ** هي التي تربط أحدهما بالآخر، ثمّ عرض في الكلام أن يجازى بالابتداء والخبر لنيابتهما عن الجواب، و**إنْ** لا تعمل فيهما، ولا يقعان موقع فعل مجزوم، فأتوا بحرف يقع بعده الابتداء والخبر"[٤] وهذه الوظيفة وظيفة تركيبيّة بحتة ففي الكفِّ منع العمل، وفي التهيئة إكساب مزيد من الحريَّة في التركيب بعدما كان ينبغي الالتزام بشرائط تركيبيّة معيّنة.
- النقل: وهو نقل الكلام من معنى إلى معنى كنقله من الإيجاب إلى النفي ومن الخبر إلى الاستخبار وإلى التمني والترجي والتشبيه[٥].
- منع الالتباس: إذ تكون بعض الحروف في التركيب منعًا لالتباس التركيب المقصود بغيره من التراكيب المشابهة له ومن ذلك "**إنْ** في قولك: إن كان لصالحًا، بمنزلة **اللَّام** في ليفعلنَّ في أنَّه تأكيد كما أنَّه تأكيد، و**اللَّام** في لصالحًا، بمنزلة النون في لأفعلنَّ، في أنَّ كلّ واحد منهما للتأكيد، وأنَّ كلّ واحد منهما فاصل بين شيئين لولاهما لالتبسا، **فاللَّام** في لصالحًا فصل بين الإيجاب والنفي، **والنون** في لأفعلنَّ فصل بين فعل الحال والاستقبال"[٦].

---

(١) المرتجل (٤٢) (المحقق)

(٢) شرح كتاب سيبويه للرمانيّ، الرمانيُّ (١/ ٦١٣)

(٣) شرح كتاب سيبويه، السيرافيُّ (٣/٣٤٩)

(٤) الأساليب الإنشائيَّة، عبدالسلام هارون (١٨٦)

(٥) شرح كتاب سيبويه للرمانيّ، الرمانيُّ (١/ ٣٨٣)

(٦) التعليقة على كتاب سيبويه، الفارسيُّ (٢/٢١٢)

- الاختصار الدلاليّ والتركيبيّ: فنجد أنَّ الحرف الواحد يؤدي معانيًا متعدِّدة فبعض الحروف تقع حروفًا وأسماءً نحو: **على، عن، الكاف، منذ، مذ،** كما أنَّ الحروف جاءت اختصارًا دلاليًا؛ إذ "حروف المعاني جُمَع جيء به نيابةً عن الجمل ومفيدةً معناها من الإيجاز والاختصار، فحروف العطف جيء بها عوضًا عن أَعطفُ، وحروف الاستفهام جيء بها عوضًا عن أَستفهمُ، وحروف النفي إنَّما جاءت عوضًا عن أَنفي، وحروف الاستثناء عوضًا عن أَستثني أو لا أَعني، وكذلك **أل** التعريف نابت عن أَعرفُ...وحروف الجرّ جاءت نائبة عن الأفعال التي بمعناها، فـ **الباء** نابت عن أُلصقُ، و**الكاف** نابت عن أُشبِّه، وكذلك سائر الحروف"(١).

وهذه الوظائف تبرز في الحروف الأصليّة ويصعب ظهورها في الحروف الزائدة وقد لمح الرضيُّ هذا الأمر؛ لذلك خصَّها بوظائفَ فقال "الحروف الزوائد في كلام العرب إمَّا معنويّة وإمّا لفظيّة فالمعنويّة تأكيد المعنى كما في **من** الاستغراقيَّة و**الباء** في خبر **ليس**... وأمّا الفائدة اللفظيّة فهي تزيين اللفظ وكونه بزيادتها أفصح، أو كون الكلمة أو الكلام بسببها مهيَّئًا لاستقامة وزن الشعر أو حسن السجع أو غير ذلك من الفوائد اللفظيّة، ولا يجوز خلوها من الفوائد اللفظيّة أو المعنويّة معًا، وإلَّا لعدَّت عبثًا، ولا يجوز ذلك في كلام الفصحاء"(٢) فالزيادة مصطلح لا يطلق ويقصد به المساواة بين وجود الحرف وعدمه، وأنَّ إمكانيَّة الاستغناء عند قائمة بل لفوائدَ وأغراضٍ تزيد من المعنى حيث التأكيد، وأخرى تزيّن اللفظ حيث يتطلَّبها بناء النصِّ كالحال في استقامة الوزن والقافية؛ وكلُّ هذا اتساق مع الأصل اللغويّ الذي يُقال فيه: الزيادة في المبنى تقتضي زيادة في المعنى.

خصائص حروف المعاني:

تختصّ حروف المعاني بما يأتي:

- أنَّ أكثر معاني الكلام عليها فإذا كانت معاني الكلام "خبر، واستخبار ، وأمر، ونهي، ودعاء، وطلب، وعرْض، وتحضيض، وتمنٍّ، وتعجب"(٣) فإنَّ هذه المعاني أكثرها تؤدى بالحروف حتّى الخبر

(١) شرح المفصل لابن يعيش، ابن يعيش (٨/ ٧)
(٢) الأشباه والنظائر، السيوطيُّ (٢/٢٤٩)
(٣) الصاحبي، ابن فارس (١/ ١٣٣)

الذي يتكوَّن من مسندٍ ومسندٍ إليه تدخل عليه حروف المعاني؛ لتؤكِّد معناه ولولا الحروف لما تعددت الأساليب ومعاني الكلام.

- تعدُّ الحروف شديدة الاتصال بما تدخل عليه فقد ذكر ابن السَّراج أنَّ من الأشياء التي لا يجوز تقديمها " ما عمل فيه الحرف أو اتَّصل به، وما شُبِّه من الحروف بالفعل فنصب ورفع فلا يقدم مرفوعها على منصوبها، والحروف التي لها صدر الكلام"(١)؛ لأنَّه "قد حدث بدخولها معنىً لم يكن قبل دخولها"(٢)، ولهذا لا يتقدَّم على الحرف ما اتَّصل به كما "أنَّ له اعتراض عمل على ما عمل فيه؛ لأنَّه من أجل ضعفه لا يتقدَّم عليه ما اتصل به"(٣).
- الحروف تتوزَّع في مجموعات فنجد حروف النفي، وحروف الشرط، وحروف الاستقبال وغيرها والرابط بين حروف كلّ مجموعة هو المعنى العامُّ الذي تدلّ عليه؛ فلو أخذنا حروف النفي مثالًا لوجدنا "أنَّ تعدُّد أدوات النفي ليس عبثًا، لأنَّه لو كانت هذه الأدوات جميعًا متساوية في كلّ شيء لكان تعدُّدها إذن عبثًا، ولكنَّها تتعدَّد ولكلٍّ منها معنىً يخصُّه ويتفرَّد به، ولا يغني غيره في غناه. وإذا اشتركت إحداها مع الأخرى في وجه خالفتها في وجه آخر من وجوه معناها واستعمالاتها"(٤) وهذا الأمر ينطبق على كافَّة الحروف؛ فلا يوجد حرفان يتطابقان في معنىً واستعمالٍ واحدٍ معًا.
- وعلاقة الحروف ببعضها داخل التركيب تحكمه شروط دلاليّة وتركيبيّة فنجد في الناحية الدلاليَّة أنَّ الحروف متناقضة المعاني يمنع تواليها ومن هذا "لا تجتمع السين، و**سوف** و **أنْ** الناصبة للفعل؛ لأنَّها للاستقبال"(٥)، ومنها أيضًا أنَّ "ما اختص بالإيجاب لا يدخل عليه ما ينقض دلالته على الإيجاب، فلم يدخل على **أنَّ** المشدَّدة رجوت"(٦)، ومنها أيضًا لا يتوالى حرفان لهما نفس المعنى "فلم تل **إنّ** المكسورة **أنَّ** المفتوحة ولم يجتمعا في موضع واحد؛ لأنَّهما جميعًا للتأكيد. كما لم يجتمع تأنيثان واستفهامان ونحو ذلك"(٧)، ونجد في الناحية التركيبيّة عند اجتماع حرفين أحدهما عامل و الآخر غير

(١) الأشباه والنظائر، السيوطيُّ (١٦٩/١)
(٢) شرح المفصل لابن يعيش، ابن يعيش (٨/ ٣٤)
(٣) شرح كتاب سيبويه للرمانيّ، الرمانيُّ (١/ ٣٦٩)
(٤) بناء الجملة العربيَّة، محمد حماسة عبداللطيف (٢٨٥)
(٥) التعليقة على كتاب سيبويه، الفارسيُّ (٢/ ٢٧٦)
(٦) شرح كتاب سيبويه، السيرافيُّ (٣/ ٤٠٦)
(٧) التعليقة على كتاب سيبويه، الفارسيُّ (١/ ٢٣٦- ٢٣٧)

عامل لا يجوز أن تكون مرتَّبة غير العامل بعد العامل فإذا اجتمعت **اللَّام** و**إنّ** كان حكم **اللَّام** أن تكون متقدمة(١).

- تحتفظ الحروف برتبتها؛ لأنَّها تعدُّ "أشدُّ تأصُّلًا في حقل الرتبة من الضمائر، ومن ثمّ تعتبر مجالًا خصبًا لدراسة ظاهرة الرتبة في اللغة الفصحى"(٢).

حروف المعاني والعمل الإعرابي:

الأصل في الحروف أن تعمل؛ "لأنَّ الألفاظ تابعة للمعاني، فكما تشبَّث الحرف بما دخل عليه معنى، وجب أن يتشبث به لفظا، وذلك هو العمل"(٣) لكنّ الواقع الاستعماليّ لها يخالف هذا الأصل إذ نجد كثيرًا منها لا يعمل، وقد فسَّر النُّحاة هذا الأمر بأصل عامٍّ ذهبوا فيه إلى أنَّ الحروف المختصَّة عاملة والمشتركة غير عاملة، أي: أنَّ الحروف الدالّة على معانٍ في المفردات وهي المختصَّة بقبيل منها فهي عاملة، والدالّة منها على معانٍ في الجمل فهي غير عاملة؛ إذ قد دخلت على جملة قد عمل بعضها في بعض وآثرت بقاء معنى الابتداء، ولكنّ هذا الأصل غير مطَّرد ففي الحروف المختصَّة نجد بعضها مختصًّا ولا يعمل، نحو: **أل** التعريف في الأسماء، و**قد** في الأفعال، ونجد من الحروف المشتركة وغير المشتركة ولكنَّها تدخل على الجمل ما يعمل، نحو: **ما، ولا، ولات** المشبهات بليس، والحروف الناسخة(٤).

وإذا نظرنا في مستوى الحروف المختصَّة العاملة فإنَّنا نجدها متفاوتة القوة في العمل فالعاملة منها في الأسماء أقوى من العاملة في الأفعال؛ لهذا اعتبر الفصل بينها وبين الأفعال أقبح من الفصل في المختصَّة بالأسماء(٥) .

أقسام حروف المعاني:

للحروف تقسيمات عدَّة منها ما قبل دخولها في التركيب، وأخرى بعد دخولها في التركيب، على النحو الآتي:

---

(١) شرح المفصل لابن يعيش، ابن يعيش (٨/ ٤٨)

(٢) اللغة العربية معناها ومبناها، تمَّام حسَّان (١٢٥)

(٣) نتائج الفكر في النحو، السهيليُّ (٥٩)

(٤) ينظر: نتائج الفكر في النحو، السهيليُّ (٥٩- ٦٠)

(٥) الهمع، السيوطيُّ (٢/ ٣٦٧)

أ. تقسيمات الحروف قبل دخولها التركيب: وقد قسّمت بعدَّة اعتبارات، هي:

- اعتبار عدَّة حروفها: قسّمت إلى حروف أحادية: على حرف واحد، نحو **الباء**، وثنائيّة: على حرفين اثنين، نحو **من**، وثلاثيّة: على ثلاثة أحرف، نحو **على**، ورباعيّة: على أربعة أحرف، نحو **لولا**، وخماسيّة: على خمسة أحرف، نحو **لكنَّ**[1] .
- اعتبار حركة بنائها: وتنقسم في بنائها إلى قسمين: حروف موقوفة الآخر، نحو: **إلى**، و**هل**، وحروف محرّكة الآخر: وهي إمَّا محرّكة بالفتح، نحو: **همزة** الاستفهام، **ربَّ**، أو محرّكة بالضم، نحو: **منذ**، أو محرّكة بالكسر، نحو: **لام الأمر**[2].
- اعتبار البساطة والتركيب: وتنقسم إلى قسمين:

حروف بسيطة: أي أنَّها أصول محضة.

حروف مركَّبة: وتركيب الحروف يكسبها شرائط تركيب ودلالة جديدة لم تكن لها من قبل؛ إذ يقول أبو حيّان: "قد يحدث بالتركيب معنىً وحكمًا لم يكن من قبله ألا ترى أنَّ **هل** حرف الاستفهام تدخل على الاسميّة و الفعليّة، فإذا رُكِّبت مع **لا** فقيل **هلّا** صار المعنى على التحضيض، ولم تدخل إلَّا على الفعل ظاهرًا أو مضمرًا"[3]

ب. تقسيمات الحروف بعد دخولها التركيب:

- بحسب الاختصاص والعمل : ويعد هذا التقسيم أشهر تقسيمات الحروف عند النُّحاة. وتنقسم وفق هذا التقسيم إلى ثلاثة أقسام رئيسة:

أ. المختصُّ بالأسماء فلا يليه إلَّا الاسم، وينقسم وفق العمل إلى ثلاثة أقسام: عامل العمل الخاص بها وهو الجرّ وهي حروف الجرّ، عامل العمل غير الخاص بها نحو **إنَّ** وأخواتها، مهمل: نحو **أمَّا**.

ب. المختصُّ بالفعل فلا يليه إلَّا الفعل، وينقسم وفق العمل إلى قسمين: عامل نحو حروف الجزم، غير عامل نحو **السين** و**سوف**.

(١) المرتجل، ابن الخشَّاب (٢٥)

(٢) الأصول في النحو، ابن السرَّاج (٢٠٦/٢)

(٣) الأشباه والنظائر، السيوطيُّ (١/ ١١٦)

ت. المشترك: وهو ما يدخل على الكلام التامّ والجمل فيحدث معنىً لم يكن كحروف الاستفهام والنفي. وينقسم وفق العمل إلى قسمين: مهمل وهو الأصل نحو **هل**، و**الهمزة**، عامل وهو خلاف الأصل نحو **ما**، **ولا** المشبهتين **بليس**[١].

- اعتبار المعنى والاستعمال:

إنَّ الحروف تنقسم وفق المعاني إلى دوائر معانٍ فنجد حروف معانٍ متعدِّدة كالحروف العاطفة، حروف التنبيه، وحروف النداء، وحروف الإيجاب، وحروف الزيادة، وحرف التفسير، وحروف المصدر، وحروف التحضيض، وحروف التوقُّع، وحروف الاستفهام، وحروف الشرط، وحروف الردع، وداخل هذه الدوائر ما يتمحَّض للمعنى، ومنها ما يشترك في استعمالات أخرى لكن لكلٍّ منها شرائطه الخاصّة وقرائنه المميِّزَة في اللفظ المنطوق والمعنى النحوي والدلاليّ المفهوم[٢].

- اعتبار موقعها في التركيب: وهي في هذا تنقسم إلى قسمين:

القسم الأوَّل: ما يتقدم على ما يتَّصل به، وتنقسم إلى قسمين:

أ. حروف لها الصدارة في الكلام نحو حروف الاستفهام والنفي والتنبيه والتحضيض وغيرها من الحروف الداخلة على الجمل و"التي تغيِّر معنى الكلام وتؤثر في مضمونه"[٣]، وهذه الحروف "تمنع عمل العامل ممَّا قبلها،.. وتقطع العامل عن أن يعمل فيما بعدها؛ إذا كان لها صدر الكلام"[٤] وهذا المنع "لئلا تختلط الجمل فيفسد الكلام"[٥] فبالتالي يترتَّب على تصدُّرها للكلام أثر تركيبيّ وأثر دلاليّ.

ب. حروف تتقدَّم على ما تتَّصل به فقط دون وقوعها صدرًا في الكلام، نحو: حروف الجرّ، ولوقوعها في حشو الكلام لا تمنع ما قبلها من العمل فيما يتَّصل بها[٦] .

(١) حاشية الصبَّان على شرح الأشمونيّ، الصبَّان (١/ ٣٥)
(٢) بناء الجملة العربية، محمد حماسة عبداللطيف (٢٨٤)
(٣) شرح الرضي على الكافية، الأستراباذيُّ (٢٦٥/١)
(٤) شرح كتاب سيبويه للرمانيّ، الرمانيُّ (١/ ٥٢٢)
(٥) شرح كتاب سيبويه للرمانيّ، الرمانيُّ (٣٦١/١)
(٦) ينظر: شرح كتاب سيبويه للرمانيّ، الرمانيُّ (٥٢٢/١)

القسم الثاني: ما يتأخر عن ما يتَّصل به: وهي الحروف الداخلة على المفردات وتتأخرُّ عن ما يتَّصل بها كـ **نوني التوكيد، نون الوقاية.**

نبذة عن الجاحظ:

الجاحظ هو عمرو بن بحر بن محبوب الكنانيّ "قيل: صليبة، وقيل: مولى"[1]، الليثيّ، البصريّ مولدًا ووفاةً، يكنى بأبي عثمان، وقد لقب بالجاحظ؛ لجحوظ عينيه وقد كان مشوّه الخلق، وكان يتميز بالذكاء وسرعة البديهة والحفظ وحس النكتة والفكاهة[2] .

نشأ الجاحظ أوَّل حياته في فقرٍ وعوزٍ إلَّا أنَّه أقبل على العلم والتعلم فالتحق بالكتاتيب ودرس فيها مبادئ القراءة والكتابة، و"سمع من أبي عبيدة والأصمعيّ وأبي زيد الأنصاريّ، وأخذ النحو عن الأخفش أبي الحسن وكان صديقه.. وتلقُّف الفصاحة من العرب شفاهًا بالمربد"[3] وتتلمذ في الكلام والاعتزال على يديّ أبي إسحاق النظّام، وإليه نسبت فرقة سميت بالجاحظيّة، ومع العلم فقد "أوتي بسطةً في لسانه، وبيانًا عذبًا في خطابه، ومجالًا واسعًا في فنونه..."[4] مكَّنته من الاتصال بعلية القوم كالخليفة المأمون، والوزراء كابن الزيّات والفتح بن خاقان الذين أنعموا عليه وكفوه مؤونة العيش فتفرَّغ للتأليف والتصنيف اللذين مكناه لبراعته وثقافته من اعتلاء زعامة الأدب العربي فهو أديب العربية الأكبر وموسوعيّها الأضخم[5] .

وقد توفي الجاحظ في عام ٢٥٥هـ في خلافة المعتز بالله.

من أبرز مؤلفاته: البيان والتبيّن، الحيوان، البخلاء، الرسائل.

نبذة عن رسائل الجاحظ:

تعد الرسائل إحدى الفنون النثريَّة المميزة؛ إذ تعطي المؤلف مساحة من الحرية للتعبير عما يريد بعيدًا عن قواعد الوزن والقافية والسجع المتمثلة في الكتابة الشعريّة.

---

(١) تاريخ بغداد، الخطيب البغداديُّ (١٤/ ١٢٤)

(٢) ينظر: وفيات الأعيان، ابن خلِّكان (٣/ ٤٧٠- ٤٧١)

(٣) معجم الأدباء، الحمويُّ (٥/ ٢١٠١)

(٤) تهذيب اللغة، الأزهريُّ (١/ ٢٦)

(٥) ينظر: تاريخ بغداد، الخطيب البغداديُّ (١٤/ ١٢٤- ١٢٥)، معجم الأدباء، الحمويُّ (٥/ ٢١٠١- ٢١٠٣)

ويطلق مصطلح الرسالة على "المجلَّة المشتملة على قليل من المسائل التي تكون من نوع واحد، والمجلَّة، هي الصحيفة يكون فيها الحكم"(١)، كما يطلق على "العبارات المؤلَّفة والمعاني المدوَّنة لما فيها من إيصال كلام المؤلِّف ومراده إلى المؤلَّف له، وأصلها المجلَّة أي: الصحيفة المشتملة على كتب المسائل من فن واحد"(٢) فهي تتضمَّن موضوع يريد المرسل إيصاله إلى مرسل إليه، ولكنَّ هذا المفهوم لا ينطبق على **رسائل الجاحظ** بشكل تامٍّ؛ إذ الرسالة عند الجاحظ" لا تقوم جنسًا أدبيًّا أو نوعًا خطابيًّا ذا هويَّة محدَّدة، فلا يكاد ينعقد بين النصوص التي صنِّفت وجمعت في إطار الرسائل تشابه أو تكرار لمكوِّنات معيَّنة، بل إنَّ درجة الاختلاف بينها أوسع من درجة التشابه. ولأجل ذلك كانت الرسالة شكلًا من أشكال الخطاب المكتوب يتَّخذ أحيانًا صيغة نوع خطابيٍّ محدَّد مثل الوصيَّة والمفاخرة، وقد لا يتخذ هذه الصيغة عندما يتَّجه إلى استيعاب مجموعة من الأنواع عبر آليَّة التناص.."(٣).

والجاحظ في الرسائل يتمثل أسلوبًا أدبيًّا رفيعًا إذا قرأته أبهرتك نصاعة لغته وسهولة لفظه وقرب معناه، وإذا خبرت أفكاره ومعالجته لها وقفت على فكرًا عميقًا وتجربةً ضخمة مكناه من الكتابة في كلّ باب يطرقه ببراعة، فيكتب في الموضوعات السياسيَّة الشائكة بجزالة كما يكتب في موضوعات اجتماعيَّة بسيطة مدِّللًا بذلك على قدرته الأدبيَّة الفائقة، وهو يمزج في النقيضين بين الجدِّ والهزل بما لا يجعل أحدهما يطغى على الآخر، وهو يقصده قصدًا بغية الترويح عن القارئ.

وقد اعتمد الجاحظ على هجر السجع المبتذل، ومع ذلك لم يفقد الموسيقى الداخليَّة فيما كتب معتمدًا على توازن الألفاظ والجمل والفقرات ممَّا جعلها كأنها مبنيَّة على سلم موسيقي واحد.

والجاحظ في معالجته للأفكار نجده يستقصيها، ويحلِّل أجزاءها حيث يأتي عليها كلّها؛ مستعينًا بحشد من النقولات الكثيرة لإعطائها دعائمًا تصدقها وتثبتها عند السامع.

ويمكن تقسيم رسالة الجاحظ من حيث نوع الخطاب إلى ثلاثة أقسام(٤):

- المناظرات: وهي التي يعقدها بين الخصوم في موضع ما، نحو: الرد على النصارى، خلق القرآن.

---

(١) التعريفات، الشريف الجرجانيُّ (١١٠)

(٢) الكليات، الكفويُّ (٤٧٦)

(٣) خطاب الأخلاق والهوية في رسائل الجاحظ، مشبال (١٨/ ١٩)

(٤) ينظر: خطاب الأخلاق والهوية في رسائل الجاحظ، مشبال (٢٠/ ٣٣)

- المفاخرة: وهي التي صنَّفها في المفاخرة بين الأجناس والقبائل و الفئات الاجتماعية والصناعات والنبات والفصول، نحو: مفاخرة السودان على البيضان، الجواري والغلمان.
- الوصايا: وهي التي تتضمَّن خطاب من متكلِّم يفترض فيه المعرفة بحكم علمه أو مكانته أو سنه أو خبرته، نحو: المعاش والمعاد.

وقد طبعت **رسائل الجاحظ** في عدَّة طبعات(١):

١. مجموعة فان فلوتن: وتضم ثلاث رسائل، هي: مناقب الترك، فخر السودان على البيضان، التربيع والتدوير.
٢. مجموعة الفصول المختارة لعبيد الله بن حسان: وتضم ثماني عشرة رسالة.
٣. مجموعة محمد ساسي: وتضم ما نشره فلوتن بالإضافة إلى ثماني رسائل أخر.
٤. مجموعة يوشع فنكل: وتضم ثلاث رسائل، هي: المختار من كتاب الرد على النصارى، ذم أخلاق الكتاب، القيان.
٥. مجموعة ريشر: وتضم تسع وثلاثين رسالة.
٦. مجموعة حسن السندوبيّ: وتضم ثلاث عشرة رسالة.
٧. مجموعة باول كراوس وطه الحاجريّ: وتضم أربع رسائل، هي: المعاد والمعاش، كتمان السر وحفظ اللسان، رسالة في الجد والهزل، رسالة فصل ما بين العداوة والحسد.
٨. مجموعة بتحقيق الشيخ عبدالسلام هارون: وتضم ستًّا وأربعين رسالةً في أربعة أجزاء، الأوَّل والثاني منها طبع في ١٩٦٤م، والجزآن الثالث والرابع منها طُبعا في ١٩٧٩م، وهذه هي الطبعات المعتمدة في البحث.

(١) ينظر: رسائل الجاحظ، الجاحظ (١/ ١٠-١١)

الفصل الأوَّل:

حروف المعاني المختصَّة بالأسماء

في رسائل الجاحظ

ويتضمَّن هذا الفصل دراسة حروف المعاني المختصَّة بالأسماء في **رسائل الجاحظ**؛ للكشف عن أنواعها وعدَّتها وتراكيبها ودلالتها، ويتوسَّل إلى هذه الغاية من خلال ثلاثة مباحث مرتَّبة على النحو الآتي:

المبحث الأوَّل: الحروف الناسخة.

المبحث الثاني: حروف الجرّ.

المبحث الثالث: حروف متفرِّقة.

المبحث الأوَّل: الحروف الناسخة

هذا المبحث سيتناول دراسة الحروف الناسخة المختصَّة بالدخول على الجملة الاسميّة في **رسائل الجاحظ**، وهي: **إنَّ، وأنَّ، ولَيْت، ولكنَّ، ولعلَّ، وكأنَّ** كما ألحقت بها **لا** النافية للجنس؛ لتماثلها في العمل مع **إنّ** وأخواتها، وتعدُ هذه الحروف عاملة لاختصاصها بالدخول على الجملة الاسميَّة وإن كانت دلالتها تظهر على مستوى الجملة، ويتمثَّل عملها في أنَّها ناسخةً للابتداء إذ تنصب المبتدأ ويسمّى اسمها وترفع الخبر ويسمّى خبرها.

وترتيب الجملة الاسميَّة التي تدخل عليها **إنَّ** وأخواتها يلزم تأخر الخبر عن الاسم إلا إذا كان الخبر شبه جملة؛ وهذا من علامات فرعيَّة عملها.

ويعدُّ **إنَّ وأنَّ** حرفان متماثلان في الدلالة وهو التوكيد والفرق بينهما من جهة الاستعمال؛ إذ تستعمل **إنَّ** في مواضع الابتداء وما يقوم مقامه، نحو: بدء الصلة، وبعد حيث، وفي جواب القسم الذي فيه **لام**، وبعد القول، وبعد **واو** الحال، وبعد الفعل المعلَّق **باللَّام**؛ و**أنَّ** وما تدخل عليه يؤولان بمصدر يقوم مقام المفرد فتقع خبرًا وفاعلًا ومفعولًا. ويقع كل منهما موقع الآخر في كلٍ من: بعد **إذا** الفجائيَّة، وجواب القسم الذي لا **لام** فيه، و**فاء الجزاء**.

وقد دلَّت **ليت** على التمنّي، و**لكنَّ** على الاستدراك والامتناع إذا سبقت ب**لو ولولا**، **ولعلَّ** على كلٍّ من الترجّي والاستفهام والإشفاق والشكِّ، و**كأنَّ** على التشبيه، و**لا النافية للجنس** على النفي العام كما أن **إنَّ** قد دلَّت على التوكيد فكأنَّها مقابلة لها في مستوى النفي فكان هذا وجهًا من الشبه لتعمل عملها.

وقد سلّط المبحث الضوء على دلالة كلّ حرفٍ منها وأنماط تركيب جملة كلّ منها.

الحروف النَّاسخة في رسائل الجاحظ:

أوَّلًا: إنّ المكسورة:

وقعت **إنَّ** في **رسائل الجاحظ** مشدَّدة ومخفَّفة، كما وقع اسمها ظاهرًا، وضميرًا له عائد، وضمير شأن على النحو الآتي:

أوَّلًا: مواقع **إنَّ** مشدَّدة واسمها ليس ضمير شأن:

وقد وقعت **إنَّ** مكسورة الهمزة واسمها ليس ضمير شأن في **رسائل الجاحظ** في ثلاثمئة وأربعة مواضع، على النحو الآتي:

أوَّلًا: وقوعها في أوَّل الكلام، وله عدَّة صور:

الأولى: وقوعها في ابتداء كلام لا يسبقها شيء: في سبعة وعشرين موضعًا، منها قوله:

"إنَّ داء الحزن –وإن كان قاتلًا– فإنَّه داء مماطل..." (١/ ٢٣٤)

الثانية: وقوعها في حكم المبتدأ به: وهذا في عشرين موضعًا، ولها عدَّة صورٍ على النحو الآتي:

الأولى: وقوعها بعد ثمّ لم يذكر قبله المعطوف عليه: في موضعين، هما:

"ثم إنِّي واصل قولي في المعرفة ومجيبٌ خصمي في معنى الاستطاعة وفي أيّ أوجهها يحسن..." (٤/ ٥٧)

"ثم إنَّ الذي تقدَّمه صلَّى الله عليه وآله من البشارات في الكتب المتقادمة، في الأزمان المتباعدة، والبلدان الموجودة بكلِّ مكان، على شدَّة عداوة أهلها، وتعصُّب حامليها، ومع قوَّة حسدهم، وشدَّة بغيهم...." (٣/ ٢٦٩)

الثانية: وقوعها بعد النداء: في موضعين، هما:

"يا أخي – أرشدك الله – إنَّك أغرقت في مدح الظَّهر من الجهة التي كان ينبغي لك أن تذمَها.." (٤/ ١٥٨)

"يا أسد، إنَّ البغي يصرع أهله، وإنَّ الظلم مرتعه وخيم، فلا تغترّ بإبطاء العقاب من ناصر..." (١/ ٢٤٤)

الثالثة: وقوعها بعد ألا الاستفتاحية: في موضع واحد في قوله:

"ألا إنَّه ثغر والثغر محروس، وحمى والحمى ممنوع..." (٤/ ٢٤٤)

الرابعة: وقوعها بعد أَمَا الاستفتاحيّة: في موضع واحد في قوله:

"أما إنِّي لا أعنى قول سبحان الله، والحمد لله..." (١/ ١٦٢)

الخامسة: وقوعها بعد حتّى الابتدائية: في خمسة مواضع، منها قوله:

"...وخَلَفَهم على منهاج سلفهم إلى هذه الغاية، حتّى إنَّهم جلدوا على الريح الخفي...." (٤/ ٢٧٦)

السادسة: وقوعها في جواب القسم فيه اللَّام: في تسعة مواضع، منها قوله:

"ولئن وافق هذا القول من الزهريِّ فيهم مذهبًا، إنَّ ذلك لَبينٌ في شمائلهم..." (٢/ ١٩٤)

ثانيًا:: وقوعها بعد القول الذي للحكاية: وقد ورد القول بصيغتي الفعل والمصدر على النحو الآتي:

أوَّلا: بعد فعل القول: في ثلاثة وخمسين موضعًا، منها قوله:

"علمنا أنَّ ذلك استثناء لبعض ما قال إنِّي لا أطلعكم على الغيب"(٤/ ٩)

ثالثًا: مصدر القول: في سبعة مواضع، منها قوله:

"فأما قولهم إنَّا نقول على الناس ما لا يعرفونه، ولا يجوز أن يدينوا به، وهو قولنا إنَّ اليهود قالت..." (٣/ ٣٤٣)

ثالثًا: وقوعها بعد ما أجري من الأفعال مجرى القول: في موضعين، هما:

"...وذلك أنَّ الله تبارك وتعالى لو علم أنَّه قد كان فيما أنزل من كتبه على بني إسرائيل: إنَّ أباكم كان بكريَّ وابني.." (٣/ ٣٣٢)

"ولقد كان إخوة يوسف حلماء، وأجلَّة علماء، ولدهم الأنبياء، فلم يغفلوا عمَّا قدح في قلوبهم من الحسد ليوسف، حتّى أعطوا أباهم المواثيق المؤكَّدة، والعهود المقلَّدة، والأيمان المغلَّظة، إنَّهم له لحافظون، وهو شقيقهم وبضعة منهم..." (٣/ ١٥)

رابعًا: قوعها في صدر جملة الحال: في قوله:

"وقد رأيت البكريَّة، والجبريَّة، والفضليَّة، والشمريَّة، وإنَّهم لأحقر عند المعتزلة من جُعَل ممَّا زالوا..." (٣/ ٣٠٠)

خامسًا: وقوعها في صدر جملة معطوفة على شيء ممَّا سبق: وقد وردت على النحو الآتي:

أوَّلا: العطف على جملة ابتدائية: في سبعة وستين موضعًا، منها قوله:

"أو أن تأنس أو تغترَّ بمن تعلم أنَّ بصلاحك فساده، وبارتفاعك انحطاطه، وبسلامتك عطبه؛ فإنَّ من كان هكذا فأنت مَلَك موته...." (١/ ١٣٢)

العطف على مقول القول الماضي: في خمسة مواضع، منها قوله:

"ولم لا؟ قلت: إنَّ تارك شربه كتارك العلاج من أدوأ الأدواء وإنَّه كالمعين على نفسه إذا ترك شربه...." (٤/ ٢٦٣)

العطف على جواب القسم: في موضع واحد، في قوله:

"ولعمري إنَّ العيون لتخطئ، وإنَّ الحواسَّ لتكذب..." (٣/ ٥٨)

وثمة ثلاثة مواضع كسرت فيهما همزة إنَّ لم يجد البحث لها تعليلًا، هي:

الأوَّل:" ومع هذا إنَّه إذا سار من مخرجه إلى ناحية المذار ونهر أبي الأسد وسائر الأنهار ..." (٤/ ١٤٠)

الثاني: "وبالجملة إنَّ لكلِّ معنى شريف أو وضيع، هزل أو جد، وحزم أو إضاعة، ضربًا من اللفظ..." (٣/ ٤٠)

وكلاهما بالإمكان تقدير **فاء** التعليل قبل **إنَّ**.

الثالث: "ويزعمون أنَّ لكل زمان تدبيرا ومصلحة، وأنَّ إبعادهم أتقر لطبائعهم، وإنَّ إطلاقهم أنجع فيما يراد منهم..." (١/ ٢٨٦)

عطف على **أنَّ** المفتوحة **إنَّ** المكسورة ولا تعليل وجيه لهذا العدول.

وممَّا تجدر الإشارة إليه أنَّ إنَّ قد كسرت في ثلاثة مواضع يجوز فيها الكسر الفتح على حدٍّ سواء، هي:

أوَّلا: وقوعها في جواب قسم لا لام فيه: في قوله:

"...والله إنَّ بي قوَّة على الثعبان، فكيف التنين..." (١/ ٢٥١)

ثانيًا: وقوعها في صدر جملة جواب الشرط أو ما يشبهه: في سبعة وخمسين موضعًا، منها قوله:

" وإلَّا فإنَّه لا يدع سننه، ولا يقطع ركضه..."(١/ ٤٤)

ثالثًا: بعد الفاء الزائدة: في موضعين، منهما قوله:

"وما خالف هذا فإنَّه أمانيٌّ وغرور...." (١/ ١٠٠)

رابعًا: في سياق التعليل: في ثمانية وخمسين موضعًا، منها قوله:

"فبارك الله لهم فيما أعطاهم، ورزقهم الشكر على ما خولَّهم، وجعل ذلك موصولًا بالسلامة، وبما خطَّ لهم من السعادة، إنَّه سميعٌ قريبٌ، فعالٌ لما يريد..." (٤/ ٢٠٤)

أنماط تركيب جملة إنَّ: وردت وفق الأنماط الآتية:

النمط الأوَّل: الاسم+ الخبر مفرد: وقد ورد وفق الصور الآتية:

الصورة الأولى: الاسم ظاهر+ الخبر مفرد: في أربعة وستين موضعًا، منها قوله:

"وإن قلتم: إنَّ الماء الجاري أمرأ من الساكن، فكيف يكون ساكنًا مع تلك الأمواج العظام والرياح العواصف، والماء المنقلب من العلُّو إلى السفل؟..." (٤/ ١٤٠)

الصورة الثانية: الاسم ضمير+ الخبر مفرد: في اثنين وثلاثين موضعًا، منها قوله:

"ولا تغترّ بقوله إنِّي وادٌّ..." (١/ ٢٣٩)

الصورة الثالثة: الاسم ظاهر+ الخبر مصدر مؤول: في ثلاثة مواضع، منها قوله:

"وذكرتم أنَّهم قالوا: إنَّ الدليل على أنَّ كتابنا باطل، وأمرنا فاسد، أنَّنا ندعي عليهم ما لا يعرفونه فيما بينهم، ولا يعرفونه من أسلافهم..." (٣/ ٣٠٣)

النمط الثاني: الاسم+ الخبر جملة فعليّة: وقد ورد وفق الصور الآتية:

الصورة الأولى: الاسم ظاهر+ الخبر جملة فعليّة: في خمسة وتسعين موضعًا، منها قوله:

"فأقول: إنَّ السلف الذين جمعوا القرآن في المصاحف بعد أن كان متفرِّقًا في الصدور، والذين جمعوا الناس على قراءة زيد.. لو كانوا جمعوا..." (٣/ ٢٢٦)

الصورة الثانية: الاسم ضمير+ الخبر جملة فعليّة: في ثمانية وسبعين موضعًا، منها قوله:

"إنِّي لست أُخبرُ عن الموتى ولا أستشهد الغيب.." (٤/ ٢٠٣)

النمط الثالث: الاسم+ الخبر جملة اسميّة: وقد ورد وفق الصورتين الآتيتين:

الصورة الأولى: الاسم ظاهر+ الخبر جملة اسميّة: في ثمانية مواضع، منها قوله:

"فإنَّ أهل خاصَّتك والمؤتمنين على أسرارك، هم شركاؤك في العيش ..." (١/ ١٠٨)

الصورة الثانية: الاسم ضمير+ الخبر جملة اسميّة: في موضعين، منهما:

"من طلبه لشرفه وفخره فإنَّه لا حدَّ له ولا نهاية..." (١/ ١٥٧)

النمط الرابع: الاسم + الخبر شبه جملة: وقد ورد وفق الصور الآتية:

الصورة الأولى: الاسم ظاهر+ الخبر شبه جملة: في ثلاثة عشر موضعًا، منها قوله:

"إنَّ التجربة على ضربين..." (٤/ ٦٣)

الصورة الثانية: الاسم ضمير+ الخبر شبه جملة: في أربعة مواضع، منها قوله:

"فكانت نجدتهم – وإن كان أنقص – فإنَّها على حال النجدة، ولهم في ذلك بقيَّة..." (٤/ ١٢٧)

الصورة الثالثة: الخبر شبه جملة+ الاسم: في واحد وعشرين موضعًا، منها قوله:

"فإنَّ للماء والتربة والهواء في هذا عملًا..." (٢/ ٣١٢)

الصورة الرابعة: الخبر شبه جملة+ الاسم مصدر مؤول: في ثلاثة مواضع، منها قوله:

"وإنَّ من النصف أن تنتصف لعقلك من خصومه، وتنتصف لكرمك من عدوِّه...." (١/ ٢٦١)

النمط الخامس: الاسم ظاهر+ الخبر محذوف: وهذا في صورتين:

الأولى: في قوله:

"ثم إنَّ الذي تقدَّمه صلَّى الله عليه وآله من البشارات في الكتب المتقادمة، في الأزمان المتباعدة، والبلدان الموجودة بكلِّ مكان، على شدَّة عداوة أهلها، وتعصُّب حامليها، ومع قوَّة حسدهم، وشدَّة بغيهم..." (٣/ ٢٦٩)

الثانية: حيث حذف الخبر وسد الحال مسده: في قوله:

"إنَّ داء الحزن وإن كان قاتلًا فإنَّه داء مماطل..." (١/ ٢٣٤)

ثانيًا: وقعت إنَّ مشدَّدة واسمها ضمير شأن في سبعة مواضع وفيها جميعًا كان الخبر جملة فعليّة، منها قوله:

"وعلى ذلك فإنَّه لم يبلغني أنَّه كان في ولاة ديوان الجند ولا في كتابهم مثل المعلَّى بن أيوب في نبله..." (٢/ ٢٠٩)

ثانيًا: إنْ المخفَّفة: وقد وردت في أربعة مواضع، منها قوله:

"فأخاف عليه طعن الحاسدين إنْ أنا نسبته إلى نفسي.." (١/ ٣٥١)

النتائج الخاصّة بـ إنَّ:

- أكثر المواقع التي كسرت فيها الابتداء أو ما وقع موقعه أو ما عطف عليه بنسبة ٣٧,٥٪، ثمّ بعد القول وما عطف عليه نسبة ٢٢,٠٣٪، ثمّ سياق التعليل بنسبة ١٩,٠٧٪، ثمّ في صدر جملة جواب الشرط أو ما يشبهه بنسبة ١٨,٧٥٪؛ ممَّا يدل على كثرة استعمالها في هذه المواضع.
- من مواضع الكسر التي ذكرها النُّحاة ولم ترد عند الجاحظ:
  في خبر اسم العين، في الصفة، وقبل اللَّام المعلقة، بعد **إذ**، في صدر جملة الصلة؛ ممَّا يدل على قلَّة هذه المواضع.
- في كلّ المواضع دلّت **إنَّ** على التوكيد.
- كسرت **إنَّ** بعد **ثمّ** لم يذكر قبله المعطوف عليه وقعت في جملتين وقعتا في بداية فصلين من الفصول التي نقلها المحقِّق عن عبيد الله بن حسَّان.
- كثر استعمال **إنَّ** بعد القول في المناظرات؛ إذ يصدر بها الجاحظ أقوال المناظرين في سياقات توكيد ليثبتها ومن ثمّ يرد عليها بمنطق وحكمة.

- كُسرت **إنَّ** في جواب القسم الذي لا **لام** ممَّا يقوِّي ما ذهب إليه الصبَّان من تعيّن الكسر في هذه الحالة(١).
- فضِّل الكسر على الفتح في المواضع التي يجوز فيها الفتح والكسر.
- لما وقع اسم **إنَّ** ضمير شأن وجد البحث أنَّها في كلّ المواضع كان الخبر جملة فعليّة فكأن اتصالها بضمير الشأن في هذا الموضع بعيدًا عن دلالته على التفخيم والتعظيم؛ فقد استعمل حفاظًا على استعمال **إنَّ**، واشتراط دخولها على جملة اسميّة؛ إذ لو لم يدخل لباشرت الجملة الفعليّة وهذا من المحظورات النحوية.
- ورود **إنْ** المخفَّفة أقلُّ من المشدَّدة بكثير؛ إذ لم تقع إلَّا في أربعة مواضع مقابل الكثرة الكاثرة للمشدَّدة.
- لم يرد خبرها جملة انشائيّة.
- قد اتضح قيام **إنَّ** بالربط في موضعين:

أ. ربطها للمقول بالقول على وجه التأكيد ممَّا يعطي النقل موثوقية أكثر، والملاحظ أنَّ المقول الذي ربطته هو المقصود بالجملة ممَّا يجلي دورها وقيمتها الدلالية، وهذا الربط ممَّا تتميز به على كافَّة الروابط الأخرى لأنَّها تربط النقل بالمنقول عنه.

ب. الربط الدلالي الذي قامت به في سياق التعليل واستئثارها بهذه الوظيفة عند الجاحظ عن المفتوحة -إذ لم ترد المفتوحة في هذا الموضع- يتَّفق مع ما ذكره الجرجانيُّ من أنَّ ورودها في هذا الموضع كثير؛ لبيان مدى قوَّة الرابط الدِّلاليّ بين الجملتين ممَّا دفعهم إلى استعمال ما قد اعتادوا الانفصال في استعماله(٢).

- وجد البحث أنَّ **إنْ** المخفَّفة في كلّ المواضع دخلت على الجملة الاسميّة، وكان المبتدأ فيها ضمير وخبره جملة فعليّة منفيّ فعلها؛ لذلك رُجِّح مع المعنى القول بأنَّها المخفَّفة لا النافية؛ إذ لو كانت نافية والفعل بعدها منفيّ لا نتقض المعنى؛ لأنَّ نفي المنفيّ إثبات له إلَّا الموضع المذكور فإنَّ الفعل فيه مثبت لكنّ القرينة المعنويّة منعت من عدِّها نافية؛ إذ الجاحظ في هذا الموضع يصف حالته مع الحسَّاد الذين أحاطوا به من كلّ جانب حتّى منعه حسدهم من نسبة مؤلفاته لنفسه، وهذا ممَّا يقوِّي ما ذهب إليه النُّحاة من أنَّه يلزم ذكر اللَّام الفارقة إلَّا إذا دلَّ السياق.

(١) ينظر: حاشية الصبَّان على شرح الأشمونيّ لألفيَّة ابن مالك، الصبَّان (١/ ٤٠٥)

(٢) ينظر: دلائل الإعجاز، الجرجانيُّ (٢٤٣)

ثانيًا: أنَّ المفتوحة:

وقعت أنَّ في رسائل الجاحظ مشدَّدة ومخفَّفة، كما وقع اسمها ظاهرًا وضميرًا له عائد وضمير شأن على النحو الآتي:

أوَّلًا: وقعت أنَّ مشدَّدة واسمها ليس ضمير شأن في سبعمئة وسبعين موضعًا على النحو الآتي:

أوَّلًا: معنى الفاعليَّة: وقد وردت فيه على النحو الآتي:

أوَّلًا: فاعل: في عشرة مواضع، منها قوله:

"وقع بخلده لضعفه، وقرَّ في روعه لخساسته، أنَّه لا ينال أحد منهم رياسة.." (١/ ٣٤٨)

ثانيًا: نائب الفاعل: في ثلاثين موضعًا، منها قوله:

"فكلُّ ذلك يُرَاد به أنَّ الفضل قليل والنقص قليل لا على نسب ما يتلقَّاه..." (١/ ١٥١)

ثالثًا: مبتدأ: وقعت في ثلاثين موضعًا، منها قوله:

"ومن لؤم الحسد أنَّه موكَّل بالأدنى فالأدنى، والأخصُّ فالأخصُّ.." (١/ ٢٩٣)

رابعًا: أن تقع بعد ما يجب رفع ما بعده على الابتداء: على النحو الآتي:

أوَّلًا: بعد لولا: في اثني عشر موضعًا، منها قوله:

"ولولا أنَّ في طاقة الناس قبول التلقين وفهم الإرشاد، لكانوا هملًا، ولتركوا نشرًا جشرًا"(٤/ ٣٢٢)

ثانيًا: بعد لو: وقد وردت أنَّ بعد لو في ثمانية عشر موضعًا، منها قوله:

"ولو أنَّهم سكتوا ضنًا بدينهم لم يكن سبيلهم إلَّا العَطَب.." (٤/ ٢٣٥)

خامسًا: اسم لناسخ: في ستّة عشر موضعًا، منها قوله:

"ولو لم يكن في البطن من الفضيلة إلَّا أنَّ الوجه الحسن، والمنظر الأنيق من حيّزه..." (٤/ ١٦٠)

سادسًا: خبر: وقد وردت خبرًا في صورتين:

الأولى: وقعت خبرًا لمبتدأ: وهذه بدورها انقسمت إلى صورتين:

الأولى: وقوعها خبرًا لا يحتمل وجهًا إعرابيًا آخر: في ثمانية عشر موضعًا، منها قوله:

"معرفة الإنسان إذا خاطب صاحبه أنَّه موجِّه بكلامه إليه وقاصد به نحوه.. (٤/ ٥١)

الثانية: وقوعها خبرًا مع احتماله وجهًا إعرابيًا آخرًا وهو الجرّ بحرف مقدر والجار والمجرور متعلقان بخبر محذوف: في خمسة عشر موضعًا، منها قوله:

"وذلك أنَّ العقل الغريزيّ آلة والمكتسب مادة، وإنَّما الأدب عقل غيرك تزيده في عقلك...." (١/ ٩٦)

الثانية: وقعت خبرًا لناسخ: وفي هذه الصورة وردت خبرًا لناسخين:

أوَّلًا: لناسخ فعلي: في أربعة مواضع، منها قوله:

"ليس إلَّا أنَّ همَّمهم صغُرت عنهم، وامتلأت قلوبهم منهم، فصار المحفوظ من أقوالهم.." (٣/ ٢٦٢)

ثانيًا: لناسخ حرفي: وفيه وقعت خبرًا لـ إنَّ إلَّا أنَّه قد فصل بينهما بالخبر: في ثلاثة مواضع، منها:

"وإنَّ السبب الذي بعث على جمع نُتَف من أخبار العرب في حنينها إلى أوطانها، وشوقها إلى تربها وبلدانها، ووصفها في أشعارها توقَّد النار في أكبادها، أنِّي فاوضت بعض من انتقل من الملوك في ذكر الديار، والنزاع إلى الأوطان..." (٢/ ٣٨٣)

سابعًا: وقوعها بدل من مرفوع: في موضعين، منهما قوله:

"وقد تقدَّمت التجربة أنَّ الحديد لا يكون حقودًا، وأنَّ المصطنع لا يكون للصنيعة حاسدًا.." (١/ ٢٧٠)

ثانيًا: معنى المفعوليَّة: وقد تحقق في ثلاث صور:

الأولى: أن تقع أنَّ ومعمولاها في محل نصب مفعول به: وقد وردت فيه وفق الآتي:

أوَّلًا: مفعولًا للأفعال: في تسعة وأربعين موضعًا، منها قوله:

" ولقد بلغ من اكتنازه والتئامه وملوسته وشدَّة تداخله، أنَّه يرْسُب في الماء.." (١/ ٢٠٤)

ثانيًا: مفعولًا للمشتقات: في قوله:

"وهو مقرٌّ أنَّه صار شريفًا بعتقك إياه..." (٢/ ٢٢)

الثالثة: أن تسد أنَّ ومعمولاها مسد مفعولين: وقد وردت للأفعال: رأى، وزعم، وشك، وظنّ في مئتين وسبعة عشر موضعًا، منها قوله:

"وقد علم الناس أنَّ العرب ليست بحمر كما ذكرنا قبل هذا..." (١/ ٢١٠)

سابعًا: النصب على الاستثناء: في عشرين موضعًا، منها قوله:

"ولا أعلم الفرقة في المغرب إلَّا أكثر من الفرقة في المشرق، إلَّا أنَّ أهل المغرب إذا خرجوا لم يزيدوا على البدعة والضلالة، والخارجيَّ في المشرق لا يرضى بذلك حتّى يجوزه إلى الكفر..." (٤/ ١٣٤)

ثالثًا: معنى الإضافة: وقد ورد في صورتين:

الأولى: مجرورة بحرف جرٍّ:

أوَّلًا: حرف جرٍّ ملفوظ به: في مئتين وخمسة وعشرين موضعًا، منها قوله:

"وقد استدللت بذلك بالذي أرى من شدَّة عنايتك، وفرط اكتراثك، وتفقُّدك لأخابير الأعداء وبحثك عن مناقب الأولياء، على أنَّ ما ظهر من نصحك أَمَم..." (١/ ٨)

ثانيًا: بحرف جر المقدر: في ثمانية مواضع، منها قوله:

"ولم أهجن ذكره إلَّا أنَّ فضله خاصّ دون عامّ، وفضل الكلام خاصٌّ وعامٌّ..." (٤/ ٢٣٣)

الثانية: مجرورة بالإضافة: في ستّة عشر موضعًا، منها قوله:

"إنَّما قلنا من أجل أنَّ الأوَّل لا يجوز على الله..." (٤/ ١٤)

العطف على مفرد أو ما في حكمه: وقد وردت وفق ما يأتي:

أوَّلًا: العطف على مرفوع: في أربعة مواضع، منها قوله:

"وفصل ما بيننا وبينك، وفرق ما بين أقدارنا وقدرك، أنَّا نسيء وتغفر، ونذنب وتستر، ونعوجُّ وتقوم، ونجهل وتعلم؛ وأنَّ عليك الإنعام وعليك الشكر..." (٣/ ٧٧)

"وقد تقدَّمت التجربة أنَّ الحديد لا يكون حقودًا، وأنَّ المصطنع لا يكون للصنيعة حاسدًا.." (١/ ٢٧٠)

ثانيًا: العطف على منصوب: في اثنين وسبعين موضعًا، منها قوله:

"وزعموا أنَّ ذلك من إفراط الشره، وأنَّ أصل الشره والحسد واحد وإن افترق فرعاهما..." (١/ ١٢٤)

ثالثًا: العطف على مجرور: في ستّة عشر موضعًا، منها قوله:

"دليل على أنَّ النسب عندهم متّفق، وأنَّ هذه المعاني قد قامت عندهم مقام.." (١/ ١١)

أنماط تركيب جملة أنَّ: وردت أنَّ وفق الأنماط الآتية:

النمط الأوَّل: الاسم+ الخبر مفرد: وقد ورد وفق الصور الآتية:

الصورة الأولى: الاسم ظاهر+ الخبر مفرد: في مئة وسبعة وخمسين موضعًا، منها قوله:

"وأنَّ الركانة والأناة مجموعان لصاحب السَّمْن..." (١/ ٢٦٩)

الصورة الثانية: الاسم ضمير+ الخبر مفرد: في ثلاثة وأربعين موضعًا، منها قوله:

"وجوهرك جوهر الذهب إلَّا أنَّك روح كما أنت.." (٣/ ٩٢)

الصورة الثالثة: الاسم ظاهر+ الخبر مصدر مؤول: في أربعة مواضع منها قوله:

"وزعم أهل التجربة أنَّ الكوْم الذي يخلق الله تعالى منه الولد من بين الرجل والمرأة، .. أنَّ سبب التلاقح..." (٢/ ٣٢٣)

النمط الثاني: الاسم+ الخبر جملة فعليّة: وقد ورد وفق الصور الآتية:

الصورة الأولى: الاسم ظاهر+ الخبر جملة فعليّة: في مئتين وثمانية مواضع، منها قوله:

"مع إجماع الأمّة أنَّ سُمَيَّة لم تكن لأبي سُفيان فراشاً، وأنَّه إنَّما كان بها عاهراً..." (٢/ ١١)

الصورة الثانية: الاسم ضمير+ الخبر جملة فعليّة: في مئتين وستّة وثلاثين موضعًا، منها قوله:

"زعم أنَّه يقول ما لا يفعل..." (٤/ ٥)

النمط الثالث: الاسم+ الخبر جملة اسميّة: وقد ورد وفق الصور الآتية:

الصورة الأولى: الاسم ظاهر+ الخبر جملة اسميّة: في اثنين وعشرين موضعًا، منها قوله:

"والعجب أنَّ الخَلق عند العرب إنَّما هو التقدير نفسه..." (٢/ ١٨)

الصورة الثانية: الاسم ضمير+ الخبر جملة اسميّة: في عشرة مواضع، منها قوله:

"ولولا السلطان لأكل الناس بعضهم بعضًا، كما أنَّه لولا المسيم لوثب السباع على السوام..." (٢/٤٥)

النمط الرابع: الاسم+ الخبر شبه جملة: وقد ورد وفق الصور الآتية:

الصورة الأولى: الاسم ظاهر+ الخبر شبه جملة: في واحد وثلاثين موضعًا، منها قوله:

" قالت الهند: حرمة بلدك عليك مثل حرمة أبويك؛ لأنَّ غذاءك منهما، وغذاءهما منه.." (٢/ ٣٨٥)

الصورة الثانية: الاسم ضمير+ الخبر شبه جملة: في اثني عشر موضعًا، منها قوله:

"إلَّا أنِّي في سبيل أهله وعلى منهاج أصحابه..." (١/ ٣١٤)

الصورة الثالثة: الخبر شبه جملة+ الاسم: في تسعة وثلاثين موضعًا، منها قوله:

" ونحن – رحمك الله – لم نخالف العوام في كثرة أموال النصارى، وأنَّ فيهم ملكًا قائمًا.." (٣/ ٣١٦)

ثانيًا: ورد ضمير الشأن في رسائل الجاحظ اسمًا لـ أنَّ: في عشرين موضعًا، منها قوله:

"فهو يخبط كلّ شيء ويستبطن كلّ واد، حتّى يأتي مكانه؛ على أنَّه طريق لم يسلكه إلَّا مرَّة..." (١/ ٦٤)

ثانيًا: أنْ المخفَّفة:

وقد وردت بعدها الجملتان الاسميَّة والفعليَّة في ستّة مواضع وفق ما يأتي:

أوَّلًا: الجملة الاسميّة: في قوله:

"وألجئوا إلى أنفسهم حتّى يتحقق عندهم أن لا كافي إلَّا بطشهم وحيلهم، وحتَّى تكون الحاجة..." (٤/ ٢٨٩)

ثانيًا: الجملة الفعليّة: في خمسة مواضع، وقد فصل بينهما بالفواصل الآتية:

أوَّلًا: بـ قد: في موضعين، هما:

"ثم رأيت أنْ قد بقي علي أمر من الأمور يمكنني فيه برَّك، وهو عندي عتيدٌ..." (١/ ٩٥)

"ثمّ ينكبُّ على ذلك الدن فيحدِّثه بما سمع، فيروِّح عن قلبه، ويرى أنْ قد نقل سرَّه من وعاء..." (١/ ١٤٥)

ثانيًا: بـ لو: في ثلاثة مواضع، منها قوله:

"ولم آمن أن لو تأخر الجواب عليك أكثر ممَّا تأخر، أن يسبق إلى قلبك أنِّي راضٍ باختيارك..." (٤/ ١٥٥)

النتائج الخاصّة بـ أنَّ:

- أكثر المواقع التي فتحت **أنَّ** فيها المفعوليَّة لما سدَّت مسدَّ مفعولين **بنسبة ٤٧,١٤٪**، ثمّ الجرّ وما عطف عليه **بنسبة ٣١,٤١٪**؛ ممَّا دلَّ على كثرة وقوعها في هذين الموضعين.
- المواضع التي ذكرها النُّحاة ولم ترد في **رسائل الجاحظ**: وقوعها بعد **حتّى** العاطفة أو الجارة، بعد **أمَا**؛ ممَّا يدل على قلَّة ورود هذه المواضع.
- لم ترد **أنَّ** إلَّا في مواضع وجوب الفتح فقط.
- دلّت **أنَّ** على التوكيد في كلِّ المواضع.
- استعمال الجاحظ لها لم يخرج عما قرَّره النُّحاة؛ إذ لم تتصدر الكلام، ولم تقع حالًا، ولا نعتًا، ولا توكيدًا.
- ربطت **أنَّ** ودمجت الجملة التي بعدها باعتبارها عنصرًا تركيبيًا في الجملة السابقة عليها ممَّا أكسبها معاني الفاعليَّة والمفعوليَّة والإضافة. ويعد ربطها ما بعدها بما قبلها على معنى الفاعليَّة ممَّا تختصّ به عن غيرها من الروابط الأخرى باستثناء **أنْ** المصدرية.
- وجد البحث أنَّ كلّ الأفعال التي وردت **أنَّ** ومعمولاها فاعلًا لها لم تكن أفعالًا شخصيَّة بل كانت أفعالًا غير شخصيَّة لا يمكن تمثيلها على الواقع[١] من نحو: وقع، وجب، دعا.
- إذا كان المبتدأ مصدرًا مؤولًا من **أنَّ** ومعموليها وجب تقديم الخبر عليه؛ خوفًا من الالتباس بـ **إنَّ**، ودرءًا لدخول **إنَّ** عليها إذ لا يتوالى الحرفان الدالان على نفس المعنى[٢]، وقد وردت **أنَّ** ومعمولاها في محل رفع مبتدأ متأخرة كما ذكر النُّحاة في **رسائل الجاحظ**.
- إذا وقعت **أنَّ** مفتوحة بعد **لو** فيه إشكالان: أنَّ الشائع في استعمال **لو** أنَّها حرف مختصٌّ بالأفعال فلا تليها الأسماء، أنَّ **لو** حرف شرط غير جازم يربط بين جملتين فهذا موقع جملة وعليه يجب أن تكون **إنَّ** مكسورة لكن الوراد فتحها في هذا الموضع، وفي تفسيرها انقسم العلماء إلى قسمين[٣]:

أ. قسم يرى أنَّها بقيت على اختصاصها بالفعل وما يقع بعدها جملة فعليّة فأعربت **أنَّ** وما بعدها في محلّ رفع فاعل لفعل مقدر، ولأن الفعل لا يحذف إلَّا بدليل جعل الفعل المذكور بعد **أنَّ**

(١) ينظر: السمات التفريعيّة للفعل، حسّانيُّ (٧٠- ٧٤)

(٢) شرح التسهيل لابن مالك، ابن مالك (١/ ٣٠١)

(٣) ينظر: الأصول في النحو، ابن السرَّاج (١/ ٢٦٨)، شرح المفصَّل لابن يعيش، ابن يعيش (٤/ ٥٢٨)، الهمع، السيوطيُّ (١/ ٥٠٢)

مفسرًا، وقدّر الفعل لأنَّ معنى **لو** امتناع لامتناع أي تعلق وجود لوجود ولا يتعلق إلَّا وجود الأفعال، وقد اعُترِض على القائلين به بأنَّ هذا التأويل فيه إضمار فعل وتفسيره بآخر وهذا من الأمور التي لا يُلجأ إليها إلَّا في ضرورة، إضافةً إلى أنَّه جعل خبر **أنَّ** له محل من الإعراب ولا محلَّ له من الإعراب لأنَّه مفسِّر في آنٍ واحد، كما أنَّ هناك مواضع يكون فيها خبر **أنَّ** جامدًا فما الذي يفسِّر الفعل المضمر حينئذٍ، وأجابوا عن هذا الاعتراض باشتراط بعض القائلين به أن يكون خبر **أنَّ** فعل وبعضهم جوّز وقوعه جامدًا.

ب. قسم يرى أنَّ **أنَّ** وما بعدها في محل رفع على الابتداء، وهذا القول في الخبر على رأيين: رأي يساويها بـ **لولا** فالاسم بعدها مرفوع على الابتداء وخبره محذوف، ورأي يرى أنَّه لا خبر لها لطول الجملة بـ **لو** و**أنَّ** وصلتها.

ويتَّجه البحث إلى القول بأنَّ **أنَّ** وصلتها في محل رفع على الابتداء لوجود نظير له في **لولا**، ولأن القول باختصاص **لو** بالفعل فيه نظر؛ لأنَّها مختصَّة ولكنَّها غير عاملة فهي أقلُّ درجة من المختصِّ العامل، وفيه خروج عن الأصل بأنَّ الحرف المختص عامل.

وقد اشترط الزمخشري[1] في هذه الحالة أن يكون خبر **أنَّ** فعلًا، لكنَّ الرضي ذكر أنَّ ورود خبرها فعلًا الأكثر لكنَّه غير غالب، والأكثر فيه أن يكون ماضيًا؛ "لكونه كالعوض من شرط **لو** الذي هو الماضي"[2]. وقد وجد البحث أنَّ استعمال الجاحظ لها موافقًا لما ذكره الزمخشري من كون خبر **أنَّ** فعلًا، وفي كلّ المواضع جاء ماضيًا.

- وجد البحث في استعمال الجاحظ لضمير الشأن اسمًا لـ **أنَّ** أنَّه لم يرد لديه إلَّا مذكرًا، وأنَّه لا عائد عليه من الجملة المفسَّرة، وإذا كان ضمير الشأن مع **إنَّ** قد هيَّأها للدخول على الجملة الفعليَّة وجنبَّها الوقوع في المحظورات النحوية، فإنَّه قد خلُص لدلالته على التفخيم مع **أنَّ**، إذ ورد خبرها مفردًا وجملةً اسميّة، وإن كان أكثر وروده جملة فعليّة.
- ورود **أنْ** المخفَّفة أقل من المشدَّدة بكثر حيث لم تقع إلَّا في ستّة مواضع مقابل الكثرة الكاثرة للمشدَّدة.
- التزم الجاحظ بما ذكره النُّحاة من ضرورة الفصل بين المخفَّفة والجملة الفعليّة بعدها والفواصل التي استعملها **لو**، و**قد**.

(١) ينظر: المفصَّل، الزمخشريُّ (٢/ ٢١٦)

(٢) شرح الرضي على الكافية، الأستراباذيُّ (٣٦٣/٢)

ثالثًا: لَيْت:

وردت في موضع واحد في قوله:

"فأما اليوم فيا ليتني كنت أقصر منك وأضوى، وأقلَّ منك وأقما..." (٣/ ٦٩)

وفيه وقعت **ليت** وفق اللغة المشهورة فيها، واسمها ضمير متكلم، وخبرها جملة فعليّة ماضٍ فعلها، وقد استشكل بعض النُّحاة وقوع الماضي خبرًا لها؛ لأنَّها تخرج للكلام من الإخبار إلى الإنشاء والماضي خبر وليس إنشاء، ولا يرى البحث فيه إشكال؛ فالسياق سوَّغ مجيئه لخروجها هنا مخرج التحسُّر وإن كان السياق العام للنصِّ السخرية، وتعدُّ **ليت** أقلُّ الحروف الناسخة ورودًا في **رسائل الجاحظ**.

رابعًا: لكنَّ:

وردت لكنَّ في رسائل الجاحظ مشدَّدة ومخفَّفة على النحو الآتي:

أوَّلًا: لكنَّ المشدَّدة: وردت في اثنين وعشرين موضعًا دالّة على الاستدراك في أحد عشر موضعًا منها، وبعد الامتناع بـ **لو ولولا** دالّة على التوكيد في أحد عشر موضعًا منها على النحو الآتي:

أوَّلًا: الاستدراك بها بعد الإثبات: في ستّة مواضع، وفق الأنماط الآتية:

الأوَّل: لكنَّ+ الاسم+ جملة فعليّة ماضٍ فعلها مثبت: في موضعين، منهما:

"وهذا كلّه بحضرة جلَّة المهاجرين، والسلف المقدَّمين، والأنصار والتابعين...ولكنَّ الناس كانوا على طبقات مختلفة، ومراتب متباينة: من قاتل، ومن شادٍّ على عضده، ومن خاذل عن نصرته..." (٢/ ٩)

الثاني: لكنَّ+ اسمها + جملة فعليّة مضارع مثبت فعلها: في ثلاثة مواضع، منها قوله:

"..ولكنّي أوصيك برياضة نفسك حتّى تذلِّلها على الأمور المحمودة؛ فإنَّ كلّ أمر ممدوح هو ممَّا تستثقل النفوس. وممَّا تسرُّ به وتنقلب إليه الأخلاق المذمومة..." (١/ ١٣٣)

الثالث: لكنَّ+ الاسم+ جملة شرطية مصدرة بـ إذا: في قوله:

"وقد كنت أنا على ذلك قادرًا، وبه مستوصيًا؛ ولكنّ الرجل الرفيع إذا رفع الشيء ارتفع..." (١/ ٢٩١)

ثانيًا: الاستدراك بها بعد النفي: في خمسة مواضع، وفق الأنماط الآتية:

الأوَّل: لكنَّ+ اسم+ متعلق الخبر+ الخبر مفرد: في قوله:

"وليس أنَّه ليس في الأرض تركيٌّ إلَّا وهو كما وصفنا، كما أنَّه ليس كلّ يونانيٍّ حكيمًا ولا كلّ صينيٍّ غاية في الحذق، ولا كلّ أعرابيٍّ شاعرًا قائفًا، ولكنَّ هذه الأمور في هؤلاء أعمُّ وأتمُّ..." (١/ ٧٣)

الثاني: لكنَّ+ الاسم+ جملة فعليّة ماضٍ مثبت فعلها: في ثلاثة مواضع، منها قوله:

"لا ولكنّك استغمرتني واستضعفتني، وجعلتني فرُّوج الرفاء، وتريد أن تتعلم في معاقبة الأعداء.." (١/ ٢٦٨)

ذكر الجاحظ قبل ثلاث صفحات من هذه العبارة قوله: "جعلت فداك، إنِّي قد أحصيت جميع أسباب التعادي، وحصلت جميع علل التضاغن، إلَّا علَّة عداوة الشيطان للإنسان؛ فإنِّي لا أعرف إلَّا مجازها في الجملة ولا أحقَّ خاصَّتها على التحصيل. وعلى حالٍ فقد عرفتها من طريق الجملة وإن جهلتها من طريق التفصيل. فأمَّا هذا التجنِّي فلم أعرفه في خاصٍّ ولا عامٍّ.." (١/٢٦٥)

الثالث: لكنَّ+ الاسم+ جملة فعليّة فعلها مضارع مثبت: في قوله:

"وحسد الجاهل أهون شوكة وأذلُّ محنًا، من حسد العارف الفطن؛ لأنَّ الحاسد الجاهل يبتدر إلى الطعن على الكتاب في أوَّل وهلة يقرأ عليه، من قبل استتمام قراءته ورقة واحدة؛ ثمّ لا يرضى بأيسر الطعن وأخفَّه حتّى يبلغ منه إلى أشده وأغلظه، من قبل أن يقف على فصوله وحدوده. وليس ثلبه مفسرًا مفصلًا، ولكنّه يجمل ذلك ويقول: هذا خطأ من أوله إلى آخره، وباطل من ابتدائه إلى انقضائه، ويحسب أنَّه كلما ازداد إغراقًا وطعنًا وإطنابًا في الحمل على واضع الكتاب، كان ذلك أقرب إلى القبول منه.." (١/ ٣٥١)

ثالثًا: التوكيد بـ لكنَّ بعد الامتناع:

أوَّلًا: بعد لو: في تسعة مواضع، وفق الأنماط الآتية:

الأوَّل: لكنَّ+ الاسم+ الخبر مفرد: في موضعين، منهما قوله:

"فلو كان حرامًا وهي شابَّة لم يحلّ إذا عنست، ولكنَّه أمر أفرط فيه المتعدون حدَّ الغيرة إلى سوء الخلق وضيق العَطَن، فصار عندهم كالحقِّ الواجب..." (٢/ ١٥٧)

الثاني: لكنَّ+ الاسم+ الخبر جملة فعليّة ماضٍ مثبت فعلها: في أربعة مواضع، منها قوله:

"فلو لم يكن يوسف عليه السلام أظهر فضله بالكلام، والإفصاح بالبيان، مع محاسنه المونِّقة، وأخلاقه الطاهرة، وطبائعه الشريفة، لما عرف العزيز فضله، ولا بلغ تلك المنزلة لديه، ولا حلَّ ذلك المحلَّ منه، ولا صار عنده

بموضع الأمانة، ولكان في عداد غيره ومنزلة سواه عند العزيز. ولكنَّ الله جعل كلامه سببًا لرفع منزلته، وعلوِّ مرتبته، وعلَّة لمعرفة فضيلته، ووسيلة لتفضيل العزيز إياه..." (٤/ ٢٣٤)

الثالث: لكنَّ+ الاسم+ الخبر جملة فعليّة مضارع فعلها مثبت: في موضعين، منهما قوله:

"ولو أنَّ الزنجيَّ والزنجيَّة إذا تناكحا بقيت أولادهما بعد الحيض والاحتلام ببلاد العراق، كانوا قد غلبوا على الدار بالعدد والجلد، والعلم والتدبير، ولكنَّ ولد الهنديِّ والهنديَّة، والروميِّ والروميَّة، والخراسانيِّ والخراسانيَّة، يبقون فيكم وفي بلادكم كبقاء آبائهم وأمهاتهم..." (١/ ٢١٢)

الرابع: لكنَّ+ الاسم+ الخبر جملة فعليّة مضارع منفيّ فعلها: في قوله:

"فلو كنت إذ أردت ما أردت، وحاولت ما حاولت، رفعت قبل كلّ شيء المؤانسة، ثمّ أبيت المؤاكلة، ثمّ قطعت البر، ثمّ أذنت مع العامة، ثمّ أعملت الحرمان، ثمّ صرحت بالجفوة، ثمّ أمرت بالحجاب، ثمّ صرمت الحبل، ثمّ عاديت واقتصدت، ثمّ من بعد ذلك كلّه أسرفت واعتديت، لكنت واحدا ممّن يصبر أو يجزع، فلعلّي كنت أعيش بالرفق، وأتبلَّغ بحشاشة النفس، وأعلِّل نفسي بالطمع الكاذب. ولكنّ فجاءات الحوادث وبغتات البلاء لا يقوم لها الحجر القاسي، ولا الجبل الراسي..." (١/ ٢٥٧)

ثانيًا: بعد لولا: في موضعين، وفق الأنماط الآتية:

الأوَّل: لكنَّ+ اسمها+ الخبر جملة فعليّة مضارع فعلها مثبت: في قوله:

"ولولا أنَّ في طاقة الناس قبول التلقين وفهم الإرشاد، لكانوا هملًا، ولتركوا نشرًا جشرًا، ولسقط عنهم الأمر والنهي. ولكنَّهم قد يفضِّلون بين الأمور إذا أوردت عليهم، وكفوا مئونة التجربة..." (٤/ ٣٢٢)

الثاني: لكنَّ+ اسم+ الخبر جملة فعليّة مضارع منفيّ فعلها: في قوله:

"ولولا أنَّ الزنجيَّ والزنجيَّة قليلًا ما يريدان من الغرائب والغرباء، لكنّا على حال سنرى لرجال الزنج نسلًا كثيرًا. ولكنّ الزنجيَّة لا تكاد تنشط لغير الزنجيِّ..." (١/ ٢١٣)

ثانيًا: لكنْ المخفَّفة: وردت **لكنْ** مخفَّفة مهملة في عشرين موضعًا، تلتها الجملة الاسميّة في ثمانية مواضع، والجملة الفعليّة في اثني عشر موضعًا، على النحو الآتي:

أوَّلًا: تلتها جملة اسميّة: وقد وردت في الصور الآتية:

الأولى: جملة اسميّة خالية من النواسخ والاستفهام: في خمسة مواضع، منها قوله:

"ولولا ذلك لماتوا كمدًا، ولذابوا حسدًا، ولكن كلّ إنسان وإن كان يرى أنَّه حاسد في شيء فهو يرى أنَّه محسود في شيء..." (٣/ ٢٤٤)

الثانية: جملة اسميّة مصدرة بـ ما الاستفهاميّة: في قوله:

"وأشباه هذا كثيرة تركت ذكرها، لأنِّي لم أقصدك بالمسألة أبتغي منك تحليل ما يجلب المضرة. ولكن ما تقول فيما يسرك ولا يسوءك، وما إذا شربته تلقته العروق فاتحة.." (٤/ ٢٦٧)

الثالثة: جملة اسميّة مصدرة بـ لا النافية للجنس: في موضعين، منهما قوله:

"وإن نحن سألناهم عن الفقهاء قالوا: علي، وعمر، وابن مسعود، وزيد بن ثابت، وأبي بن كعب. على أنَّ علياً كان أفقههم، لأنَّه كان يسأل ولا يسأل، ويفتي ولا يستفتي، ويُحتاج إليه ولا يُحتاج إليهم، ولكن لا أقلَّ من أن نجعله في طبقتهم وكأحدهم.." (٤/ ٢٠٨)

ثانيًا: تلتها جملة فعليّة: وقد وردت في الصور الآتية:

الأولى: جملة فعليّة ماضٍ مثبت فعلها: في ستّة مواضع، منها قوله:

"والذي ذكر من تفضيل الكلام ما ينطق به القرآن، وجاءت فيه الروايات عن الثقات، في الأحاديث المنقولات، والأقاصيص المرويَّات، والسمر والحكايات، وما تكلمت به الخطباء ونطقت فيه البلغاء أكثر من أن يبلغ آخرها، ويدرك أوَّلها، ولكن قد ذكرت من ذلك على قدر الكفاية..." (٤/ ٢٣٣)

الثانية: جملة فعليّة ماضٍ فعلها: في ثلاثة مواضع، منها قوله:

" إنَّه لا يأتيك ولكن يناديك ولا يحاكيك ولكن يوازيك..." (٣/ ٢٠)

الثالثة: جملة فعليّة أمر فعلها: في ثلاثة مواضع، منها قوله:

" فلا تقف – حفظك الله – بعد مضيك في عقابي التماسًا للعفو عني، ولا تقصر عن إفراطك من طريق الرحمة لي؛ ولكن قف وقفة من يتَّهم الغضب على عقله، والشيطان على دينه، ويعلم أنَّ للعقل..." (١/ ٢٦١)

وقد تصدرت لكنْ جملًا قد حذف أحد أركانها لدلالة ما سبق عليه: وقد وردت في خمسة مواضع، منها قوله:

"ومن رأيته منصرفاً عن بعض اللؤم، وتاركاً لبعض القبيح، فإيأَّك أن توجه ذلك منه على التجنب له، والرغبة عنه، والإيثار لخلافه، ولكن على أنَّه لا يشتهيه أو لا يقدر عليه، أو يخاف من مرارة العاقبة أمراً يعفي..." (٤/ ١٧٧)

النتائج الخاصّة بـ لكنَّ:

- تقارب ورود لكنَّ المشدَّدة والمخفَّفة في **رسائل الجاحظ بنسبة ٥٢,٣٨٪ للمشدَّدة و ٤٨,٦١٪ للمخفَّفة.**
- تساوت مواضع دلالة لكنَّ المشدَّدة على الاستدراك والامتناع **بنسبة ٥٠٪** لكلٍ منهما.
- دلّت **لكنَّ** في **رسائل الجاحظ** على الاستدراك في المواضع التي غاير ما بعدها ما قبلها.
- دلّت **لكنَّ** على التأكيد لما لم يغاير ما بعدها لما قبلها وهذا في سياق الامتناع بـ **لو، ولولا**.
- ربطت **لكنَّ** بين الجملتين التي تسبقها والتي تليها، والربط هنا دلالي وليس كالعطف الذي يربط في العامل، ومن أدلته تضعيفهم دخول **لام الابتداء** على خبرها "أنَّها متعلقة بما قبلها، **واللام** منقطعة، فلو دخلت **اللَّام** لأشعر نقيضتين متغايرتين"[1].
- لم يرد خبرها طلبًا أبدًا ممَّا يضعف ما ذهب إليه بعض النُّحاة من تجويز وقوع الطلب خبرًا لها إذا كان جملة.
- نلاحظ أنَّ خبر **لكنَّ** لم يرد شبه جملة أبدًا، ولم يتقدَّم متعلق الخبر عليه، ولم يرد خبرها متقدمًا على الاسم، ولم يرد اسمها نكرة.
- الغالب في استعمالها عند الجاحظ أن تسبق بـ **الواو** العاطفة.
- لما خفِّفت لم تعمل ممَّا يؤيد القول بشذوذ إعمالها عند التخفيف.
- قد دخلت بعد التخفيف على الجملتين الاسميَّة والفعليَّة.
- ذهب البحث إلى القول بالحذف عندما دخلت المخفَّفة على جملة حذف أحد ركنيها بدلًا من القول بأنَّها مفردات معطوفة على ما قبلها على الرغم من جوازه؛ لكونه أليق "لأنَّ **لكنْ** ليست

(١) أمالي ابن الحاجب، ابن الحاجب (٢/ ٦٩٤)

عاطفة لأجل **الواو**، فالأليق بها أن تدخل على الجمل كمثل التي ليست بعاطفة"[1]؛ فنقدِّر لما بعد **لكنْ** أسماء لتكون مبتدأ، نحو: هذا، هذه، وتكون **الواو** عاطفة للجمل.

خامسًا: لعلَّ:

وردت **لعلَّ** في **رسائل الجاحظ** في ثلاثة وثلاثين موضعًا دالّة على المعاني الآتية:

أوَّلًا: لعلَّ الدالّة على الترجي: في ستّة عشر موضعًا، وأنماط تركيب جملتها على النحو الآتي:

الأوَّل: لعلَّ+ اسمها+ خبرها مفرد: وللخبر المفرد صورتان:

الأولى: خبرها مفرد ليس بمصدر مؤول: في قوله:

"فيقضى للرجل بالإسلام بما يظهر منه ولعلَّه ملحد فيه.." (٢/ ١٦٥)

الثانية: خبرها مصدر مؤول أنْ+ الفعل المضارع: في ثلاثة مواضع، منها قوله:

"لعلَّه ألَّا يخطر بباله.." (١/ ١٥٤)

الثاني: لعلَّ+ اسمها+ خبرها جملة فعليّة، وللفعل في الجملة عدَّة صور على النحو الآتي:

الأولى: فعل ماضٍ غير متَّصل بـ قد: في ثلاثة مواضع، في قوله:

"وافهم يرحمك الله ما أنا واصفه لك: هل يجد التارك لتصديقه أنَّه لا يدري بزعمه، لعلَّه كان أعلم الخلق بالنجوم، ناظرًا لنفسه، غير معاند لحجَّة عقله.." (٣/٢٦٤)

الثانية: فعل ماضٍ متَّصل بـ قد: في ثلاثة مواضع، منها قوله:

"لأنَّا كنَّا لا ندري، لعلَّه قد كان ذا فضيلة في الفطنة، فلعلَّه قد كان ذا نقص فيها..." (٤/ ٢٢)

الثالثة: فعل مضارع مثبت: في موضعين، منهما قوله:

"من لعلَّنا نصير إلى ذكره ممن عزب عنا ذكره، وأنسينا اسمه، ولم يحطّ علمنا به، فنصيره في موضعه..." (٣/ ١٣٥)

ثانيًا: لعلَّ الدالّة على الاستفهام، وقد وقعت في موضع واحد وكان تركيب الجملة على النحو الآتي:

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبيُّ (٩/ ١٢٨)

لعلَّ+ اسمها+ خبرها فعل ماضٍ متَّصل بـ قد:

"فإن قال لنا قائل: ما تدرون، لعلَّ الأنبذة قد دخلت في ذكر تحريم الخمر، ولكن لما كان الابتداء أجري في ذكر تحريم الخمر، خرج التحريم عليها وحدها في ظاهر المخاطبة، ودخل سائر الأشربة في التحريم بالقصد والإرادة..." (٤/ ٢٧٤)

ثالثًا: لعلَّ الدالّة على الإشفاق: في اثني عشر موضعًا، وأنماط تركيب جملتها على النحو الآتي:

الأوَّل: لعلَّ+ اسمها+ خبرها مفرد مصدر مؤول أنْ+ فعل مضارع: في أربعة مواضع، منها قوله:

"ولعلَّ قائلًا أن يقول: وكيف لم تذكر أمير المؤمنين، والمعتصم برب العالمين، الذي حقَّق الله به..." (١/ ٣٠٦)

الثاني: لعلَّ+ اسمها+ متعلق الخبر+ خبرها مفرد: في قوله:

"ولعلَّها بالمبطلين أقرُّ عينا منها بالمحقين، وإنَّما العامة أداة للخاصّة تبتذلها للمهن، وتزجي لها ..." (٤/ ٣٦)

الثالث: لعلَّ+ اسمها+ خبرها جملة فعليّة، وللفعل في الجملة عدَّة صور على النحو الآتي:

الأولى: فعل مضارع مثبت: في ثلاثة مواضع، منها قوله:

"ولعلَّ قائلًا يقول: وأهل مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم وسكان حرمه ودار هجرته.." (٤/ ٢٧٦)

الثاني: فعل مضارع منفي: في موضعين، هما:

"ولعلَّه لم يلده الأب الذي ادعى إليه قط.." (٢/ ١٦٥)

"فإن قالوا: ولعلَّهم لا يعرفون الله ورسوله، كما لا يعرفون عدله من جوره، وتشبيهه بخلقه من نفي..." (٤/ ٤١)

الرابع: لعلَّ+ اسمها+ خبرها جملة شرطية مصدرة بـ لو: في قوله:

"ولعلَّ رجلا لو قيل له: لا تمسح يدك بهذا الجدار – وهو لم يمسحها به قط – غَرِيَ بأنَّ يفعل..." (١/ ١٥٤)

الخامس: لعلَّ+ اسمها+ متعلق الخبر+ خبرها شبه جملة جار ومجرور: في قوله:

"فقلنا لكم: لعلَّكم على خطأ، ولعلَّكم من هذه الأقاويل على غرر، لم يعد جوابكم استشهادًا..." (٤/ ٥٦)

رابعا: لعلَّ الدالّة على الشكّ، في أربعة مواضع، وأنماط تركيب جملتها على النحو الآتي:

الأوَّل: لعلَّ+ اسمها+ خبرها مفرد ليس بمصدر مؤول: في قوله:

"قلنا: إنَّ الأحكام إنَّما على ظاهر الأمور، ولم يكلِّف الله العباد الحكم على الباطن، والعمل على النيات، فيقضى للرجل بالإسلام بما يظهر منه ولعلَّه ملحد فيه.." (٢/ ١٦٥)

الثاني: لعلَّ+ اسمها+ خبرها جملة فعليّة، والفعل في الجملة ورد في صورتين على النحو الآتي:

الأولى: فعل ماضٍ غير متَّصل بـ قد: في أربعة مواضع في قوله:

"فإن كنَّا أصبنا فالصواب أردنا، وإن كنَّا أخطأنا فما ذاك عن فساد من الضمير، ولا قلَّة احتفال بالتقصير. ولعلَّ طبيعة خانت، أو لعلَّ عادة جذبت، أو لعلَّ سهوا اعترض، أو لعلَّ شغلًا منع..." (٣/ ١٠٧)

الثانية: فعل ماضٍ متَّصل بـ قد: في قوله:

"ولعلَّ ذلك كلّه قد كان شائعًا في دين هود وصالح وشعيب وإسماعيل، إذ كان شائعًا في كلام العرب في إثبات ذلك وإنكاره..." (٣/ ٣٣١)

الثالث: لعلَّ+ اسمها+ متعلق الخبر+ خبرها شبه جملة جار ومجرور: في قوله:

"ولعلَّكم من هذه الأقاويل على غرر، لم يعدّ جوابكم استشهاد الضرورات..." (٤/ ٥٦)

النتائج الخاصّة بـ لعلَّ:

- وردت **لعلَّ** وفق اللغة المشهورة فيها.
- وردت **لعلَّ** دالّة على الترجي والاستفهام والإشفاق والشكّ؛ ولكنَّ دلالتها على الترجي **أكثر بنسبة ٤٨,٤٨٪**.
- من المعاني التي ذكرها النُّحاة لـ **لعلَّ** ولم ترد عند الجاحظ التعليل.
- ورد خبرها مصدرًا مؤولًا مكونًا من **أنْ** وفعل المضارع على خلاف تخصيص سيبويه له بالشعر، وخلاف المبرد الذي قلَّله[1]؛ إذ ورد في الرسائل **بنسبة ٢١,٢١٪**.

(١) ينظر: الكتاب، سيبويه (٣/ ١٦٠)، المقتضب، المبرّد (٣/ ٧٤)

- ورد خبرها فعلًا ماضيًا مخالفًا لما اشترطه النُّحاة من امتناع وقوع الماضي خبرًا لها، ووروده ماضيًا يتَّفق مع ما ذكره ابن هشام[1].
- لم يقترن خبرها بـ **السين** و**سوف** وفق ما نصَّ عليه النُّحاة.
- لم يرد خبرها عندما دلّت على الإشفاق من **أنَّ** ومعموليها وفق ما نص عليه النُّحاة.
- لم يتصل خبرها بـ **الفاء** وفق ما نص عليه النُّحاة.
- نلاحظ أنَّ الجاحظ في سياقات الترجي وظَّف **لعلَّ** في إقناع المتلقِّي بفكرته، وبوعده له بمزيد من الانتاج العلمي والأدبي.
- لاحظ البحث أنَّ الجاحظ في سياقات الإشفاق وظَّف **لعلَّ** في توقع اعتراضات للمتلقِّين حول موضوع الرسالة، ويجمع هذه الاعتراضات أنَّها تكون حول منهج الرسالة، ولا شكَّ أنَّ الاعتراض على منهج الكاتب من أكثر ما يشفق منه الكاتب الجادُّ؛ لأنَّه يفتت ما يكتبه بسهولة. كما استعملها في الإشفاق في مقدمة رسالة **حجج النبوة**؛ لبيان سبب تأليف كتابه واضعًا إشفاقه في سياق التشويق لمتابعة قراءة الرسالة ووقوعها موقع الاهتمام لدى المتلقِّي.

سادسًا: كأنَّ:

لم ترد كأنَّ في رسائل الجاحظ إلَّا مشدَّدة:

أنماط تركيب جملة كأنَّ: وردت على النحو الآتي:

الأوَّل: كأنَّ+ الاسم معرفة+ الخبر مفرد، وقد تفرع عنه وفق تقسيم المفرد إلى جامد ومشتق نوعان:

الأوَّل: الجامد: في تسعة مواضع، منها قوله:

"لأنَّك ترى الخصيّ ...وكأنه مرآة صينية، وكأنه جمارة، وكأنه قضيب فضَّة قد مسَّه ذهب.." (٢/ ١٢٣)

الثاني: المشتق: في ثلاثة مواضع، منها قوله:

"وإن أمسكت اقتضوك ذلك، فصرت كأنك ممتنٌّ عليهم بحديثك، وأنصتوا لك ما لم ينصتوا لغيرك.." (١/ ١١٨)

الثاني: كأنَّ+ الاسم معرفة+ الخبر جملة فعليّة ماضٍ مثبت فعلها: ولقد جاء هذا في صورتين:

(١) ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام (٣٨٠)

الأولى: مرتبة قد ولي الاسم فيها الخبر: في خمسة مواضع، منها قوله:

"..أو كأنَّها خرطت من ياقوتة.." (٣/ ١٤٤)

الثانية: توسط متعلق الخبر بينه وبين الاسم: في قوله:

"وكأنَّ إبراهيم عليه السلام حين صار في الله مختلا أضافه الله إلى نفسه، وأبانه بذلك عن سائر أوليائه.." (٣/ ٣٤٠)

الثالث: كأنَّ+ الاسم معرفة+ الخبر جملة فعليّة مضارع فعلها، ووفق تقسيم الفعل إلى منفيّ ومثبت تفرعت عنه صورتين:

الأولى: الفعل مثبت: في قوله:

"سمعتك وأنت تريدني وكأنَّك تريد غيري، أو كأنَّك تشير علي من غير أن تنصني..." (١/ ٢٤٦)

"وما تقول في المعتق من أنبذة التمر، فإنَّك تنظر إليه وكأن النيران تلمع من جوفه..." (٤/ ٢٧١)

الثانية: الفعل منفي: في ستّة مواضع، منها قوله:

"فما هذا العناء! كأنَّك لم تقرأ المعوِّذة، ولم تسمع مخاطبته نبيه..." (٣/ ١٩)

الرابع: كأنَّ+ الاسم+ الخبر شبه جملة: وجاء في صورتين:

الأولى: تأخر الخبر عن الاسم معرفة: في قوله:

"حتّى كأنَك عند عبد يشبهك، أو سُوقة لا يقدر إلَّا على مثلك.." (٣/ ١٥٦)

الثانية: تقدم فيها الخبر على الاسم: والاسم في أحدهما معرفة وفي الآخر نكرة: في موضعين، هما:

"وكأنَّ في وجناته الورد.." (٢/ ١٢٣)

"وكأنَّ في مائهم مزاج دهن..." (٤/ ١٤٣)

النتائج الخاصّة بـ كأنَّ:

- دلّت **كأنَّ** على التشبيه المؤكَّد في كلّ المواضع التي وردت فيها.

- دلّت على التشبيه المؤَكَّد لما كان خبرها مشتقًا، وهذا خلاف ما ذكره النُّحاة من أنَّها تدلّ على الشكِّ في هذه الحالة.
- من المعاني التي ذكرها النُّحاة ولم ترد عند الجاحظ النفي، والتقريب.
- لم يرد تخفيفها عند الجاحظ.

سابعًا: لا النافية لجنس:

وردت **لا** النافية للجنس في **رسائل الجاحظ** في ثلاثة أحوال على النحو الآتي:

أوَّلًا: ذكر اسمها وخبرها:

وقد وردت في ستّة وأربعين موضعًا، ولتركيب جملتها أربعة أنماط على النحو الآتي:

الأوَّل: لا+ اسمها مفرد+ خبرها مفرد: في ثمانية مواضع، مها قوله:

"الذي لا شيء أعظم منه..." (٣/ ١٤٧)

الثاني: لا+ اسمها مفرد+ خبرها شبه جملة جار ومجرور: وقد تفرع عنه صورتين:

الأولى: الخبر مجرور بحرف جر ملفوظ: في سبعة عشر موضعًا، منها قوله:

"غير أنَّه لا لوم على صاحب الخيانة فيه..." (١/ ١٤٨)

الثانية: الخبر مجرور بحرف جر مقدر: في ثلاثة مواضع، منها قوله:

"ولا بأس أن يكونوا عجمًا وموالي..." (٤/ ٢٨٥)

الثالث: لا+ اسمها مفرد+ خبرها شبه جملة ظرف: في ستّة عشر موضعًا، منها قوله:

"..لا اختيار عندهم، وأعراب أجلاف، وأشباه الأعراب.." (٤/ ٢١٢)

الرابع: فصل بين الاسم والخبر بمعمول الخبر: في قوله:

"ولا أروح على القلوب من الإنصاف، ولا أمر من الظلم، ولا أبشع من الجور..." (١/ ١٦١)

ثانيًا: الحذف: وقد ورد في أحد عشر موضعًا على النحو الآتي:

أوَّلًا: حذف الاسم: في قوله:

"فإذا جمع إلى قوَّة عقله علمًا، وإلى علمه حزمًا، وإلى حزمه عزمًا، فذلك الذي لا بعده..." (٤/ ٣٠٥)

ثانيًا: حذف الخبر: في عشرة مواضع على النحو الآتي:

أولًا: مع التكرير: في موضعين، هما:

"فإنَّه لا حدَّ له ولا نهاية..." (١/ ١٥٧)

"وقد يعظم المفرج الذي لا ولاء له ولا عقد جوار، ولا عهد حِلف..." (٤/ ١٨٨)

ثانيًا: بغير تكرير: في موضعين، هما:

"ولا ضير إن كان هذا الذي قلنا على إخلاص وصحة عهد، وعلى صدق سيرة وثبات عقد..." (٤/ ٢٢٣)

"لا جرم لقد احتلبوا به دما لا تطير رغوته، ولا تسكن فورته، ولا يموت ثائره، ولا يكلُّ طالبه.." (٢/ ٩)

ومن التراكيب المشهورة والتي حذف فيها الخبر لاسيما ولقد وردت في الرسائل في حالتين:

الأولى: لاسيَّما+ جملة شرطية: في خمسة مواضع، منها قوله:

"ولا سيَّما إذا صادفته حلو الشمائل، رشيق الإشارة.." (٢/ ١٧٤)

الثانية: لا سيَّما+ واو حالية: في قوله:

"ولا سيَّما ولست عندك ممَّن يدرك كسبه أو تبلغ نصرته.." (١/ ٢٥٥)

ثالثًا: خبرها يحتمل الذكر والحذف:

لا+ اسمها أقحمت لام بينه وبين ما يليه+ خبرها شبه جملة جار ومجرور: في تسعة وعشرين موضعًا، منها قوله:

"وضرب من الناس همج هامج، ورعاع منتشر، لا نظام لهم" (٤/ ٢١٢)

النتائج الخاصّة بـ لا النافية للجنس:

- دلّت **لا** النافية للجنس في كلّ المواضع على النفي العام.
- ورد ذكر اسمها وخبرها أكثر من الحذف **بنسبة ٧٩,٧٢٪**.
- استوفت كلّ الشروط التي اشترطها النُّحاة لعملها في كلّ المواضع.

- في كلّ المواضع ورد اسمها مفردًا؛ ممَّا يدل على قلَّة أنواع الاسم الأخرى التي ذكرها النُّحاة.
- حذف اسمها أقلُّ من حذف خبرها حيث لم يرد إلَّا في موضع واحد فقط ممَّا يتَّفق مع ما ذكره النُّحاة من القلة.
- لم يحذف إلَّا خبرها في حالتي التكرير، ودلالة السياق عليه.
- حذف خبرها مع **سيَّ** لأنَّ **ما** في كلّ هذه المواضع كافَّة لوقوع الجملة الشرطية بعدها؛ لأنَّها "إن قُدّرت **ما** زائدة لم يجز ؛ لأنَّه يلزم إضافة **سيّ** إلى جملة الشّرط، وذلك لا يجوز"(١)، ولوقوع **الواو** الحالية بعدها(٢).

(١) الارتشاف، أبو حيَّان الأندلسيُّ (٣/ ١٥٥٢)

(٢) ينظر: حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي، الخفاجيُّ الشهاب (٢/ ٨٣)

النتائج العامة لحروف الناسخة:

وردت كلّ الحروف الناسخة في **رسائل الجاحظ** وفق النسب الآتية:

- **إنَّ** وردت بنسبة ٢٣,٠٦٪.
- **أنَّ** بنسبة ٥٨,٤٢٪.
- **ليت**: وردت في موضع واحد فقط.
- **لكنَّ**: وردت بنسبة ١,٦٦٪.
- **لعلَّ**: وردت بنسبة ٢,٥٠٪.
- **كأنَّ**: وردت بنسبة ٢,٢٠٪.
- **لا النافية للجنس**: وردت بنسبة ٦,٩٨٪.

يلاحظ هنا أنَّ أكثر الحروف الناسخة ورودًا **أنَّ**، ثمّ **إنَّ** ممَّا يقوّي ما ذهب إليه النُّحاة من أنَّ **إنَّ** أم الباب باعتبار **أنَّ** فرع عنها، وباقي الحروف وردت بنسب أقل لا تقارن بها، وأقلها ورودًا **ليت**.

وفيما يتعلق بدلالة الحروف الناسخة فيلاحظ أنَّها لم تخرج عن الدلالات التي ذكرها النُّحاة لها؛ فنجد أن **إنَّ وأنَّ** لم تخرجا عن الدلالة على التأكيد، و**ليت** لم تخرج عن التمنّي، و**لكنَّ** تراوحت بين معنيي الاستدراك والتوكيد بناءً على السياق الذي وردت فيه، و**لعلَّ** تراوحت بين معاني الترجّي والاستفهام والإشفاق والشكِّ، و**كأنَّ** لم تخرج عن معنى التشبيه، و**لا** النافية للجنس لم تخرج عن الدلالة على النفي العامّ.

وفيما يتعلق باستعمالها فنجد أنَّها لم تخرج في المجمل العامّ عمَّا ورد عند النحاة.

المبحث الثاني:

حروف الجرّ

هذا المبحث سيتناول دراسة حروف الجرّ الواردة في **رسائل الجاحظ**، وهي: **مِن، إلى، في، عنْ، على، اللَّام، الكاف، الباء، الواو، رُبّ** مرتَّبة وفق ما ذكر، وقد أهمل البحث الأحرف التي لم ترد عند الجاحظ، وهي: **التاء، ومنذ، ومذ وحتَّى الجارَّة للأسماء الصريحة**.

وحروف الجر من حيث الحرفيَّة والاسميَّة فهي تنقسم إلى:

"القسم الأول: وهو الحروف التي استعملت حروفًا فقط، وهي تسعة **من**، و**إلى**، و **حتى**، و**في**، و**الباء**، و**اللام**، و**رُبَّ**، و**واو القسم**، و**تاؤه**. فهذه لا تكون إلا حروفا؛ لأنها تقع في الصلات وقوعا مطردا من غير قبح، نحو قولك: "جاءني الذي من الكرام"، و"رأيت الذي في الدار"، وكذلك سائرها. ولو كانت أسماء، لم يجز وقوعها هنا في الصلات؛ لأن الصلة لا تكون بالمفرد، ولأنها لا تقع موقع الأسماء فاعلة ومفعولة ولا يدخل على شيء منها حرف الجر، ولا تكون أفعالا, لأنها تقع مضافة إلى ما بعدها، والأفعال لا تضاف، وسيأتي الكلام على كل حرف منها مفضلا.

وأمَّا القسم الثاني: وهو ما استعمل حرفا واسما، وهي خمسة: **على**، و**عن**، و**الكاف**، و**مذ**، و**منذ**. فهذه تكون حروفًا...."[1]

وقد سُمِّيت هذه الحروف بعدة تسميات منها حروف الجرِّ؛ لأنَّها لجرِّها معنى الفعل إلى الاسم إذا عجزت عن الوصول إليه بنفسها ولعملها الجرَّ، كما سُمِّيت حروف الإضافة؛ لأنَّها للإضافة والربط الذي تحدثه بين الاسم والفعل[2] ، وسُمِّيت حروف الصفات؛ لأنَّها "تحدث صفة في الاسم فقولك جلست في الدار دلَّت (في) على أن الدار وعاء للجلوس وقيل لأنَّها تقع صفات لما قبلها من النكرات.."[3] .

وتعدُّ حروف الجرّ من أكثر حروف المعاني استعمالًا، ومن أهم عناصر توسيع الجملة العربيَّة، وقد عملت لاختصاصها بالدخول على الأسماء. وقد درس المبحث مواضعها الأصليّة والمزيدة، ودلالة كلّ منها.

(١) شرح المفصَّل لابن يعيش، ابن يعيش (٤/ ٤٥٨)

(٢) ينظر: الهمع، السيوطيُّ (٢/ ٤١٣)

(٣) الهمع، السيوطيُّ (٢/ ٤١٤)

أولًا: مِن:

وقعت **مِن** في **رسائل الجاحظ** أصليَّة، ومزيدةً على النحو الآتي:

أوَّلًا: وقوعها أصليَّة: وقد وقعت أصليَّة في ثلاثة آلاف وثلاثمئة وستّة وسبعين موضعًا دالّة على المعاني الآتية:

- ابتداء الغاية في ثمانمئة وأربعة وأربعين موضعًا، ومنها قوله:
"وأفلت من لسانه إلى أذنٍ واحدةٍ.." (١/ ١٤٦)

وممَّا تجدر الإشارة إليه هنا أنَّها قد دلّت على هذا المعنى لما دخلت على الظروف الآتية:

أ. **بعد** في ثمانية مواضع، منها قوله:
"على أنَّ بني الجُلندي قد أسموا من بعد ذلك الكتاب.." (١/ ١٨٥)

ب. **تلقاء** في أربعة مواضع، منها قوله:
"أعاد عليهم التوراة من تلقاء نفسه..." (٣/ ٣٤٦)

ت. **فوق** في قوله:
"موجبة لمحبة المولى من فوق.." (١/ ٢٣)

ث. **لدن** في ثلاثة مواضع، منها قوله:
"والرجل منهم يخطب عند الملك بالزّنج من لدن طلوع الشمس إلى غروبها.." (١/ ١٩٥)

ج. **تحت** في قوله:
"ولربّما خرج الكتاب من تحت يدي محصفًا كأنَّه متن حجر أملس..." (١/ ٣٥١)

ح. **حيث** في أربعة مواضع، منها قوله:
"يفترقون من حيث يجتمعون، ويجتمعون من حيث يفترقون.." (١/ ٢٨٤)

خ. **قبل** في سبعة وثلاثين موضعًا، منها قوله:
"فإذا كانوا كذلك فإنَّما أُتُوا من قبل أنفسهم.." (٣/ ٢٢٨)

د. **بين** في ثمانية عشر موضعًا، منها قوله:
"مشقَّة الولادة عليها من بين جميع الحيوان أسرع...." (٢/ ٣٢٧)

ذ. **عند** في ثمانية مواضع، منها قوله:
"لأنَّ ذلك من عندكم أنفق، والناس إليه أسرع..."(١/ ٢٩٢)

ر. **أين** في أربعة مواضع، منها قوله:
"وعلم من أين وثق كلّ واثق، ومن أين غُرَّ كلّ مغرور...." (٤/ ٢٤٩)

- بيان الجنس: في ألف ومئة واثنين وستّين موضعًا، منها قوله:
"فإذا وجب أنَّ الكلام غير محرم فإنَّ وزنه وتقفيته لا يوجبان تحريمًا لعلَّة من العلل..." (٢/ ١٦٠)

- التبعيض: في خمسمئة وأربعة وتسعين موضعًا، منها قوله:
"متى كانت فهي نقصان من الحسن، وإن عدَّت زيادة في الجسم..." (٢/ ١٦٢)

- الابتداء مع التبعيض: في أربعمئة واثنين وثمانين موضعًا، نحو قوله:
"ولأنَّك وإن كنت كثير الشغل فهو أقل فراغًا منك على كثرة شغلك..." (١/ ٣٠٣)

- التعليل: في مئة وستّة عشر موضعًا، منها قوله:
"ومن أجله نصب العداوة لذريته..." (٤/ ١٧٩)

- البدل: في أربعة عشر موضعًا، منها قوله:
"فاستبدلّت به من السقم صحة، ومن حلول العجز قوَّة، ومن الكسل نشاطًا، وإلى اللَّذة انبساطًا، ومن الغم فرجًا، ومن الجمود تحرّكًا، ومن الوحشة أنسًا...." (٤/ ٢٦٣)

- الفصل: في ثمانية وخمسين موضعًا، منها قوله:
"فأما معرفة صحيحه من سقيمه، وحقَّه من باطله، وفصل ما بين المقرِّ به والدليل...، من عرف القصيد من الرجز، والمخمس من الأسجاع، والمزدوج من المنثور، والخطب من الرسائل..." (٤/ ٣١)

- المجاوزة بمعنى **عن**: في اثنين وأربعين موضعًا، منها قوله:
"فلا تبعده من الخيانة، إذ كانت الخيانة لؤمًا؛ ولا من الكذب، إذ كان الكذب لؤمًا...." (٤/ ١٧٧)

- الظرفيَّة بمعنى **في**: في ستّة وخمسين موضعًا، منها قوله:
"الغالب على النفوس ذكر الأوطان وموقعها من قلب الإنسان...." (٤/ ١١٠)

- بمعنى **الباء**: في أربعة مواضع، منها قوله:
"سرقوا معاني ذلك الكتاب وألَّفوا من أعراضه وحواشيه كتابًا..." (١/ ٣٥٠)

- بمعنى **عند**: في ثلاثة مواضع، منها قوله:
"يريد بذلك إظهار رحمته له، ومحبته إيَّاه، وحسن تربيته وتأديبه له، ولطف منزلته عنده..." (٣/ ٣٢٩)

- بمعنى **على** في قوله:
"تبيَّن من ظهره..." (١/ ١٥٠)

ثانيًا: وقوعها مزيدة:

قد وقعت زائدة في ثلاثة مواضع على النحو الآتي:

- الموضع الأوَّل: وقعت دالّة على التوكيد وقد سبقت بدعاء ودخلت على المفعول في قوله:
"فقبَّحه الله من عالمٍ ما أعظم بليته..." (٣/ ٨)

- وفي موضعين آخرين دالّة على التوكيد أيضًا بعد **كم** الخبريّة، منهما قوله:
"فكم من كبدٍ حرَّى مُنضَجة.." (٣/ ٨٧)

النتائج الخاصّة بـ من:

- وردت **من** أصليَّة ومزيدة، ونسبة وقعها أصليَّة أكبر بكثير من زيادتها؛ إذ لم تُزد إلَّا في ثلاثة مواضع.
- وردت **من** الأصليّة دالّة على الابتداء، التبعيض، وبيان الجنس، التعليل، البدل، الفصل، بمعنى **عند**، وأكثر هذه المعاني ورودًا بيان الجنس بنسبة ٣٤,٤١٪، ثمّ ابتداء الغاية بنسبة ٢٥٪، ثمّ التبعيض بنسبة ١٧,٥٩٪؛ ووردها دالّة على بيان الجنس أكثر من ابتداء الغاية مخالف لما ذهب إليه النُّحاة من أنَّ ابتداء الغاية هو معناها الأصليّ.
- وردت بمعنى حروف جر أخرى، هي: **عن، وفي، والباء، وعلى**.
- من المعاني التي ذكرها النُّحاة ولم ترد عند الجاحظ: القسم، ومعنى **ربَّ**، ومعنى **إلى**.
- من المعاني التي وردت عند الجاحظ وفيه خلاف بين النُّحاة ورودها بمعنى الابتداء مع التبعيض وهذا في المواضع التي وقعت فيها مع أفعل التفضيل، وجاءت أقوال النُّحاة فيه وفق الآتي[١]:

القول الأوَّل: أنَّها للابتداء: وحينئذٍ لا يقصد المتكلم المنتهى، ولا يقصد التبعيض.

القول الثاني: أنَّها للابتداء لكنَّها لا تخلو من التبعيض: إذ معنى القائل هو أفضل من زيد أن يفضله على زيد، ولا يعمُّ بل يجعل ابتداء فضله من زيد ولا يعلم موضع الانتهاء وهذه دلالة التبعيض.

القول الثالث: أنَّها للمجاوزة: فإذا قال "القائل زيد أفضل من عمرو، كأنَّه قال: جاوز زيد عمرًا في الفضل...إذ لو كان الابتداء مقصودًا لجاز أن تقع بعدها **إلى**"[٢]، ويرد عليهم بأنَّه لو جاز هذا لوقعت **عن**

(١) ينظر: الأزهيَّة، الهرويُّ (٢٢٤)، شرح التسهيل لابن مالك، ابن مالك (٣/ ١٣٤)
(٢) شرح التسهيل لابن مالك، ابن مالك (٣/ ١٣٥)

موقعها لكنَّهم يقولون لأنَّها "صارت علمًا في التفضيل، وكبعض حروف أفعل التفضيل ، فلا تغيّر ولا تبدّل"[1]، ويرد عليهم بعدم ورود هذا الأصل عن العرب فلا داعي إلى تأوُّل المشهور المعلوم بما لم يرد.

القول الرابع: أنَّها للغاية فمعنى قول القائل "زيد أفضل من عمرو" أنَّ التفضيل ابتدأ منه وانتهى به.

والذي يتَّجه إليه البحث أنَّ **من** مع أفعل التفضيل تدلّ على الابتداء مع عدم خلوِّها من معنى التبعيض إذ المنتهى غير مقصود لكنّه ليس عامًا بل محدودًا بما دخلت عليه **من**[2].

- جاءت زيادتها في المنصوب وفقًا للقياس؛ لأنَّ حروف الجرّ موضوعة لمعنى المفعوليَّة إذ توصل الأفعال بالأسماء لذلك القياس زيادتها في المنصوب[3].

ثانيًا: إلى:

وقد وردت في ألف وتسعة وثلاثين موضعًا دالّة على المعاني الآتية:

- انتهاء الغاية: في ألف وثمانية مواضع، وقد اجتمعت دلالتها على انتهاء الغاية المكانيَّة والزمانيَّة والمطلقة في بعض المواضع، منها قوله:

"والخطاطيف تقطع إليهم لتقيم فيها إلى أوان حاجتها إلى الرجوع إلى أوطانها.." (٤/ ١١٣)

- التبيين: في ستّة مواضع، منها قوله:

"فأنا مبتدئ في ذكر الأسباب التي لها صارت النصارى أحبُّ إلى العوام من المجوس، وأسلم صدورًا عندهم من اليهود، وأقرب مودة، وأقلُّ غائلة، وأصغر كفرًا، وأهون عذابًا..." (٣/ ٣٠٨)

- بمعنى **اللَّام**: في أحد عشر موضعًا، منها قوله:

"وتحبَّب إليهم به، في ظاهر دينه، والذي استجوب به على الشكر على جميع خلقه..." (٤/ ٢٩٩)

- بمعنى **مع**: في أحد عشر موضعًا، منها قوله:

"فإذا جمع إلى قوَّة عقله علمًا، وإلى علمه حزمًا، وإلى حزمه عزمًا، فذلك الذي لا بعده...." (٤/ ٣٠٥)

- بمعنى **عند**: في قوله:

(١) شرح الرضي على الكافية، الأستراباذيُّ (٤/ ٢٦٣)

(٢) ينظر: الكتاب، سيبويه (٤/ ٢٢٥)

(٣) المقتصد، الجرجانيُّ (٢/ ٨٢٤)

"تنافر إليه عامر بن الطُّفيل وعلقمة..." (١/ ٣٠٠)

- بمعنى **الباء**: في موضعين، هما:

"وإلى نسائهم يضرب الأمثال..." (١/ ٢٢٤)

"ولا تطرب آلته إلَّا إليه...." (٢/ ١٧١)

النتائج الخاصّة بـ إلى:

- وردت **إلى** دالّة على انتهاء الغاية، التبيين، بمعنى **مع**، وبمعنى **عند**، وأكثر هذه المعاني ورودًا انتهاء الغاية بنسبة ٩٧,٠١٪، ممَّا يقوّي ما ذهب إليه النُّحاة من أنَّ انتهاء الغاية معناها الأصليّ.
- لم ترد **إلى** إلَّا أصليَّة ولم تزد وهذا وفق ما اتَّجه إليه أغلب النُّحاة.
- وردت **إلى** بمعنى حرفي جر آخرين، هما: **اللَّام**، و**الباء**.
- من المعاني التي ذكرها النُّحاة ولم ترد عند الجاحظ: مجيئها بمعنى **من**، وبمعنى **في**.
- وممَّا تجدر الإشارة إليه هنا أنَّ مصطفى جواد أستدلّ باستعمال الجاحظ على إنكار تعدى الفعل **قسم** بـ **إلى** إذ يقول "فمن استعمل من النحويين: (قسم إلى كذا) بدلًا من(قسم على كذا)، فهو محجوج بما ذكر هو نفسه من معاني **إلى**، وبما استعمله الفصحاء كالجاحظ وغيره"[١] ولكن البحث عثر على تعدية الجاحظ لـ **انقسم** بـ **إلى** في قوله:

"وقد تنقسم المودة إلى ثلاث منازل: منها: ما يكون على اهتزاز الأريحيَّة وطبع الحرية...." (٤/ ٢٠٠)

- وقد أجاز الزعبلاويُّ تعدي **انقسم** بـ **إلى** و**على** على حد سواء[٢].

كما أنَّ ممَّا تجدر الإشارة إليه أنَّ الفعل **نظر** بتصرفاته يتعدى بـ **في** و**إلى** وقد ذكر الجرجانيُّ أنَّه إذ تعدى بـ **إلى** فإنَّ "المنظور إليه موجودًا على أرض الواقع"[٣] وكثيرًا ما تعدى الفعل **نظر** بـ **إلى** وفي جميع المواضع كان المنظور فيه موجودًا واقعًا على الأرض إلى موضعًا واحدً في قوله:

"فانظر في علَّته وسببه، وإلى معدنه الذي منه نجم، وعشه الذي منه درج، ومغرسه الذي منه نبت، وإلى جهة صاحبه في التتايع والتترع، وفي النزوع والثبات، وإلى قحَّته عند التقريع، وإلى حيائه عند التعريض، وإلى فطنته عند الرشق والتورية..." (١/ ٢٣٧) فما نظر فيه هنا من الأمور المعنويّة غير المحسوسة.

(١) دراسات في فلسفة النحو والصرف، الأنطاكيُّ (١٠٥)

(٢) معجم الأغلاط اللغويَّة، الزعبلاويُّ (٥٤٨)

(٣) المقتصد، الجرجانيُّ (٢/ ٨٤)

ثالثًا: في:

لم ترد في في رسائل الجاحظ إلّا حرفًا أصليًا وهذا في ألفين وثمانمئة وستّة وستّين موضعًا دالّة على المعاني الآتية:

أوّلًا: الظرفيَّة: دلّت عليه في ألفين وسبعمئة وواحد وخمسين موضعًا، منها قوله:

"وإن كان أمرًا تعظم منفعته في الدنيا..." (١/ ١١٤)

ثانيًا: بمعنى **من** الدالّة على التبعيض: دلّت عليه في ثلاثة وعشرين موضعًا، منها قوله:

"فلا يعدَّن نفسه في الراغبين ولا في الطالبين المؤمّلين..." (٤/ ٢٠٠)

ثالثًا: بمعنى **الباء**: دلّت عليه في ثلاثة وعشرين موضعًا، منها قوله:

"فقال: " إنَّما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن "، فجعله ابتداء في الذم...." (٤/ ١٦٣)

رابعًا: بمعنى **اللّام** للتعليل: دلّت عليه في سبعة وثلاثين موضعًا، منها قوله:

"وقد علمت أنَّ الخبر إذا صح أصله وكان للناس علَّة في نشره، كان في الدلالة على الحق كالعيان..." (٣/ ٧١)

خامسًا: بمعنى **على**: دلّت عليه في ثمانية عشر موضعًا، منها قوله:

"ولولا تقييد العلماء خواطرهم على الدهر، ونقرهم آثار الأوائل في الصخر..." (٢/ ٣٨٣)

سادسًا: المصاحبة: دلّت عليه في أربعة مواضع، منها قوله:

"ولم يدخل فيهم، مثل مالك بن الطواف المزنيّ..." (١/ ٢٢)

سابعًا: بمعنى **إلى**: دلّت عليه في قوله:

"وهو الذي يردُّ الشيوخ في طبائع الشبَّان، ويردُّ الشبَّان في نشاط الصبيان..." (٣/ ١٢٠)

ثامنًا: بمعنى **عند** في موضعين، منهما قوله:

"لم يبلغها إلّا كلّ سعيد الجد، وجيه في الملوك..." (١/ ٢٥)

تاسعًا: بمعنى **بين**: في سبعة مواضع، منها قوله:

"وذلك عامّ في الزنوج والحُبْشان.." (٢/ ٣٢٥)

النتائج الخاصّة بـ في:

- وردت **في** دالّة على الظرفيَّة، والمصاحبة، وبمعنى **عند**، وبمعنى **بين**؛ وأكثر هذه المعاني ورودًا الظرفيَّة وذلك بنسبة ٩٥,٩٨٪؛ ممَّا يدل على أنَّه المعنى الأصليّ لها كما ذكر النُّحاة.
- لم ترد **في** في **رسائل الجاحظ** إلَّا أصليَّة ممَّا يخالف ما جوَّزه النُّحاة من وردها مزيدة للعوض والضرورة.
- وردت **في** بمعنى حروف جر أخرى وهي: **إلى، وعلى، واللَّام، والباء، ومن.**
- من المعاني التي ذكرها النُّحاة ولم ترد عند الجاحظ: المقايسة.
- من المعاني التي وجدها البحث ولم يذكرها النُّحاة: ورودها بمعنى **عند** وهذا في موضع واحد.

رابعًا: عَنْ:

لم ترد **عن** في **رسائل الجاحظ** إلَّا حرفًا أصليًا، وهذا في ستّمئة واثنين وثمانين موضعًا دالّة على المعاني الآتية:

– المجاوزة: في ستّمئة وخمسين موضعًا، منها قوله:

"فرأوا أنَّ الإضراب عن ذكره، والتغافل عنه في هذا الباب وإن قرعهم به..." (٣/ ٢٧٥)

– البدل: في اثني عشر موضعًا، منها قوله:

"وقلت: فإن أنت لم تصوِّر ذلك كلَّه صورة تغني عن المشافهة..." (٣/ ٢٨٧).

– التعليل: في أربع عشرة موضعًا، منها قوله:

"أو يكون يحدث على الابتداء، لا عن علَّة موجبة وسبب متقدم..." (٣/ ٢٩٠) .

– بمعنى **من**: في ستّة مواضع، منها قوله:

"وفي المعرفة بما يتولَّد عنها متَّفقون..." (١/ ٩٧)

النتائج الخاصّة بـ عن:

- وردت **عن** دالّة على المجاوزة، والبدل؛ وأكثرها المجاوزة **بنسبة ٩٥,٣٠٪** ممَّا يدل على أنَّه المعنى الأصليّ لها كما ذكر النُّحاة.
- وردت **عن** في **رسائل الجاحظ** أصليَّة ولم ترد زائدة ممَّا يخالف ما جوزه بعض النُّحاة من ورودها زائدة للعوض.
- وردت **عن** بمعنى حرف جر آخر وهو **اللَّام**.
- من المعاني التي ذكرها النُّحاة ولم ترد عند الجاحظ: بمعنى **بعد**، بمعنى **على**، بمعنى **في**، بمعنى **الباء**.

- ممَّا لاحظه البحث أنَّ دلالة **عن** على التعليل يدل على أنَّ الفاعلين صدروا عن هذه الأسباب مندفعين لأنَّها أسباب قويَّة فبالتالي جاءت تصرفاتهم غير مقبولة وقويَّة(١).

خامسًا: على:

لم ترد في رسائل الجاحظ إلَّا حرفًا أصليًا، وقد وردت في ألفين ومئتين وسبعة وثلاثين موضعًا دالّة على المعاني الآتية:

- الاستعلاء: في ألف وتسعمئة واثنين وثمانين موضعًا، منها قوله:

"ووثبوا عليه بالظلم والقوَّة..." (٣/ ١٥)

- المصاحبة: في واحد وتسعين موضعًا، منها قوله:

"وما ذلك ببديع منهم ومن آبائهم، على أنَّهم أشبه بآبائهم منهم بأزمانهم..." (٣/ ٢٦٩)

- المجاوزة: في واحد وعشرين موضعًا، منها قوله:

"ومن جليل الأمور التي لا تخفى على الجهَّال فكيف على العقلاء.." (٣/ ٢٧٦)

- التعليل: في سبعة وستّين موضعًا، منها قوله:

"وإذا كان موضع الحديث على أنَّه مضحك ومُلْه، وداخل في باب حدِّ المزج....وصار الحديث الذي وضع على أن يسرَّ النفوس يكربها ويغمَّها..." (٢/ ٩١)

- الظرفيَّة: في اثنين وعشرين موضعًا، منها قوله:

"والغوص على المعاني السداد، والتخلُّص إلى إظهار ما في الضمائر.." (٤/ ٢٠٤)

- الإلصاق: في عشرين موضعًا، منها قوله:

"والسريع على الزير ألذُّ، أو على المثْنى؟...." (٤/ ٢٧٩)

- الاستدراك: في ثمانية مواضع، منها قوله:

"فهذه الخلال التي تجمعها خلَّتان غرائز في الفطر، وكوامن في الطبع؛ جبلَّة ثابتة، وشيمة مخلوقة. على أنَّها في بعض أكثر منها في بعض، ولا يعلم قدر القلَّة فيه والكثرة إلَّا الذي دبرهم..." (١/ ١٠٣)

- الانتهاء بمعنى **إلى**: في واحد وعشرين موضعًا، منها قوله:

"ولكانوا عليها أسرع..." (١/ ٢٥٣)

- الشرط: في خمسة مواضع، منها قوله:

"فليرسم حججهما، ويصوِّر صورهما، في كتاب مفرد أو لفظ مسموع، ثمّ يعرضهما على جهابذة المعاني وأطباء أدواء العقول، على ألَّا يختار إلَّا من لا يدري أيَّ النوعين يبغي.." (٤/ ٢٦٣)

---

(١) هذا مستفاد من: أسرار حروف الجرّ في الذكر الحكيم، الخضريُّ (٣١٥)

النتائج الخاصّة بـ على:

- أكثر المعاني التي قد دلّت عليها **على** الاستعلاء **بنسبة ٨٨,٦٪**؛ ممَّا يدل على أنَّه المعنى الأصليّ لها، ثمّ المصاحبة **بنسبة ٤,٠٦٪**.
- وردت **على** في **رسائل الجاحظ** أصليَّة ولم ترد زائدة ممَّا يخالف ما جوزه بعض النُّحاة من ورودها زائدة للعوض.
- وردت **على** بمعنى حروف جر أخرى، وهي: **عن، اللَّام، في، الباء، إلى**.
- ومن المعاني التي دلّت عليها **على** في **رسائل الجاحظ** ولم يذكرها النُّحاة الانتهاء بمعنى **إلى**، والشرط وهذا المعنى لم يذكره أحد غير ابن الجوزي[1].
- من المعاني التي ذكرها النُّحاة ولم ترد عند الجاحظ ورودها بمعنى **من**.
- إذا وردت **على** بمعنى الاستدراك فإنَّ في تعلقها "ثلاثة أقوال: الأوَّل: أن تتعلق بالفعل المتقدم قبلها، كما تعلقت **حاشا** الاستثنائيّة بما قبلها، لكونها أوصلت معنى ما قبلها إلى ما بعدها على وجه الإضراب والإخراج، الثاني: أنَّها مع مجرورها في موضع خبر لمبتدأ محذوف، كأنه قيل: والتحقيق على أنَّ الأمر والوجه الثالث: في موضع نصب على الحال"[2]. والعلَّة في تعدد الآراء هو استقلالها نحويًا عن الجملة التي تسبقها وورود جملة مستقلَّة بعدها.

سادسًا: اللَّام:

وردت اللَّام في رسائل الجاحظ أصليَّة ومزيدة، على النحو الآتي:

أوَّلًا: الأصليّة وقد وردت في ألف وثمنمئة وتسعة وعشرين موضعًا دالّة على المعاني الآتية:

- الاختصاص: في سبعمئة وثمانية وعشرين موضعًا، ومنه قوله:

"يترك الضعيف وهو مثل أسد العرين يُلان له ولا يلين..." (٤/ ٢٦٣)

- الملك وشبهه: في مئتين وسبعة عشر موضعًا، ومنه قوله:

"وكتاب المجسطيّ لبطليموس، وليس برومييٍّ ولا نصرانيٍّ..." (٣/ ٣١٤)

- التمليك وشبهه: في ستّة وخمسين، ومنها قوله:

"فقد جعلت له السبيل إلى الطعن عليك..." (١/ ١٠٧)

---

(١) ينظر: نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، ابن الجوزيُّ (٤٤٢)

(٢) ينظر: أمالي ابن الحاجب، ابن الحاجب (١/ ٤٥٣)، مغني اللبيب، ابن هشام (١٩٣)

- الاستحقاق: في مئة واثنين وسبعين موضعًا، منها قوله:

"والتقية أحزم، والصفح إذا كان الصفح أكرم، والرحمة لمن استرحم، والعقاب لمن صمَّم..." (٤/ ٢٢٠)

- التعليل: في ستّمئة وثمانين موضعًا، منها قوله:

"كما استحلَّ قوم من أهل مكة عارية الفروج، وحرَّم بعضهم ذبائح الزنوج، لأنَّهم فيما زعموا مشوَّهو الخلق..." (٤/ ٢٧٧)

- التبليغ: في تسعة وخمسين موضعًا، منها قوله:

"قلنا لهم: إنَّ الأنسان المخلوق المسخَّر، والضعيف الميسَّر، لا يليق به إلَّا التذلُّل.." (٤/ ١٧٤)

- النسب: في سبعة مواضع، منها قوله:

"كما جعل إبراهيم أبًا لمن لم يلده، فالبنويُّ خراسانيٌّ..." (١/ ٣١)

- التبيين: في اثنين وثلاثين موضعًا، منها قوله:

"حتّى تكون إقامة الواحد من الناس أصلح لهم.." (٤/ ٣٠٤)

- التعجب: في قوله:

"فيالها مكيدة ما أبعد غورها، ويالها حفرة ما أبعد قعرها..." (١/ ٢٥٦)

- انتهاء الغاية: بمعنى **إلى** في واحد وثلاثين موضعًا، منها قوله:

"أنَّه لا يدري بزعمه، لعلَّه كان أعلم الخلق بالنجوم، ناظرًا لنفسه..." (٣/ ٢٦٥)

- الظرفيَّة: بمعنى **في** في أربعة مواضع، منها قوله:

"فتتحرك له الدفائن، ويثمر ذلك الغرس، فيتبعها قلبه..." (٣/ ١٥٤)

- المجاوزة: بمعنى **عن** في أربعة مواضع، منها قوله:

"إنَّه قد كان يعلم الخطَّ فخفي له ذلك..." (٣/ ٢٦٤)

- الاستعلاء: بمعنى **على** في ثلاثة مواضع، منها قوله:

"متقدِّمًا لأبي بكر الصديق رضوان الله عليه..." (١/ ٣٠١)

- بمعنى **من**: في خمسة مواضع، منها قوله:

"فإن كان ذلك أمرًا واجبًا في الدين، أو خوفًا لعار تسب به الأعقاب ..." (١/ ١١٤)

- الإلصاق بمعنى **الباء** وقد وردت في موضعين منهما قوله:

"وتوكيد المبشر يحتاج من الأعلام إلى دون ما يحتاج إليه المبتدئ لأصل الملة.." (٤/ ٣٢٣)

ثانيًا: اللَّام المزيدة: قد زيدت في ثلاثمئة وثلاثة وثلاثين موضعًا في **رسائل الجاحظ** لغرضين:

الأوَّل: توكيد التخصيص بين المضاف والمضاف إليه فيما يأتي:

أ. غير باب **لا** النافية للجنس في موضعين، منهما قوله:
"ولصاروا غرضًا للتفاني..." (١/ ١١٤)

ب. وفي باب **لا** النافية لجنس وردت في ثمانية وعشرين موضعًا وقد ذكرت في موضع دراستها.
الثاني: تقوية العامل الضعيف: في ثلاثمئة وواحد من المواضع، منها قوله:

"إذا كان لك موافقًا، ولجسمك ملائمًا..." (٤/ ٣٢٣)

وقد زيدت في تعدي الفعل **استهدف**، منها قوله: "أن يكون قول خصمه قد استهدف لعقله..." (٤/ ١١١)، والفعل **اعترى** وقد عملت، في قوله: "وهذه الآفات لا تعتري الحساب ولا الكتاب، ولا أصحاب النحو والعروض، ولا أصحاب الخبر وحمَّال السير، ولا حفَّاظ الآثار ولا روَّاة الأشعار، ولا أصحاب الفرائض، ولا الخطباء ولا الشعراء، ولا أصحاب الأحكام ومن يفتي في الحلال والحرام، ولا أصحاب التأويل، ولا الأطباء ولا المنجِّمين ولا المهندسين، ولا لذي صناعة ولا لذي تجارة، ولا لذي عيلة ولا لذي مسألة..." (٤/ ٢٦٣)

النتائج الخاصّة بـ اللَّام:

أ. وردت **اللَّام** في **رسائل الجاحظ** أصليَّة ومزيدة، وورودها أصليَّة أكثر من زيادتها **بنسبة ٨٤,٥٩٪**.
ب. وردت **اللَّام** الأصليّة دالّة على الاختصاص، الملك وشبهه، التمليك وشبهه، الاستحقاق، التعليل، التبليغ، النسب، التبيين، التعجب، وأكثر هذه المعاني ورودًا الاختصاص وذلك **بنسبة ٣٩,٨٪**، ثمّ التعليل **بنسبة ٣٧,١٧٪**، ممَّا يدل على أنَّ الاختصاص هو المعنى الأصليّ لها.
ت. وردت **اللَّام** بمعنى حروف الجرّ الأخرى، وهي: **إلى، في، عن، على، من**.
ث. من المعاني التي ذكرها النُّحاة ولم ترد عند الجاحظ: المصاحبة، بمعنى **عند**، بمعنى **بعد**.
ج. من اللَّامات **لام** التعليل و**لام** الجحود الداخلتين على الفعل المضارع المنصوب بـ **أن** المضمرة، وقد آثر البحث ذكرها في مبحث الحروف الناصبة للفعل المضارع.
ح. وردت **اللَّام** مزيدة لغرض توكيد الاختصاص بين المضاف والمضاف إليه، ولتقوية العامل الضعيف وهو اسم الفاعل، وأكثرهما ورودًا تقوية العامل الضعيف **وهذا بنسبة ٩٠,٣٩٪**.
خ. وردت مزيدة عاملة في موضعين لم يذكرهما النُّحاة، وهما: استهدف، واعترى.

سابعًا: الكاف:

وردت الكاف أصليَّة ومزيدة في رسائل الجاحظ على النحو الآتي:

أوَّلًا: الكاف الأصليّة: وقد دلّت على التشبيه في كلّ المواضع التي وردت فيها مجردة من **ما** والتي بلغت سبعين موضعًا، منها قوله:

"وكلُّ شيء أفرط في طبعه، وتجاوز مقدار وسعه، عاد إلى ضدِّ طباعه، فتحول البارد حارًا، ويصير النافع ضارا، كالصندل البارد إن أفرط في حكه عاد حارًا مؤذيًا، وكالثلج يطفئ قليله الحرارة، وكثيره يحرِّكها..." (٤/ ١٥٢)

ثانيًا: الكاف المزيدة:

-الزيادة القياسيَّة في **كذا** في أربعة مواضع، منها قوله:

"وإنَّما قلنا: إنَّ العدد الكثير لا يتَّفقون على مثل إخبارهم أنَّ محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، التهاميَّ الأبطحيَّ عليه السلام خرج بمكة، ودعا إلى كذا، وأمر بكذا، ونهى عن كذا، وأباح كذا.." (٣/ ٢٥٠) .

- الزيادة غير قياسيَّة: في موضعين:

الأوَّل: قبل **مثل**، في قوله: "وقلت: ومن الحلو في المعد التخم، وفي الأبدان الوخم، وللترش شيرين رياح كمثل رياح العدس، وحموضة تولد في الأسنان الضرس..." (٤/ ٢٦٧)

الثاني: قبل **نحو**، في قوله: "وقد رأينا في قبائل العرب الأشراف رجالًا - إلى الساعة - ينتسبون في قريش، كنحو الذي وجدنا في بني مرَّة بن عوف، والذي وجدنا من ذلك في بني سليم، وفي خزاعة.." (٤/ ١١٤)

وممَّا تجدر الإشارة إليه أنَّه قد اتصلت بها **ما** الزائدة وهيأتها للدخول على الجملتين الاسميّة والفعلية في مئة وواحد وخمسين موضعًا على النحو الآتي:

أ. دخلت على الجملة الاسميّة الخالية من النواسخ في قوله:
"وجوهرك جوهر الذهب إلَّا أنَّك روح كما أنت..." (٣/ ٩٢)

ب. دخلت على الجملة الاسميّة المنسوخة بـ **أنَّ** في ثمانية وثلاثين موضعًا، منها قوله:
"وهذا كلّه بعد أن يصدقوك على ما ادَّعيت لطولك في الحقيقة، واحتججت به لعرضك في الحكومة. كما أنَّك بإعمالك لما ينفيه العيان، واستشهادك لما تنكره الأذهان.." (٣/ ٦٠)

ز. دخلت على الجملة الفعليّة الماضي فعلها في واحد وستّين موضعًا، منها قوله:
"فعلى الأئمة أن تحوط هذه الأمة، كما حاط السلف أولها، وأن يعملوا بظاهر الحيطة.." (٣/ ٢٣٠)

س. دخلت على الجملة الفعليّة المضارع فعلها في واحد وخمسين موضعًا، منها قوله:
"ويدفع مضرَّة الخمار، كما يجلب منفعة السرور..." (٣/ ١٢١)

النتائج الخاصّة بـ الكاف:

- وردت **الكاف** في **رسائل الجاحظ** أصليَّة ومزيدة، وورودها أصليَّة أكثر إذ وردت بنسبة ٩٢,١٠٪.
- وردت **الكاف** أصليَّة دالّة على التشبيه في كافَّة المواضع ممَّا يدل على أنَّه معناها الأصليّ.
- من المعاني التي ذكرها النُّحاة لـ **الكاف** ولم ترد في **رسائل الجاحظ**: التعليل، والقران.
- زيدت **الكاف** قياسيًا في **كذا**.
- زيدت **الكاف** زيادة غير قياسيَّة في **مثل و نحو**؛ والقول بزيادتها هنا لتوافقها الدلالي مع ما دخلت عليه ممَّا يمكّن السياق من الاستغناء عنها.
- لم تدخل **الكاف** إلَّا على الأسماء الظاهرة ممَّا يؤيِّد الحكم بالشذوذ على ما ورد من دخولها على الضمائر.
- وردت **الكاف** مجردة من **ما** الزائدة ومتصلة بها وورودها متصلة بها أكثر؛ إذ وردت بنسبة ٦٦,٥١٪.
- اتصلت **ما** الكافَّة بـ **الكاف** وهيَّأتها للدخول على الجمل، وأكثر دخولها على الجملة الفعليّة الماضي فعلها.

ثامنًا: الباء:

وردت الباء في رسائل الجاحظ أصليَّة ومزيدة على النحو الآتي:

أوَّلًا: الباء الأصليّة:

وقد وردت في رسائل الجاحظ في ألفين وثلاثمئة وخمسة عشر موضعًا، دالّة على المعاني الآتية:

- الإلصاق في ألف ومئة واثنين موضعًا، نحو قوله:
"والذي رغب بنفسه عن تقليد الأغمار والحَشَوة..." (٤/ ٢٤٣)
- الاستعانة: في سبعمئة وثمانية وخمسين موضعًا، منها قوله:

"قلنا: وأنتم ترونه بأعينكم؟ فمن جعل لكم أن تقولوا نراه بالعين، ومنعكم أن تقولوا نعاينه بالعين؟..." (٤/ ١٢)

- التعدية: في عشرة مواضع، منها قوله:

"ويذهب بصهيل الخيل، ولا يذهب بصهيلها إلَّا مع ذهاب نشاطها، ونقصان قواها.." (٤/ ١٣٦)

- العوض: في أربعة مواضع، منها قوله:

"أن يبيع فسيلة بسبعين دينارًا، أو بَحْوَنة بمائة دينار، أو جريبًا بألف دينار غير أهل البصرة.." (٤/ ١٤٥)

- البدل: في أحد عشر موضعًا، منها قوله:

"وجعل بالحسنة أضعافها..." (١/ ١٠١)

- المصاحبة: في خمسة وخمسين موضعًا، نحو قوله:

"ولا أخرج من الدنيا بحسرتي..." (١/ ٢٥٤)

- التعليل في مئة وتسعة وعشرين موضعًا، نحو قوله:

"وإن أُبتلِي فبذنب..." (١/ ٣٢٩)

- وردت بمعنى **في** في نوعين:

الأوَّل: وليهتا فيه الأماكن وما يجري مجراها وقد وقعت فيه في مئة موضع، نحو قوله:

"عين بالبحرين. وليس بمكة شيء يدانى ذلك..." (١/ ١٨٧)

الثاني: فيما سبقت فيه بـ **الظن** وما يتصرف منه: وقد وقعت فيه في اثنين وثلاثين موضعًا، نحو قوله:

"فإن خافت أن يظنَّ بها التشبيه..." (٢/ ١٨)

- بمعنى **على**: في ثلاثة مواضع، منها قوله:

"فمن الرأي أن يعتمد به في حساب العقد دون حساب الهند.." (٣/ ٣٩)

- بمعنى **لام** الاختصاص: في ستّة مواضع، نحو قوله:

"بل كلّها في الكتاب والسنة، وبجميع الأمَّة إليها أعظم الحاجة..." (١/ ٣١٩)

- بمعنى **من** الابتدائية: في ثلاثة مواضع، نحو قوله:

"وهم إنَّما يريدون الغيم الذي يكون به المطر من شقِّ السماء وناحيتها ووجهها..." (٤/ ٢٥٥)

- وردت بمعنى **عن**: في موضعين، منهما قوله:

"فناهيك بهم مرحومين يرقُّ لهم الأعداء فضلًا عن الأولياء..." (٤/ ٢٣٥)

زيادة الباء:

زيدت **الباء** في **رسائل الجاحظ** في سبعة وتسعين موضعًا على النحو الآتي:

- في فاعل **كفى** في ثمانية مواضع، منها قوله:
"وكفى بالكلام فضلًا، وبالمنطق منقبة، أن جعل الله الكلام سبيل تهليله وتحميده.." (٤/ ٢٩٩)
- زيدت في المبتدأ في أحد عشر موضعًا، منها قوله:
"والعجول يخطئ وإن ظفر، فكيف به إذا أخفق..." (٢/ ٣٧٠).
- في خبر المبتدأ في موضع واحد في قوله:
"وإنَّما هذا بصواب الرأي الذي لا ينقلب صوابًا وإن أنجح صاحبه..." (٣/ ٢٦٩)
- في خبر ليس في خمسين موضعًا، نحو قوله:
"وليسوا بأصحاب توقٍ وتوقف...." (١/ ٢٤١)
- في خبر **ما** في موضعين، نحو قوله:
"وما ذلك ببديع منهم ومن آبائهم..." (١/ ٣٥١)
- في خبر **لا** النافية في موضع واحد في قوله:
"وليس هذا أوَّل شرك نصبته، ولا أوَّل كيد أَرَغْته، ولا هي بأوَّل زبيَّة غطيتها وسترتها..." (٤/ ١٤٦)
- في خبر **كان** المنفية في موضع واحد في قوله:
"لم يكن ذلك بأعجب مَّن جعل الخال ولدًا..." (١٩١/٣)
- في التوكيد **عين، أجمع** في أربعة عشر موضعًا، نحو قوله:
"فيأتيني أولئك القوم بأعيانهم الطاعنون على الكتاب الذي كان أحكم من هذا الكتاب...." (٣/ ١٢٤)
- في مفعول فعل يتعدى بنفسه في ثمانية مواضع، نحو قوله:
"ولو أنَّا أخذنا خصال هذه الأجمة وما عظَّمنا من شأنها، فقذفنا بها في زاوية من زوايا بحرنا...." (٣/ ٢٣٤)

النتائج الخاصّة بـ الباء:

- وردت **الباء** أصليَّة ومزيدة في **رسائل الجاحظ**؛ ووردها أصليَّة أكثر حيث وردت بنسبة ٩٥,٩٧٪.
- وردت **الباء** الأصليّة دالّة على الإلصاق، الاستعانة، التعدية، العوض، المصاحبة؛ وأكثر المعاني ورودًا الإلصاق وذلك بنسبة ٤٧,٦٠٪؛ ممَّا يدل على أنَّه المعنى الأصليّ لها كما ذكر النُّحاة.

- وردت **الباء** الأصليّة بمعنى حروف الجرّ الأخرى، وهي: **اللّام** للاختصاص، والتعليل، وفي، وعلى، ومن، وعن.
- وردت **الباء** بمعنى **في** بعد **ظن** وما يتصرف عنها وفق توجيه سيبويه إذ يقول: "وتقول: ظننت به، جعلته موضع ظنك كما قلت نزلت به ونزلت عليه. ولو كانت الباء زائدة بمنزلتها في قوله عز وجل: "كفى بالله " لم يجز السكت عليها، فكأنَّك قلت: ظننت في الدار. ومثله شككت فيه"(١).
- من المعاني التي ذكرها النُّحاة ولم ترد عند الجاحظ: القسم، بمعنى **إلى**.
- زيدت في الكلام الموجب والمنفيّ على حدٍّ سواء.
- من مواضع الزيادة التي ذكرها النُّحاة ولم ترد عند الجاحظ في التوكيد بـ **نفس**.
- زيدت في ثلاثة مواضع لم يذكرها النُّحاة، وهي: في مفعول فعل يتعدَّى بنفسه، وفي التمييز، في التوكيد بـ **أجمع**، في الحال المنفيّ عاملها.

تاسعًا: الواو:

لم يرد القسم في رسائل الجاحظ إلَّا بـ الواو، وكل المواضع جاء فيها لغرض التوكيد، وقد ورد القسم في ثلاث حالات:

الأولى: ذكر المقسم به وجملة جواب القسم: والجواب وفق الآتي:

أوَّلًا: الجواب المثبت: ورد في خمسة مواضع، منها قوله:

"ولا والله حتّى يغازل العقل ويعارضه، ويدغدغه ويخادعه، فيسَّره ثمّ يهزَّه...." (٣/ ٢٣٤)

ثانيًا: الجواب منفي: في قوله:

"فوالله ما كان أحد أفرط في العمريَّة منه، ولا أشدَّ على الشيعة منه..." (٣/ ١٠٠)

الثانية: ذكر المقسم به مع حذف جملة جواب القسم: في ثلاثة مواضع، منها قوله:

"وأنت – والله يا أخي – تعلم علم الاضطرار وعلم الاختيار وعلم الأخبار..." (٣/ ٢٤٩)

والذي سوَّغ حذفها ورود القسم بين متلازمين.

الثالثة: حذف المقسم به: وقد ورد مع ربما مسبوقة بـ اللّام الموطئة للقسم: في ستّة مواضع، منها قوله:

(١) الكتاب، سيبويه (١/ ٤١)

"ولربّما سبق الرجل إلى الواحدة، وقد كان صاحبه يريدها في نفسه..." (١/ ٢٤٣)

النتائج الخاصّة بـ الواو:

- لم يرد القسم في **رسائل الجاحظ** إلَّا بها، في كلّ المواضع كان لها الصدارة فيما دخلت عليها.
- دخلت على لفظ الجلالة **الله**، وكذلك على **اللَّام** الموطئة للقسم المتصلة بـ **ربَّ**.

عاشرًا: رُبَّ:

أوَّلًا: لغاتها:

كلّ اللغات التي وقعت فيها عند الجاحظ كانت **ربَّ** إلَّا موضعين وردت **ربت**، هما:

الأوَّل قوله: "ربَّت كلمة لا توضع إلَّا على معناها الذي جعلت حظَّه..." (١/ ٢٤٣)

الثاني: قوله: "وربَّت كلمة تدور مع خلَّتها، وتتقلَّب مع جارتها، وعلى قدر ما تقابل من الحالات، وتلاقي من الأسباب، كالحب والبغض، والغضب والرضا، والعزم والإرادة..." (١/ ٢٤٣)

وممَّا تجدر الإشارة إليه أنَّ هذه العبارة قد وردت بـ **ربّت** في الجزء الأوَّل، و **ربَّ** في الجزء الرابع من فصول عبيد الله بن حسان وبها تغيير بسيط في الألفاظ مع بقاء موقعها داخل النص ودلالتها العامة: "وربَّ كلمة تدور مع واصلتها، وتتقلب مع جارتها، وإزاء صاحبتها، وعلى قدر ما تقابل من الحالات وتلاقي من الأسباب، كالحب والبغض، والغضب والرضا، والعزم والإرادة..." (٤/ ٨٧)

ثانيًا: وردت ربَّ في رسائل الجاحظ في ثلاثة وستّين موضعًا، وتفصيلًا فقد وقعت مجردة من ما في ستّة مواضع، ومتصلة بها في سبعة وخمسين موضعًا على النحو الآتي:

أوَّلًا: ربَّ مجردة من ما: وقد دلّت في كلّ المواضع على التقليل، منها قوله:

"ورب كلام قد ملأ بطون الطوامير قد عُرِف جملته وما فيه الضرر منه.." (١/ ١٤٩).

وقد وصفت النكرة المجرورة بها بما يلي:

- باسمٍ: في موضع واحد في قوله:

"ورب خبر ضعيف الأصل، واهن المخرج، قد تهيَّأ له من الأسباب ما يوجب الشهرة..." (٣/ ٢٥٤)

- بجملة ماضية مثبتة في موضعين، منهما قوله:

"ورب كلام قد ملأ بطون الطوامير قد عُرِف جملته وما فيه الضرر...." (١/ ١٤٩)

- بجملة مضارعة مثبتة: في موضعين، منهما قوله:

"وربَّت كلمة تدور مع خلَّتها، وتتقلَّب مع جارتها، وعلى قدر ما تقابل من الحالات..." (١/ ٢٤٣)

- بجملة مضارعة منفيّ فعلها في موضع واحد، في قوله:
- "ربَّت كلمةٍ لا توضع إلَّا على معناها الذي جعلت حظَّه..." (١/ ٢٤٣)

ثانيًا: ربَّ متصلة بـ ما الزائدة:

اتصلت **ربَّ** بـ **ما** الزائدة في سبعة وخمسين موضعًا على النحو الآتي:

أوَّلًا: دلالتها: في كلّ المواضع دلّت على التقليل إلَّا موضعين قد دلّت فيهما على التكثير، هما:

"وإنِّي ربّما ألفت الكتاب المحكم المتقن في الدين والفقه، والرسائل والسيرة، والخطب والخراج والأحكام..." (١/ ٣٥٠)

"وربّما ألفت الكتاب الذي هو دونه في معانيه وألفاظه، فأترجمه باسم غيري..." (١/ ٣٥١)

والقول بأنَّها دلّت على التكثير هنا بالنظر إلى السياق العام الذي وردت فيه فالعبارتين وردتا في رسالة **فصل ما بين العداوة والحسد** وسياقها العام شكوى الجاحظ من أقرانه وحسدهم له وخاصّة المتنفّذين منهم كالحجاب وكتاب الدواوين وتواطأهم على حجب تمكُّنه وبراعته الكتابيَّة، فالجاحظ استعمل **ربَّ** هنا من باب المباهاة والافتخار بنفسه فجعلها دالّة على التكثير يتناسب مع غرضه.

ثانيًا: دخلت ربما على ما يلي:

أوَّلًا: على الجملة الفعليّة الماضية وفعلها متصرف: في تسع وثلاثين موضعًا، منها قوله:

"فربّما استرعى بهذه المخاتل والخدع قلب السيد الحازم..." (١/ ٣٥٢)

ثانيًا: جملة ماضية فعلها ناسخ: في تسعة مواضع، منها قوله:

"وربّما كان الإقلال في إيجاز أجدى من إكثار يخاف عليه الملل. فخلطت لك جدًا بهزل، والملحة بعد الحجة مستراحًا..." (٤/ ٢٨١)

ثالثًا: على جملة مضارعة فعلها منفيّ بـ **لم**: ويسوغ وقوعه هنا عند من يمنعه دخول **لم** عليه لأنَّها تقلب زمن المضارع إلى المضي: في موضعين منهما قوله:

"فكيف وهو إن خلا بمعشوقه لا يظنُّ أنَّ لذة الغناء تشغله بمقدار العشر من لذته، بل ربّما لم يخطر له ذلك الغناء على بالٍ...." (٣/ ١٤٣)

وممَّا تجدر الإشارة إليه أنَّ البحث عثر على خمسة مواضع لـ ربما فقدت فيها الصدارة؛ إذ وقعت خبرًا على النحو الآتي:

أوَّلًا: خبرًا للمبتدأ في قوله: "وهذه المسألة ربّما سأل عنها بعض القحطانيَّة.." (١/ ٣٣)

ثانيًا: خبرًا لـ **إنَّ** و**أنَّ** في أربعة مواضع، منها قوله: "فإن قلتم: إنَّ المنجمين ربّما أخبروا بالضمير، وبالأمر المستور، وببعض ما يكون..." (٣/ ٢٦١)

النتائج الخاصّة بـ ربَّ:

- لم ترد ربَّ في **رسائل الجاحظ** إلَّا بلغتين، هما: ربَّ، ربَّت، والملاحظ أنَّها لم ترد **ربَّت** إلَّا في حالة عدم اتصالها بـ **ما** الزائدة.
- من اللغات التي ذكرها النُّحاة ولم ترد عند الجاحظ: رُبَ، رُبَما، رُبُما، رُبَّتَما، رَبَما[١].
- دلّت **ربَّ** على التقليل أكثر من دلالتها على التكثير ممَّا يقوّي رأي من ذهب إلى أنَّ التقليل معناها الأصليّ.
- اتصلت **ربَّ** بـ **ما** الزائدة أكثر من تجردها منها؛ حيث اتصلت **بها بنسبة ٩٠,٤٧٪**.
- في كلّ المواضع التي خلت من **ما** تصدرت الكلام، وكذلك لما اتصلت بـ **ما** إلَّا في خمسة مواضع وقعت فيها خبرًا لمبتدأ ولناسخ، ممَّا يدفع إلى القول بأنَّ الصدارة تكون بالنسبة لما تدخل عليها وليس في الكلام بعامة.
- في كلّ المواضع التي لم تتصل فيها بـ **ما** الزائدة فإنَّها جرت نكرة موصوفة، وقد وصفت النكرة بجملة أكثر من وصفها باسم مفرد.
- لم يرد حذفها عند الجاحظ.
- في كافَّة المواضع التي اتصلت فيها بـ **ما** قد هيَّأتها للدخول على الجملة الفعليّة وهذا ممَّا يتَّفق مع ما ذهب إليه متقدمو النُّحاة حيث يرون أنَّها تهيُّؤها للدخول على الجملة الفعليّة فقط[٢]، ويضعف ما ذهب إليه المتأخرون من أنَّها بالإضافة إلى ذلك تهيُّؤها للدخول على الجملة الاسميّة [٣].

(١) ينظر: الجنى الداني، المراديُّ (٤٣٨)

(٢) ينظر: الكتاب، سيبويه (١١٥/٣)

(٣) ينظر: شرح المفصَّل، ابن يعيش (٣٠/٨)

النتائج العامة لحروف الجرّ:

مجموع حروف الجرّ الواردة عند الجاحظ ١٤,٩٢٥ حرفًا، وقد وردت وفق النسب الآتية:

-**من**: وردت بنسبة ٢٢,٦٣٪.

- **إلى**: وردت بنسبة ٦,٩٦٪.

- **في**: وردت بنسبة ١٩,٢٠٪.

- **عن** وردت بنسبة ٤,٥٦٪.

- **على**: وردت بنسبة ١٤,٩٨٪.

- **اللَّام**: وردت بنسبة ١٤,٤٨٪.

- **الكاف**: وردت بنسبة ٠,٤٦٪.

- **الباء**: وردت بنسبة ١٦,١٦٪.

- **الواو**: وردت بنسبة ٠,١٠٪.

- **ربَّ**: وردت بنسبة ٠,٤٢٪.

يلاحظ البحث أنَّ أكثر حروف الجرّ ورودًا في **رسائل الجاحظ من**، ثمّ **في**، ثمّ **إلى**، ثمّ **الباء**، ثمّ **على**، ثمّ **اللَّام**، ثمّ **إلى**، ثمّ **عن**، ثمّ **الكاف**، ثمّ **ربَّ**، ثمّ أقلها **الواو**، وحروف الجرّ التي لم يستعملها الجاحظ **التاء، منذ، مذ، حتّى الجارة للأسماء الصريحة**.

وجد البحث أنَّ أكثر المعاني ورودًا للحروف المعنى الذي نص النُّحاة على أنَّه المعنى الأصليّ لها؛ فنجد أنَّ **إلى** قد وردت في الأغلب دالَّة على انتهاء الغاية، **وفي** دالَّة على الظرفيَّة، و**عن** دالَّة على المجاوزة، و**على** دالَّة على الاستعلاء، و**اللَّام** دالَّة على الاختصاص، و**الكاف** دالَّة على التشبيه، و**الباء** دالَّة على الإلصاق ، و**الواو** دالَّة على القسم، **وربَّ** دالَّة على التقليل، ولعَّ الحرف الوحيد الذي خرج عن هذا **من** إذ أغلب دلالتها كانت على بيان الجنس لكنَّه لم يكن بفارق كبير عن المعنى الذي نصَّ النُّحاة على أنَّه معناها

الأصلي وهو الابتداء، وكل هذا يدل على صواب نصِّ العلماء على أنَّ هذه المعاني هي المعاني الأصليَّة لهذه الحروف، وهذا يدفع إلى تقنين إطلاق القول بنيابة حروف الجرّ عن بعضها.

وفيما يتعلَّق باستعمال حروف الجرّ فإنَّنا نجد أنَّ حروف الجرّ قد وردت أصليَّة ومزيدة والحروف التي وردت مزيدةً عند الجاحظ، هي: **من، واللام، والكاف، والباء،** والحروف التي جوَّز النحاة زيادتها ولم تزد عند الجاحظ، هي: **إلى، وفي، وعن، وعلى،** في حين أنَّ الزيادة في كلِّ الحروف المزيدة أقلَّ بكثير من ورودها أصليَّة.

المبحث الثالث: حروف متفرِّقة

هذا المبحث سيتناول دراسة الحروف المتفرّقة الواردة في **رسائل الجاحظ** والتي لا يضمُّها باب معيَّن لكنّها مختصَّة بالدخول على الأسماء، وقد رتبت وفق الترتيب الهجائيّ، وهي: **أل التعريف، وإذا الفجائية، وإلّا، وأَمَا الاستفتاحيّة، وأَمَّا، ولا العاملة عمل ليس، ولولا، وما النافية، وهاء التنبيه، وواو المعيَّة، ويا النداء،** وتشترك هذه الحروف في إهمالها وفق الرأي الأشهر عند النُّحاة ماعد: **لا العاملة عمل ليس، وما النافية؛** علمًا أنَّها تعمل بشروط معيَّنة. ويلاحظ أنَّ بعض هذه الحروف تظهر دلالتها على مستوى الجملة لكنَّ البحث آثر تصنيفها هنا لاختصاصها بالدخول على الأسماء ليتَّسق التقسيم.

الحروف المتفرّقة المختصَّة بالأسماء في رسائل الجاحظ:

أوَّلًا: أل التعريف:

وقعت **أل** التعريف في **رسائل الجاحظ** في تسعة عشر ألف وأربعمئة وثلاثة وثمانين موضعًا، بنوعيها العهديَّة والجنسيَّة على النحو الآتي:

- العهديَّة: وهذه في ألفين وثلاثمئة وخمسة وثمانين موضعًا، منها قوله:

"وتفسد عليها الطائفتان..." (١/ ١٠٦)

"واعلم أنَّه متى كان الأوَّل..." (١/ ١٠٩)

"أسلم قبل الفتح..." (١/ ١٨٥)

"أبان الله تعالى مكة والبيت..." (١/ ١٨٦)

"ولهذه الخصال..." (٣/ ١١٧)

"الذين كانوا في هذا الشأن..." (٣/ ١٣٥)

"فيا أيُّها المتكلِّم الجماعي..." (٤/ ٢٤٣)

- الجنسيَّة: وهذه في سبعة عشر ألفًا وثمانية وتسعين موضعًا، منها قوله:

"دون الحثِّ عليه والانقطاع إليه..." (١/ ٥)

"والصبر على المحافظة في ألَّا يصل إلى غيرهم.." (٣/ ١٦٣)

"ويصبر على الفقر، قناعةً بوطنه، وحبّاً لعطنه، واعتداداً بما وصف من رفاهة عيشه..." (٢/ ٣٩٦)

"كانت العرب إذا غزت وسافرت حملت..." (٢/ ٣٩٢)

"ولولا تقييد العلماء خواطرهم على الدهر، ونقرهم آثار الأوائل في الصخر، لبطل أوَّل العلم وضاع آخره...." (٢/ ٣٨٣)

النتائج الخاصّة بـ أل التعريف:

- وردت **أل** الجنسية أكثر من العهديَّة وهذا بنسبة ٨٧,٧٥٪.

ثانيًا: إذا الفجائية:

وردت **إذا** الفجائية في **رسائل الجاحظ** في الموضعين الآتيين:

"فنظر بعض الوزراء فإذا خراج مصر وحده يضعف على خراج بلاد الروم إذا جمعت أبواب المال..." (٤/ ١٣٤)

"ورأيت التربة التي بينها وبين قصبة الكوفة، ورأيت لون الأرض فإذا هو أكهب كثير الحصى..." (٤/ ١٤٧)

النتائج الخاصّة بـ إذا الفجائية:

- دلّت على المفاجأة، والتعقيب، وقرينة صارفة إلى الحال.
- أجاز النُّحاة دخولها على الطلب ولكنها في الموضعين دخلت على الخبر.
- وردت في سياقات المفاجأة، ومن المواضع التي ذكرها النُّحاة ولم ترد عند الجاحظ وقوعها في جواب الشرط، وبعد بينا وبينما.

ثالثًا: إلّا:

وردت إلّا في رسائل الجاحظ في خمسمئة وتسعة وستّين موضعًا وذلك في تركيبين على النحو الآتي:

التركيب الأوَّل: الاستثناء التام: وقد ورد في تسعة وثمانين موضعًا، وتفرعت عنه صورتين:

الصورة الأولى: الاستثناء التام المتصل: وقد رود في سياقين: موجب، ونفي على النحو الآتي:

الأوَّل: الاستثناء التام المتصل الموجب: وقد ورد في صورتين:

الأولى: المستثنى اسم منصوب: في أربعة وعشرين موضعًا، منها قوله:

"إنَّي قد أحصيت جميع أسباب التعادي، وحصلت جميع علل التضاغن، إلّا علة عداوة الشيطان للإنسان..." (١/ ٢٦٤)

الثانية: المستثنى اسم مجرور: في أربعة مواضع، منها قوله:

"وبعد، فعلى الناس طاعة الأئمة في كلّ ما أمروا به، إلّا فيما تبين أنَّه معصية..." (٣/ ٢٣١)

الثاني: الاستثناء التام المتصل المنفي: وقد ورد في تسعة وعشرين موضعًا، ولدراسة هذه الصورة من الاستثناء نقسم النفي قسمين؛ نظرًا لاختلاف الأوجه الإعرابية لكلٍّ منهما:

الأوَّل: النفي بغير لا النافية للجنس: في أربعة وعشرين موضعًا، منها قوله:

"أنَّه لا يحتمل شيئا من التأويل إلَّا وجهًا واحدًا..." (٤/ ٢٩٠)

الثاني: النفي بـ لا النافية للجنس: في خمسة مواضع، منها قوله:

"وكذلك خاصُّ الخاصِّ لا اسم له إلَّا أن تجعل الإشارة المقرونة باللفظ اسمًا..." (١/ ٢٦٣)

الصورة الثانية: الاستثناء التام المنقطع: وقد رود في سياقين: موجب ونفي في اثنين وثلاثين موضعًا على النحو الآتي:

الأوَّل: الاستثناء التام المنقطع الموجب: في ثلاثة وعشرين موضعًا، منها قوله:

"وسواء في باب ما يستحق من الإكفار جحد الكتاب وردُّ السنة؛ إذ كانت السنة في شهرة الكتاب وظهوره، إلَّا أنَّ أحدهما أعظم، وعقاب الآخرة عليه أشدُّ..." (٢/ ١١)

الثاني: الاستثناء التام المنقطع المنفي: في تسعة مواضع، منها قوله:

"لم يلده الأب الذي ادعى إليه قطّ، إلَّا أنَّه مولود على فراشه، مشهور بالانتماء إليه..." (٢/ ١٦٥)

التركيب الثاني: الاستثناء المفرغ وقد ورد في أربعمئة وواحد ثمانين موضعًا قد وقعت فيه إلَّا في موضعين:

الأوَّل: وقعت بعدها الأسماء عُمَد وفضلات، على النحو الآتي:

أوَّلًا: وقعت بين الفعل والفاعل: في واحد وخمسين موضعًا، منها قوله:

"فلم يبق إلَّا التحاسد والتنافس الذي لا يزال يكون بين المتقاربين في القرابة، وفي الصناعة..." (١/ ٣٤)

ثانيًا: وقعت بين الفعل ونائب فاعل:

أوَّلًا: سبقت بنفي: في قوله:

"لأنَّ من التعظيم لمقام رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا يقام فيه إلَّا أشبه الناس.." (٤/ ٣٠٥)

ثانيًا: سبقت بشبه نفي: في قوله:

"فهل أعذرت في الاجتهاد حتّى لا يُذم إلَّا تعجُّبُك.." (٣/ ١١٦)

ثالثًا: وقعت بين المبتدأ والخبر:

أوَّلًا: تلاها المبتدأ: وهذا في موضعين:

الأوَّل: سبقت بشبه نفي: في ثلاثة مواضع، منها قوله:

"وهل أكثر النقباء إلَّا من صميم العرب..." (١/ ٢٢)

الثاني: سبقت بنفي: في موضعين، منهما قوله:

"وما معنى خلافه إلَّا أن يكون المبطل شاكًّا، أو يكون عارفًا بتقصيره.." (٤/ ٥٣)

ثانيًا: تلاها خبر: وهذا في موضعين:

الأوَّل: سبقت بشبه نفي: في سبعة مواضع، منها قوله:

"ولكن هل المجد إلَّا كرم الأرومة والحسب..." (٤/ ٢٠٤)

الثاني: سبقت بنفي: في أربعة مواضع منها قوله:

"فما الطاعن على عثمان إلَّا رجل أخطأ خطة الحق.." (٣/ ٢٣٢)

رابعًا: وقعت بين اسم ناسخ حرفي أو فعلي وخبره:

أوَّلًا: تلاها اسم ناسخ: : وهذا في موضعين:

الأوَّل: سبقت بشبه نفي: في قوله:

"وهل يكون كذلك إلَّا فاسد الحس ظاهر العنود، أو جاهل بالمحَال..." (٣/ ٥٦)

الثاني: سبقت بنفي: في خمسة وعشرين موضعًا، منها قوله:

"ما كان عندنا في أمره إلَّا مثل ما عندنا فيه..." (٤/ ٢٤)

ثانيًا: تلاها خبر ناسخ فعلي أو حرفي: : في أربعة وأربعين موضعًا، منها قوله:

"إذ كان لا حجة إلَّا ما لا يقدر عليه الخليقة، وما لا يتوهَّم من جميع البريَّة..." (٣/ ٢٦٠)

خامسًا: وقعت بين الفعل والمفعول به الأوَّل: : وهذا في موضعين:

الأوَّل: سبقت بشبه نفي: في ستّة مواضع، منها قوله:

"وهل يأمل الشريف إلَّا اصطناعك؟ وهل يقدر الملهوف إلَّا غياثك؟.."(٣/ ٨١)

الثاني: سبقت بنفي: في خمسة وثلاثين موضعًا، منها قوله:

"فكان الأحنف ما يزداد إلَّا علوًا، وكان ذلك الرجل لا يزداد إلَّا تسفلًا..." (٤/ ١٧٤)

سادسًا: بين الفعل ومفعوله الثاني: وتفرع عن هذا صورتان:

الأولى: ولي إلَّا اسم مفرد: في عشرة مواضع، منها قوله:

"ولا أعلم الفرقة في المغرب إلَّا أكثر من الفرقة في المشرق، إلَّا أنَّ أهل المغرب إذا خرجوا لم يزيدوا على البدعة والضلالة، والخارجيُّ في المشرق لا يرضى بذلك حتّى يجوزه إلى الكفر، مثل المقنَّع وشيبان والإصبهبذ وبابك، وهذا الضرب..." (٤/ ١٣٤)

ثانيًا: ولي إلَّا مصدر مؤول:

"وأنتم لا تكادون تعدُّن ممن ولد له من صلبه مائة ولد إلَّا أن يكون خليفة ..." (١/ ٢١٣)

ثالثًا: وقوع المضارع المتصل بالسين بعدها مفعول ثانٍ لفعل ينصب مفعولين أصلهما المبتدأ والخبر:

"وما إخالها إلَّا ستدقُّ على ابن العاص، وتغمض على ابن هند..." (١/ ٢٥٧)

سابعًا: وقعت بين الفعل والمفعول المطلق: في موضع واحد وقد سبقت بنفي:

"فإن استرسلت إليك لم تر أن تقتلني إلَّا شرَّ قتلة وآلمها..." (١/ ٢٥١)

ثامنًا: وقعت بين الفعل والمفعول لأجله: في ثلاثة مواضع وقد سبقت بنفي، منها قوله:

"ولا يفعله إلَّا تكلُّفًا..." (٤/ ٢٠٠)

تاسعًا: وقعت بين الفعل والظرف المتعلق به: وهذا في صورتين:

الأولى: سبقت بشبه نفي: في قوله:

"وأبي أن يقبلهما إلَّا معًا..." (١/ ٩٤)

الثانية: سبقت بنفي: في ثلاثين موضعًا:

"أنَّ نشر محاسنك لا يليق بك، ولا يقبل منك، إلَّا إذا كان القول لها على ألسن أهل المروءات..." (١/ ١٢٩)

عاشرًا: وقعت بين الحال وصاحبها: لم تقع هذا الموقع إلَّا مسبوقة بنفي: في ثمانية وعشرين موضعًا، منها قوله:

"ولا يجوز أن أقول: خاصمت إلَّا وهناك من يخاصمني..." (٤/ ١٣)

الحادي عشر: وقعت بين الصفة والموصوف: : وهذا في صورتين:

الأوَّل: سبقت بشبه نفي: في موضعين، هما:

"قلنا: وهل رأيتم أحدًا اكتسب علمًا قط، أو نظر في شيء إلَّا وأوَّل نظره إنَّما هو على أصل الاضطرار.." (٤/ ٥٤)

"وهل منكم واحد على حياله محقًا أو مبطلًا إلَّا وجوابه لنا مثل جواب صاحبه القلوب قد تكون..." (٤/ ٥٦)

الثاني: سبقت بنفي: في ستّة عشر موضعًا، منها قوله:

"لم يخلُ زمن من الأزمان فيما مضى من القرون الذاهبة إلَّا وفيه علماء محقُّون.." (١/ ٣٣٨)

الثاني عشر: وقعت بين الفعل والجار والمجرور المتعلقين به: وتفرع عن هذا صورتان:

الأولى: وليها حرف جر ملفوظ به:

الأوَّل: سبقت بشبه نفي: في ثمانية مواضع، منها قوله:

"وإن كان ذلك لمكان التربية فهل رباه إلَّا كما ربى موسى، وداود، وجميع الأنبياء.." (٣/ ٣٤٢)

الثاني: سبقت بنفي: في مئة واثنين وثمانين موضعًا، منها قوله:

"أن لا يعتذر إلَّا إلى من يحب أن يجد له عذرًا..." (١/ ١٦٦)

الثانية: المجرور بحرف جر مقدر: في قوله:

"ولم أُهجِّن ذكره إلَّا أنَّ فضله خاصّ دون عامّ، وفضل الكلام خاصّ وعامّ..." (٤/ ٢٣٣)

ثانيًا: وقع بعدها الفعل الماضي: ولقد وقع الماضي بعد إلَّا في رسائل الجاحظ، في المواضع الآتية:

الأوَّل: وقع حالًا مع تقدم ماض منفي: في ستّة مواضع، منها قوله:

"وما رأيت عظيم الكبر صاحب حرب إلَّا كان منكوبا ومهزوما ومخدوعا..." (٤/ ١٨٥)

الثاني: وقع بدون وجود ما اشترط لوقوعه إذ وقع قبله مضارع منفيّ بـ لم: في عشرة مواضع، منها قوله:

"لم يجرح قط ولا جرح إنسانا إلَّا قتله..." (٢/ ١٢)

الثالث: وقع مسبوقًا بمضارع منفيّ بـ لا: في قوله:

"فيظن بنفسه عند ذلك أنَّه لا يحمل عقله على شيء إلَّا نفذ به فيه..." (٣/ ٤٤)

ومن المسائل التي تجدر الإشارة إليها تكرار إلَّا: وقد وردت في موضعين:

أوَّلًا: تكرارها للتوكيد: إذا تلت واو العاطفة وهي هنا زائدة لا عمل لها: في ثلاثة مواضع، منها قوله:

"فلم أر فيها شيئا ينفق إلَّا العلم والبيان عنه، وإلَّا العمل الصالح والدعاء إليه، وإلَّا التعاون على مصلحة العباد، ونفي الفساد عن البلاد..." (١/ ٣١٤)

ثانيًا: تكرارها لغير التوكيد: لم يرد في الرسائل إلَّا مع الاستثناء المفرغ: في أربعة مواضع، منها قوله:

"ولا يجوز أن يعرف عارف معنى الرسالة إلَّا بعد الفراغ من هذه الوجوه، إلَّا أن يجعل جاعل التقليد والنشو والإلف لما عليه الآباء، وتعظيم الكبراء معرفة ويقينًا..." (٤/ ٣٢)

النتائج الخاصّة بـ إلّا:

- أكثر تراكيب **إلَّا** ورودًا في **رسائل الجاحظ** الاستثناء المفرغ بنسبة ٨٤,٣٪، ثمّ الاستثناء التام بنسبة ١٥,٧٪.
- استعمل الجاحظ **إلّا**الحاصرة بين الفعل ومتعلَّقه من الجار والمجرور أكثر من غيره **وذلك بنسبة ٣٧,٨٪.**

- دلّت **إلَّا** على الاستثناء في الاستثناء التام المتصل الموجب والمنفي، وعلى الاستدراك بمعنى **لكن** في الاستثناء التام المنقطع في سياقي الإيجاب والنفي، والمستثنى فيه وإن كان من غير جنس المستثنى منه فيه إلَّا أنَّه في كلّ المواضع يستحضر بوجه ما، وعلى الحصر في الاستثناء المفرغ.
- ورد المستثنى في الاستثناء التام المتصل الموجب عند الجاحظ منصوبًا، ومتبوعًا للمستثنى منه ونصبه هو المشهور عند النُّحاة، وإتباعه للمستثنى منه يتَّفق مع ما ذهب إليه بعض النُّحاة من جواز اتباع المستثنى بالمستثنى منه في الاستثناء التام المتصل الموجب، وقد سمع الاتباع عن العرب كما في قول الشاعر(١):

وكل أخ مفارقه أخوه لعمر أبيك إلَّا الفرقدان

والملاحظ قلته بالمقارنة مع النصب.

- آثر البحث فصل المستثنى في الاستثناء التام المتصل المنفيّ من المنفيّ بـ **لا** النافية للجنس عن المنفيّ بغيرها لأنَّ له أربعة أوجه إعرابية، هي(٢):

الأوَّل: النصب على الاستثناء وهذا الأكثر الأفصح.

الثاني: الرفع على البدلية من موضع الاسم الذي قبلها لأنَّ الاسم المبني مع **لا** النافية للجنس في محل رفع على الابتداء.

الثالث: النصب على جعل المستثنى مع **إلَّا** بدلًا على اللفظ.

الرابع: الرفع على جعل المستثنى مع **إلَّا** في موضع بدل على الموضع وكلاهما على جعل **إلَّا** بمعنى غير.

- ورد الفصل بـ **إلَّا** بين الفعل والمفعول المطلق وفق ما قرَّره النُّحاة فقد كان مبين للنوع.
- ورد الفصل بـ **إلَّا** بين الصفة والموصوف في أحد عشر موضعًا وهذا من المواضع المختلف فيها بين النُّحاة باعتبار أنَّ الصفة والموصوف كشيء واحد وإلَّا وما بعدها باعتبار جملة مستأنفة، وقد أوَّل المانعون التراكيب المشابهة للمذكور على الحال إن صلح وإن لم يصلح على الابتداء(٣).
- ورد الفعل الماضي بعد **إلَّا** وقد منع النُّحاة وقوع الأفعال بعدها إلَّا ما أشبه الاسم منها وهو المضارع ومنع وقوع المضي بعدها إلَّا بأحد شرطين هما:

(١) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغداديّ، الخطيب البغداديُّ (٣/ ٤٢١)

(٢) رصف المباني، المالقيُّ (١٧٢)

(٣) ينظر: شرح التسهيل لابن مالك، ابن مالك (٢/ ٣٠٢)

أ. أن يقترن الماضي بـ **قد**؛ لأنَّ **قد** تقرب الماضي من المضارع.

ب. أن يتقدم ماض منفي؛ "وذلك إذا قصد لزوم تعقب مضمون ما بعد إلَّا، لمضمون ما قبلها، وإنَّما جاز أن يليها الماضي مع هذا القصد، لأنَّ هذا المعنى هو معنى الشرط والجزاء، في الأغلب، نحو: إن جئتني أكرمتك، وإنَّما قلت في الأغلب لأنَّه قد لا يكون مضمون الجزاء متعقبا لمضمون الشرط، بل يكون مقارنا له في الزمان"(١).

والجاحظ قد التزم بهذه الشروط في ثلاثة مواضع، وفي ثمانية اكتفى بالقرينة **لم** الصارفة للمضارع إلى المضي، وفي موضع واحد فقط نفي المضارع الذي قبلها بـ **لا**.

رابعًا: أَمَا الاستفتاحية:

وردت في **رسائل الجاحظ** في موضعين، هما:

"أَمَا إنِّي لا أعنى قول سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلَّا الله – وإنَّ ذلك لمن ذكر الله – ولكن ذكره عند ما يعرض من الأمور، فإن كان طاعةً لله فعلته، وإن كان معصيةً لله اجتنبته..." (١/ ١٦٢)

"أَمَا لو كنت من بنات ملوك العجم لألفاك سيَّدك على أجود صنعة، وعلى أحسن طاعة، إذ كلّ رجل ينبسط للتمتع مع التفل..." (٣/ ١٥٦)

النتائج الخاصّة بـ أَمَا:

- وردت محقَّقة الهمزة ولم تقلب، كما لم تحذف ألفها.
- لم ترد تالية للقسم والنداء ممَّا ذكر النُّحاة بأنَّها أكثر مواقعها.

خامسًا: أمَّا:

قد فصل بين أمَّا والفاء بالفواصل الآتية:

أوَّلًا: بالمبتدأ: في تسعة وثمانين موضعًا، منها قوله:

"فأمَّا مسألتهم في كلام عيسى في المهد: أنَّ النصارى مع حبهم لتقوية أمره لا يثبتونه، وقولهم: إنَّا تقولناه ورويناه عن غير الثقات.." (٣/ ٣٢٤)

ثانيًا: بالخبر في موضع واحد:

(١) شرح الرضي على الكافية، الأستراباذيُّ (١٣٨/٢)

"وأمَّا في الأرض فابْنَا آدم حيث قتل أحدهما أخاه، فعصى ربه وأثكل أباه..." (٣/ ٦)

ثالثًا: بجملة شرط غير جازم في ثلاثة مواضع، منها قوله:

"فأمَّا إذا كان أحدنا ذا عين، والآخر ليس ذا عين، فغير جائز أن تسمى الرؤية معاينة..." (٤/ ١٣)

رابعًا: بالحال: في ثلاثة مواضع، منها قوله:

"فأمَّا والأمر كما وصفنا ونزلنا، فما الطاعن على عثمان إلَّا رجل أخطأ خطَّة الحق..." (٣/ ٢٣٢)

خامسًا: بالظرف: في خمسة مواضع، منها قوله:

"أمَّا بعد فإنَّ جماعات أهل الحكمة قالوا: واجب على كلّ حكيم أن يحسن الارتياد لموضع البغية..." (١/ ٩١)

من خصائص استعمال الجاحظ لها:

- **افتتاح بعض الرسائل بها: في خمسة مواضع، منها قوله:**

"أمَّا بعد فإنَّه ليس كلّ صامت عن حجته مبطلًا في اعتقاده.." (٢/ ١٤٤)

- **تفصيل نصوص منقولة والتعليق عليها: في المواضع الآتية:**

أوَّلًا: في رسالة **فخر السودان على البيضان** في تسعة مواضع في شرح قصيدة **الحَيْقُطان** التي رد بها على هجاء جرير له.

ثانيًا: في كتاب **البغال** في ثلاثة مواضع في شرح أبيات من قصيدة كتبها أبو الوزير المعلم في ركوب البغال.

ثالثًا: في تعليقه على الحديث النبوي" فأمَّا الحديث الذي جاء: " لا يشبع أربع من أربعة: أرض من مطر، وعين من نظر، وأنثى من ذكر، وعالم من علم ". فإنَّ العين لا تشبع في الجملة كما لا يشبع الخيشوم من الاستنشاق" (١/ ١٥٧)

- **تفصيل اعتراضات يتوقعها في الرسائل المختصَّة بالمناظرات ويتضح فيها وظيفة الربط التي قامت بها إذ لم يكن ربطًا على مستوى الجملة والفقرة فحسب بل على مستوى النص بحيث تستدعي أمَّا ذكر شيء من الاعتراض للإجابة عليه، في أحد عشر موضعًا، منها قوله:**

"فإنَّ قالوا: فما الأمر الذي يعرفون من الأمر الذي يجهلون؟ قيل لهم: أمَّا الذي يعرفون، فالتنزيل المجرد بغير تأويله، وجملة الشريعة بغيرها، وما جل من الخبر واستفاض..." (١/ ١٥٧)

وفيما يتعلق بتكرار أمَّا ودلالتها على التفصيل:

فقد تراوحت المواضع بين التكرار وعدمه، والذي يتضح من خلال تتبع المواضع التي وردت فيها **أمَّا** أنَّ دلالتها على التفصيل لم تكن ملازمة للتكرار فقد دلّت على التفصيل في مواضع لم تتكرر فيها نحو مواضع التعليق على النصوص المنقولة، والمواضع التي فصلت الاعتراضات التي يجيب عنها الجاحظ، وفي مواضع أخرى أجمل الكلام قبلها نحو:

"ولكن الناس كانوا على طبقات مختلفة، ومراتب متباينة: من قاتل، ومن شاد على عضده، ومن خاذل عن نصرته. والعاجز ناصر بإرادته، ومطيع بحسن نيته. وإنَّما الشك منا فيه وفي خاذله، ومن أراد عزله والاستبدال به. فأمَّا قاتله والمعين على دمه والمريد لذلك منه، فضلَّال لا شكَّ.." (٤/ ٣٩)

وقد يكون الإجمال قبلها في سياق ثقافي غير مذكور كما في قوله:

"حفظك الله وأمتع بك، أمَّا من آثرت فإنَّه يعلم أنَّك لم تؤثره باستحقاق بل لهوى..." (٢/ ٩)

فالفعل الماضي **آثرت** إشارة إلى مجمل يعرفه المرسل إليه.

النتائج الخاصّة بـ أمَّا:

- لازمت الدلالة على الشرط والتوكيد في كلّ المواضع.
- دلّت على التفصيل في كلّ المواضع مع عدم تكرارها على خلاف ما ذهب إليه بعض النُّحاة من أنَّها دلالة غير لازمة لها ويشترط لدلالتها عليها تكرارها.
- وظَّف الجاحظ **أمَّا** في الربط على مستوى النص، وقد اعتمد في بعض المواضع على ربطها المقول بالسياق الثقافي.
- فصل بين **أمَّا** و**الفاء** بالمبتدأ، والخبر، وجملة شرط غير جازم، وبالحال، وبالظرف.
- وافق استعمال الجاحظ للفصل بالخبر بينها وبين **الفاء** ما ذكره النُّحاة من قلته فلم يقع إلَّا في موضع واحد في حين كان الفصل بالمبتدأ أكثر **بنسبة ٨٨,١١٪**.
- لم يتقدم عليها شيء ممَّا هو في حيزها وفق ما ذكره النُّحاة.
- قد فصل بين **أمَّا والفاء** بجملة شرط غير جازم وفي هذه الحالة فإنَّ الجواب المذكور بعد **الفاء** أجاز بعض النُّحاة أن يكون لـ **أمَّا** وأداة الشرط لكن البحث يتَّجه للقول بأنَّه جواب لأداة الشرط و**أمَّا**

معًا وقد قال به بعضهم؛ إذ لم يرد جزم الجواب وإن صلح للجزم، ولأن **أمَّا** "لما وجب حذف شرطها فلم تعمل فيه، فتح أن تعمل في الجزاء الذي هو أبعد منها، من الشرط"[1].

سادسًا: لا العاملة عمل ليس:

وقد وردت في قوله:

"ولا هي بأول زبية غطيتها وسترتها، وحيلةٍ أكمنتها وربصتها..." (١/ ٢٤١)

النتائج الخاصّة بـ لا العاملة عمل ليس:

- لم تعمل لتخلف شرط تنكير اسمها، واتصلت **الباء** الزائدة بخبرها.

سابعًا: لولا:

أوَّلًا: دلالتها: دلّت **لولا** في **رسائل الجاحظ** على دلالتين:

أوَّلًا: امتناع لوجوب: في ستّة وعشرين موضعًا، وقد ورد المبتدأ بعدها اسمًا مفردًا ومصدرًا مؤولًا على النحو الآتي:

أوَّلًا: المبتدأ: اسم مفرد: وقد ورد جوابها على النحو الآتي:

أوَّلًا: ماضٍ مثبت متَّصل بـ اللَّام: في خمسة عشر موضعًا، منها قوله:

"ولولا قوَّة الراعي لهلكت الرعية..." (١/ ١٠٧)

ثانيًا: ماضٍ مثبت غير متَّصل باللام: في قوله:

"فلولا السائس ضاع المسوِّس..." (٣/ ١٥١)

ثالثًا: ماضٍ دخلت عليه قد المتصلة باللام: في قوله:

"ولولا ما رسمت لنا الأوائل في كتبها، وخلَّدت من عجيب حكمها، ودوَّنت من أنواع سيرها؛ حتّى شاهدنا بها ما غاب عنا، وفتحنا بها المستغلق علينا، فجمعنا إلى قليلنا كثيرهم، وأدركنا ما لم نكن ندركه إلَّا بهم لقد

(١) شرح الرضي على الكافية، الأستراباذيُّ (٤/ ٤٦٩)

خسَّ حظُّنا في الحكمة، وانقطع سببنا من المعرفة، وقصرت الهمَّة، وضعفت النيَّة، فاعتقم الرأي وماتت الخواطر، ونبا العقل..." (١/ ٣١٦)

ثانيًا: المبتدأ: مصدر مؤول مكون من أنَّ ومعموليها: وقد ورد جوابها على النحو الآتي:

أوَّلًا: ماضٍ مثبت متَّصل بـ اللَّام: في سبعة مواضع، منها قوله:

"ولولا أنَّ الزنجيَّ والزنجيَّة قليلا ما يريدان من الغرائب والغرباء، لكنَّا على حالٍ سنرى لرجال..." (١/ ٢١٣)

ثالثًا: المبتدأ: مصدر مؤول من أنْ والفعل المضارع: وقد ورد جوابها ماضٍ مثبت متَّصل بـ اللَّام: في موضعين، هما:

"ولولا أن يأخذ الواصف لك بنصيبه منك، وبحصَّته من الصدق وبسهمه من الشكر لك، لكان الإطناب عندهم في وصفك لغوًا، ولكان تكلُّفه فضلًا...." (٣/ ٨١)

"وهذا باب لولا أن نشغل القارئ لهذا الكتاب بغير ما قصدنا إليه وعزمنا عليه لأتينا عليه..." (١/ ١٦٩)

ثانيًا: وجوب لوجوب: وقد وردت في أربعة وثلاثين موضعًا، وقد ورد المبتدأ بعدها اسمًا مفردًا ومصدرًا مؤولًا على النحو الآتي:

أوَّلًا: المبتدأ: اسم مفرد: وقد ورد جوابها على النحو الآتي:

أوَّلًا: ماضٍ منفيّ متَّصل بـ اللَّام: في تسعة مواضع، منها قوله:

"ولولا حلاوة الإخبار والاستخبار عند الناس لما انتقلت الأخبار وحلَّت هذا المحل.." (١/ ١٤٤)

ثانيًا: ماضٍ منفيّ غير متَّصل بـ اللَّام: في خمسة مواضع، منها قوله:

"ولولا الأمر والنهي ما كان للتبقية وتعديل الفطرة معنى..." (٤/ ٣٢٠)

ثالثًا: مضارع منفي: في تسعة مواضع، منها قوله:

"ولولا ظنُّك لم نحمدك عليه..." (٣/ ١١٦)

ثانيًا: المبتدأ: مصدر مؤول مكون من أنَّ ومعموليها: وقد ورد جوابها على النحو الآتي:

أوَّلًا: ماضٍ منفيّ بـ ما متَّصل بـ اللَّام: في سبعة مواضع، منها قوله:

"ولولا أنَّ الشيطان يريد ألَّا يخلو من عمله، ولا يقصر في عادته، لما وسوس إلى غضبان ولا زيَّن له، ولما فتح عليه؛ إذ كان قد كفاه، وبلغ أقصى مناه..." (١/ ٢٦٠)

ثانيًا: ماضٍ منفيّ بـ ما غير متَّصل بـ اللَّام: في قوله:

"ولولا أنَّ الله تعالى أخبر عن يحيى بن زكريا أنَّه آتاه الحكم صبيا، وأنَّه أنطق عيسى في المهد رضيعا، ما كانا في الحكم إلَّا كسائر البشر..." (٤/ ٢٤)

ثالثًا: مضارع منفي: في ثلاثة مواضع، منها قوله:

"ولولا أنَّ المحسود بنصر الله إيَّاه مستور، وهو بصنعه محجوب لم يأت عليه يوم إلَّا كان مقهورًا، ولم تأت ليلة إلَّا وكان عن منافعه مقصورًا..." (٣/ ١١)

النتائج الخاصّة بـ لولا:

- وردت **لولا** في **رسائل الجاحظ** على الامتناع للوجوب، والوجوب للوجوب ودلالتها على الثاني أكثر **بنسبة ٥٦,٦٪**.
- من المعاني التي ذكرها النُّحاة لـ **لولا** ولم ترد عند الجاحظ الوجوب للامتناع، والامتناع للامتناع.
- قد ربطت **لولا** بين الجملتين الابتدائية والفعلية في كلّ المواضع.
- ورد جواب **لولا** ماضيًا وقد دخلت عليه **قد** المتصلة باللام وهذه الصورة اعتبرها ابن هشام شاذة، ولكن وروده في القرآن والحديث النبويّ والشعر وفي لغة المتقدمين يجعل رأيه هنا في عداد ما لا يعتد به[1].
- ذكر المبتدأ مرفوعًا في كلّ المواضع مع حذف الخبر وفق ما قرَّره النُّحاة.
- لم يحذف جوابها على خلاف ما أجازه النُّحاة.

ثامنًا: ما النافية:

وردت ما النافية في رسائل الجاحظ في ستّة عشر موضعًا، ولعملها ثلاث صور على النحو الآتي:

الصورة الأولى: يترجح عملها لزيادة الباء في خبرها: وقد وردت في ثلاثة مواضع، هي:

(١) مغني اللبيب، ابن هشام (٢١٥)

"وما كلب أشلاه ربه، وأَحْمَشه كلابه، بأفرط نزقًا ولا أسرع تقدُّمًا، ولا أشدَّ تهوُّرًا من جندي أغراه طمعه..." (٤/ ٣٨)

"وما ذلك ببديع منهم ومن آبائهم، على أنَّهم أشبه بآبائهم منهم بأزمانهم..." (٣/ ٢٦٩)

"وما الغيث في الحرث بأنفع منه في البدن، وما الريش السَّخام بأدفأ منه للمقرور..." (٣/ ١٢١).

الصورة الثانية: يجب إلغاؤها لتخلف شروط إعمالها، وله صورتان:

الأولى: إلغاء النفي بـ إلَّا: في عشرة مواضع، منها قوله:

"وما إخالها إلَّا ستدقُّ على ابن العاص، وتغمض على ابن هند، ويكل عنها أخو ثقيف، ويستسلم لها ابن سميَّة..." (١/ ٢٥٧)

الثانية: تخلف شرط الترتيب: في موضعين، هما:

"وما لي اليوم عمل أنا إليه أسكن، ولا شفيع أنا به أوثق.." (٣/ ٧٩)

"أن تقول: وما علي أن يراني الناس عريضًا وأكون في حكمهم غليظًا وأنا عند الله تعالى طويل جميل..." (٣/ ٥٧)

الصورة الثالثة: تحتمل الإلغاء والإعمال لعدم ظهور الحركة الإعرابية لأنَّ الخبر شبه جملة:

"وإن كنا أخطأنا فما ذاك عن فساد من الضمير، ولا قلَّة احتفال بالتقصير..." (٣/ ١٠٦)

النتائج الخاصّة بـ ما النافية:

- إلغاؤها أكثر من إعمالها بنسبة **٨١,٢٥٪**.
- أكثر أسباب إلغائها إلغاء النفي **وذلك بنسبة ٦٢,٥٪**.

تاسعًا: هاء التنبيه:

وردت في **رسائل الجاحظ** في المواضع الآتية:

أوَّلًا: مع أسماء الإشارة هذا، هذه، هؤلاء: وهذا كثير في الكلام فضلًا عن الرسائل فلا حاجة للتدليل على وروده.

ثانيًا: اتصالها باسم الإشارة للمكان: في موضعين، هما:

"والخسران ها هنا في وزن الربح هناك؛ لأنَّ من كانت غايته..." (٣/ ٤١)

"والحكم ها هنا الحكم هناك، ولولا ذلك ما قامت مملكة، ولا ثبتت دولة، ولا استقامة سياسة.." (١/ ٩٩)

ثالثًا: اتصال بـ أي في نداء المعرف: في قوله:

"فيا أيُّها المتكلِّم الجماعيُّ، والمتفقِّه السنيُّ، والنظَّار المعتزليُّ، الذي سمت همَّته إلى صناعة الكلام.." (٤/ ٢٤٣)

ومن المسائل في هاء التنبيه حذفها من اسم الإشارة: في ستّة مواضع، منها قوله:

"لو كنت قلت كذا كان أجود، ولو تركت قول كذا لكان أحسن؛ وأمضيت الأمور..." (١/ ٢٦٦)

النتائج الخاصّة بـ هاء التنبيه:

- ذكرها أكثر من حذفها، والملاحظ أنَّ حذفها لم يكن إلَّا في اسم الإشارة.
- وافق الجاحظ الكلام العربي من حيث كثرة ورودها مع أسماء الإشارة.
- وجد البحث أنَّ السبب في حذف **هاء** التنبيه من اسم الإشارة قد ورد في سياقات اختصار وكناية فليست ثمة فائدة للتنبيه عليها.

عاشرًا: واو المعيَّة:

وردت واو المعيَّة في ثمانية مواضع، منها قوله:

"ولو أنَّ الناس تركهم الله تعالى والتجربة، وخلَّاهم وسبر الأمور وامتحان السموم.."(٤/ ٣١٩)

النتائج الخاصّة بـ واو المعيَّة:

- يلاحظ قلَّة ورودها عند الجاحظ.
- استعمل الجاحظ **واو** المعيَّة وفق ما أقره النُّحاة.

الحادي عشر: يا النداء:

وردت يا النداء في رسائل الجاحظ في ثمانية مواضع وحذفت في موضع واحد على النحو الآتي:

أوَّلًا: أغراض ذكر يا النداء:

أوَّلًا: للنداء: وأنواع المنادى بها على النحو الآتي:

الأوَّل: نداء المضاف: وقد ورد في موضعين كلامها المنادى مضاف إلى ياء المتكلم وآخر المضاف صحيحًا:

الموضع الأوَّل: أثبت ياء التكلم ساكنة، في قوله:

"وأنت – والله يا أخيْ – تعلم علم الاضطرار وعلم الاختيار وعلم الأخبار.." (٣/ ١٠٠)

الموضع الثاني: حذفت ياء المتكلم وبقيت الكسرة دالّة عليها، في قوله:

"فأنت يا عمِّ عندما تصلح ما أفسده الدهر، وتسترجع ما أخذته الأيام.." (٣/ ٦٦)

الغرض من النداء: التحبُّب.

ثانيًا: نداء النكرة غير المقصودة: في قوله:

"فيا شعرًا جمع الأعاريض، ويا شخصًا جمع الاستدارة والطول..." (٣/ ٥٧)

الغرض من النداء: السخرية والاستهزاء.

ثالثًا: نداء المعرف بـ ال: في قوله:

" فيا أيُّها المتكلِّم الجماعيُّ، والمتفقِّه السنيُّ، والنظَّار المعتزليُّ، الذي سمت همَّته إلى صناعة الكلام.." (٤/ ٢٤٣)

الغرض من النداء: السخرية والاستهزاء.

ثانيًا: للاستغاثة: في موضعين، في قوله:

"فيالها مكيدة ما أبعد غورها، ويالها حفرة ما أبعد قعرها..." (١/ ٢٥٦)

ثالثًا: للتنبيه في نداء الحروف: وقد خُصّ بـ ليت في قوله:

"فأما اليوم فياليتني كنت أقصر منك وأضوى، وأقل منك وأقما..." (٣/ ٦٩)

حذف يا النداء: حذفت **يا** النداء وجوبًا، في قوله:

"اللهم إلَّا أن يكون من بركة مكاتبتك، ويمن مطالبتك..." (٣/ ١١٣)

واستعمال **اللهم** هنا للدلالة على ندرة الاستثناء.

النتائج الخاصّة بـ يا النداء:

- ورود **يا** النداء أكثر من حذفه وذلك **بنسبة ٨٨,٨٪**.
- دلّت **يا** النداء عند الجاحظ على النداء وإن كان قد خرج إلى أغراض بلاغية، والاستغاثة، والتنبيه.
- دخلت **يا** النداء على المضاف والنكرة غير المقصودة، والحروف؛ ومن المواضع التي ذكرها النُّحاة ولم ترد عند الجاحظ نداء المفرد.
- استعمل الجاحظ **يا** النداء وفق ما أقره النُّحاة.
- من الملاحظ قلَّة ورود **يا** النداء عند الجاحظ ولعله عائد على أنَّ النداء يكثر في سياقات المواجهة والمباشرة بين المتكلم والمخاطب ومن ذلك الحياة اليومية والشعر والخطابة، أو الأمر والنهي وما يتنزل منزلتها، لكن الرسائل لم تكن كذلك فليست ثمة مباشرَة بين الجاحظ ومخاطبيه فلم يلقه مخاطبوه ولم يكتب رسائله في سياقات الأمر والنهي حتّى ما جاء منها في باب الوصايا نجده يعتمد فيها على الإقناع ومخاطبة العقل.

النتائج العامة للحروف المتفرّقة:

وفي ضوء الحروف المتفرّقة المختصَّة بالأسماء في رسائل الجاحظ نجد أنَّها قد وردت وفق النسب الآتية:

أوَّلًا: أل التعريف: وردت بنسبة ٩٦,٠٥٪.

ثانيًا: إذا الفجائية: وردت في موضعين فقط.

ثالثًا: إلّا: وردت بنسبة ٢,٨٪.

رابعًا: أَمَا الاستفتاحية: وردت في موضعين فقط.

خامسًا: أمَّا: وردت بنسبة ٠,٦٤٪.

سادسًا: لا العاملة عمل ليس: وردت في موضع واحد فقط.

سابعًا: لولا: وردت بنسبة ٠,٢٩٪.

ثامنًا: ما النافية: وردت بنسبة ٠,٠٧٨٪.

تاسعًا: هاء التنبيه: وردت بنسبة ٠,٠٤٤٪.

عاشرًا: واو المعيَّة: وردت بنسبة ٠,٠٣٩٪.

الحادي عشر: يا النداء: وردت بنسبة ٠,٠٣٩٪.

وجد البحث أكثر الحروف المتفرّقة المختصَّة بالأسماء ورودًا **أل** التعريف، ثمّ **إلّا**؛ ممَّا يدل على كثرة دورانها في الكلام. كما وجد البحث أنَّ الحروف المتفرّة من حيث الدلالة والاستعمال قد وردت في رسائل الجاحظ وفق ما قرَّره النحاة.

الفصل الثاني:

حروف المعاني المختصَّة بالأفعال

في رسائل الجاحظ

ويتضمَّن هذا الفصل دراسة حروف المعاني المختصَّة بالأفعال في **رسائل الجاحظ**، للكشف عن أنواعها وعدَّتها وتراكيبها ودلالتها، ويتوسَّل إلى هذه الغاية من خلال ثلاثة مباحث مرتبةً على النحو الآتي:

المبحث الأوَّل: حروف النصب.

المبحث الثاني: حروف الجزم والشرط.

المبحث الثالث: حروف متفرِّقة.

المبحث الأوَّل: حروف النصب

يتناول هذا المبحث دراسة حروف نصب المضارع في **رسائل الجاحظ**، وهي: **أنْ، لنْ، كي، إذَنْ،** ولأن الفعل المضارع إذا أطلق دلَّ على الحال أو الاستقبال فإنَّ هذه النواصب تشترك في أنَّها قرائن تصرفه إلى الاستقبال. وكما درس المبحث **أنْ** ظاهرة فإنَّه قد درسها مضمرة جوازًا بعد **لام** التعليل، ووجوبًا بعد كلِّ **لام** الجحود، **وحتَّى**، و**فاء** السببية، وقد انصرف المبحث عن دراسة نصبه بعد **أو**، **وواو المعيَّة**؛ لعدم ورودها عند الجاحظ. وقد تتبَّع البحث دلالة كلَّ منها وتركيبه كما ورد عند الجاحظ.

حروف النصب في رسائل الجاحظ:

أوَّلًا: أنْ:

وردت أنْ ظاهرة ومضمرة في رسائل الجاحظ في ألف واثنين وسبعين موضعًا على النحو الآتي:

أوَّلًا: الظاهرة: وقد وردت **أنْ** الظاهرة في **رسائل الجاحظ** في سبعمئة وستّين موضعًا، ومن حيث مباشرتها للمضارع فقد وردت في صورتين:

الأولى: باشرت المضارع بلا فاصل.

الثانية: فصل بينهما بـ **لا** النافية.

وهذا في مواضع الفاعليَّة والمفعوليَّة والإضافة على النحو الآتي:

أوَّلًا: الفاعليَّة: وقد وردت في مئتين واثنين وتسعين موضعًا في المواقع الآتية:

أوَّلًا: مبتدأ: وله عدَّة صور: الأولى: مبتدأ لخبر، الثانية: اسم لناسخ على النحو الآتي:

الأولى: المبتدأ لخبر: وقد ورد في **رسائل الجاحظ** في صورتين: الأولى: أن يكون المبتدأ أوَّلًا والخبر ثانيًا، الثانية: أن يكون الخبر أوَّلًا والمبتدأ ثانيًا، كما يأتي:

الأولى: المبتدأ أوَّلًا والخبر ثانيًا: في سبعة مواضع، منها قوله:

"فأما أن يذمَّ حتّى يكون كالظلم، وينفى حتّى يصير كالغدر فلا..." (٣/ ٨٠)

الثانية: الخبر أوَّلًا والمبتدأ ثانيًا: في ثمانية وخمسين موضعًا، منها قوله:

"ولكنْ عليه: أن يقول بقدر ما تحتمله النحلة، وتتَّسع له المقالة..." (٤/ ٥٠)

وقد فصل بينهما بـ لا النافية: في أربعة مواضع، منها قوله:

"ومن الحزم ألَّا تخرج إلى العدو إلَّا ومعك من القوى ما يغمر الفضلة التي يتيحها له الإخراج..." (٤/ ٨٥)

الثانية: اسم لناسخ: في سبعة وعشرين موضعًا، منها قوله:

"لكان حريًا بذلك: أن يدرك أقصى غاية الكرم في العاجل..." (٤/ ١٩٣)

ثانيًا: خبر: وله عدَّة صور:

الأولى: خبر لمبتدأ مذكور: في سبعة عشر موضعًا، منها قوله:

"فأصلح الأمور للحكام والقادة، إذا كانت النفوس ودواعيها ومجرى أفعالها على ما وصفنا: أن ترفع عنهم أسباب التحاسد..." (٤/ ٣٠٣)

وقد فصل بينهما بـ لا النافية: في ستّة مواضع، منها قوله:

"أحدها: ألَّا تولّيهم جسائم تصرفِّك..." (١/ ١٣٢)

الثانية: خبر لمبتدأ محذوف: في قوله:

"وإن قالوا: فما صفة أفضلهم؟ قلنا: أن يكون أقوى طبائعه عقله..." (٤/ ٣٠٥)

الثالثة: خبر لناسخ: في ثمانية وعشرين موضعًا، منها قوله:

"ولعلَّ بعض من ألحد في دينه، وعمي عن رشده، وأخطأ موضع حظه: أن يدعوه العجب..." (٣/ ٢٣٥)

وقد فصل بينهما بـ لا النافية: في ثلاثة مواضع، منها قوله:

"ولكن الرأي لك: أن لا تثق بما يرسمه العلم في الخلا، وتتوقَّاه في الملا..." (٤/ ٩٧)

ثالثًا: فاعل: في مئة وستّة مواضع، منها قوله:

"ويجري على ألسنتهم أن يقول رجل منهم..." (٣/ ٢٢٩)

وقد فصل بينهما بـ لا النافية: في عشرة مواضع، منها قوله:

"فقد ينبغي لكم أن لا تحتجُّوا في شيء من القدر والتوحيد بشيء من القرآن، وأن لا تكفروا أحدًا خالفكم في شيء وأنتم أسرع الناس إلى إكفارنا..." (٣/ ٢٩٦)

وممَّا تجدر الإشارة إليه أنَّها وردت فاعلًا لـ"يكون" التامة، في قوله:

"وليس يكون أن تصفو الدنيا، وتنقى من الفساد والمكروه، حتّى يموت جميع الخلاف..." (٣/ ١٩٥)

رابعًا: نائب فاعل: في خمسة مواضع، منها قوله:

"كذلك حُبِّبَ إليه أن يخبر بالحق النافع ويستخبر عنه..." (١/ ١٤٥)

خامسًا: العطف على مبتدأ: في عشرة مواضع، منها قوله:

"فعلى الأئمة: أن تحوط هذه الأمة، كما حاط السلف أولها، وأن يعملوا بظاهر الحيطة..." (٣/ ٢٣٠)

سادسًا: العطف على خبر مبتدأ: في ثلاثة مواضع، منها قوله:

"فهي إمّا أن تقتل، وإمّا أن تفضح...." (٢/ ٢٦٢)

العطف على خبرٍ لمبتدأ وقد فصل بينهما بـ لا: في موضعين، هما:

"فوزن خلقة الإنسان اعتدال محاسنه، وألَّا يفوِّت شيء منها شيئا..." (٢/ ١٦٢)

"وتمنِّيه عليه أن يرجع في هبته إيَّاه، وأن لا يرزق أحدًا سواه..." (٣/ ٥)

سابعًا: العطف على اسمٍ لناسخ وقد فصل بينهما بـ لا: في موضعين منهما قوله:

"وقد كان في الواجب أن يدع الناس اسم المصحف للشيء الذي جمع القرآن دون كلّ مجلد، وألَّا يرموا جمع شيء من أبواب التعلم بين الدفتين، فيُلحِقُوا بما جعله السلف للقرآن غير ذلك.." (١/ ٢٥٤)

ثامنًا: العطف على فاعلٍ مولٍ بمصدر: في موضعين، منهما قوله:

"وأن تعلم أن نفعهم عامٌّ وخيرهم خاصٌّ..." (٤/ ١٠١)

ومن المواضع التي اختلفوا فيها وقوعها بعد عسى وإعراب المصدر المؤول منه والفعل بعدها: وقد وردت في **رسائل الجاحظ** في ستّة مواضع، منها قوله:

"وكم عسى أن نحصي من معايب الظهور وإن اجتهدنا وبالغنا..." (٤/ ١٦٤)

ثانيًا: المفعوليَّة: وقد وردت في مئتين واثني عشر موضعًا في المواقع الآتية:

أوَّلًا: مفعولا به: وله صورتين:

الأولى: مفعول به لفعل: في مئة وستّة وستّين موضعًا، منها قوله:

"ولم آمن أن لو تأخر الجواب عليك أكثر ممَّا تأخر، أن يسبق إلى قلبك أنِّي راضٍ باختيارك..." (٤/ ١٥٥)

وقد فصل بينهما بـ لا النافية: في ثمانية مواضع، منها قوله:

"وسواء أعبت عليّ ألَّا يكون لي ولد قبل أن يكون، أو عبت على ألَّا يكون بعد أن كان..." (١/ ٢٥٦)

الثانية: مفعول به لاسم الفاعل: في قوله:

"مُتَرَقِّبٌ: أن ينتقل هواك إلى غيره، فتحوّل أثرتك حيث مال هواك..." (١/ ١٠٧)

ثانيًا: مفعول ثانٍ: في ستّة مواضع، منها قوله:

"المسيح أمر الحواريّين أن يقولوا في صلواتهم..." (٣/ ٣٣٠)

ثالثًا: النصب على التحذير: في خمسة مواضع، منها قوله:

"وإيَّاك أن تتعرَّض لجرير إذا هجا، وللفرزدق إذا فخر..." (٣/ ٩٩)

رابعًا: النصب على الاستثناء: في تسعة مواضع، منها قوله:

"فإنَّك لا تجدهم في الغاية وفي أقصى النهاية، إلَّا أن يكون الله قد سخَّرهم لذلك المعنى بالأسباب..." (١/ ٦٧)

خامسًا: العطف على مفعول: في سبعة عشر موضعًا، منها قوله:

"فلم نأمن أن يسرعوا بسفه رأيهم وخفة أحلامهم إلى نقض كتابنا وتبديله، وتحريفه عن مواضعه، وإزالته عن أماكنه التي عليها رسمنا، وأن يقول كلّ امرئ..." (٣/ ١٣٥)

ثالثًا: الإضافة: وقد وردت في مئتين وخمسين موضعًا في المواقع الآتية:

أوَّلًا: الجرّ بالحرف: وقد وردت في صورتين:

الأولى: الجرّ بالحرف الظاهر: في مئة وأربعة وعشرين موضعًا، منها قوله:

"وأستنكفُ بأن أنسب إليها من البلاغة..." (٤/ ٢٥٣)

وقد فصل بينهما بـ لا النافية: في ثمانية مواضع، منها قوله:

"كان الله أحقَّ بألَّا يجعله ولده، وينسبه إلى نفسه..." (٣/ ٣٣٨)

ثانيًا: الجرّ بالحرف المقدر: في ستّة وثلاثين موضعًا، منها قوله:

"أشفق عليَّ أن يظهر إرادة القيام بأمر الناس..." أي: من أن يظهر (٤/ ٢١٢)

وقد فصل بينهما بـ لا النافية: في عشرة مواضع، منها قوله:

"وأخلق بمن أخلَّ بهذه ألَّا يرعى حقًا، ولا يرجع إلى صحة، ولا إلى حقيقة..." أي: بأنَّ لا يرعى (١/ ٢٦٧)

ثالثًا: الجرّ بالإضافة: في ستّة وخمسين موضعًا، منها قوله:

"دون أن تعتصر قوى باطلهم..." (٣/ ٢٨٨)

وقد فصل بينها بـ لا النافية في قوله:

"بعد أن لا يضرَّ بعين معناه..." (٤/ ١٩٧)

رابعًا: الجرّ على البدل: في ثلاثة مواضع، منها قوله:

"وتلك الشهادة من ضربين: إما أن تكون ضاعت وضلَّت، وإما أن تكون قد قامت..." (٤/ ٣٠)

"فدل ذلك العاقل على أنَّ أمرهم في ذلك لا يخلو من أحد أمرين: إما أن يكونوا عرفوا عجزهم، وأنَّ مثل ذلك..." (٣/ ٢٧٥)

خامسًا: العطف على مضاف:

"وأن تبلغ الحجّة مداها من البيان..." (٢/ ١٤٤)

سادسًا: العطف على مصدر مؤول مجرور بالحرف: في تسعة مواضع هي:

"على أن يطيعوا أمركم، وأن ينفذوا لطاعتكم، وأن يخلصوا في الدعاء، وأن يمحِّضوا النصيحة، وأن يضمروا غاية المحبة، وأن يعملوا في كفِّ الغلِّ والحسد، وأن لا يرضوا من أنفسهم بالنفاق، وأن يعلموا أنَّ الحسد لا يقع إلَّا بين الأشكال، وأنَّ التنافس لا يكون إلَّا مع تقارب الحال..." (١/ ٢٩٢)

"من أن يطَّلع المعاينين على أخبار الغائبين، وأن يسخر أسماع الغائبين لأخبار المعاندين، وأن يخالف بين طبائع..." (٣/ ٢٤٠)

وقد فصل بينهما بـ لا النافية: في موضعين، هما:

"ولولا خوف جميع المظلومين من أن يظنَّ بهم العجز، وألَا يوجِّه احتمالهم إلى الذلِّ لزاحم السادة في الحلم رجال ليسوا في أنفسهم بدونهم..." (٤/ ١٧٣)

"وهو كالذلة والصَغَار، وإعطاء الجزية، ومقاسمة الكنائس، وأن لا يعينوا بعض المسلمين..." (٣/ ٣١٩)

النتائج الخاصّة بـ أنْ الظاهرة:

- كانت **أنْ** في جميع مواضعها قرينة صارفة للمضارع إلى الاستقبال لهذا لم تتَّصل إلَّا بالأفعال المتصرِّفة، وناصبة للمضارع بعدها، ولم تحذف ويبقى عملها بلا دليل.
- قد وظَّف الجاحظ **أنْ** في بناء مصدر مؤول يقع موقع الاسم المفرد إعرابيًا سواء في الفاعليَّة أو المفعوليَّة أو الإضافة، مع تميزه عليه باكتسابه الزمن من الفعل المضارع.
- لم يفصل بين **أنْ** والفعل بفاصل غير **لا** النافية، كما لم يتقدم عليها معمول فعلها لكونها من الحروف الموصولة.
- ويتضح لنا بهذا العرض أنَّ الجاحظ لم يخرج عما قرَّره النُّحاة في استعمال **أنْ** باستثناء ما أجازوه من ورودها جازمة.
- وقعت **أنْ** الظاهرة في معاني الفاعليَّة والمفعوليَّة أو الإضافة؛ وأكثرها وقوعًا في الفاعليَّة بنسبة ٣٨,٤٢٪، ثمّ الإضافة بنسبة ٣٢,٨٩٪، ثمّ المفعوليَّة بنسبة ٢٧,٨٩٪.
- وجد البحث أنَّها لما وقعت مبتدأة في أوَّل الكلام أنَّها لم ترد في هذه المواضع مبتدأ بها في أوَّل الكلام بل سبقها أحد حروف الابتداء، وهي: إمّا، ولولا.
- قد ذكر ابن القيم في ورودها مبتدأ سواء لخبر أو لناسخ كلامًا مهمًّا، وهو "إذا قلت يعجبني أن تقوم وأن قمت فكأنهم إنَّما قصدوا إلى ماهية الحدث مخبرًا عن الفاعل لا الحدث مطلقًا ولذلك لا تكون مبتدأة وخبرها في ظرف أو مجرور لأنَّ المجرور لا يتعلق بالمعنى الذي يدل عليه **أن ولا** الذي من أجله صيغ الفعل واشتق من المصدر وإنَّما يتعلق المجرور بالمصدر نفسه مجردًا من هذا المعنى فلا يكون خبرًا عن **أنْ** المتقدمة وإن كانت في تأويل اسم وكذلك أيضا لا يخبر عنها بشيء ممَّا هو من صفة للمصدر كقولك قيام سريع أو بطيء ونحوه لا يكون مثل هذا خبرًا عن المصدر فإن قلت: حسن أن تقوم وقبح أن تفعل جاز ذلك لأنَّك تريد بها معنى المفعول كأنَّك تقول أستحسن هذا أو أستقبحه وكذلك إذا قلت لأنَّ تقوم خير من أن تقعد جاز لأنَّه ترجيح وتفصيل فكأنَّك تأمره بأنَّ يفعل ولست بمخبر عن الحدث بدليل امتناع ذلك في المضيّ.."[1] ، وإذا درسنا وقوعها في هذا المواضع وفق ما ذكر الجاحظ فإنَّنا نجده في المواضع التي أخبر عن هذا المصدر بالجار والمجرور فإنَّ السامع

(١) بدائع الفوائد، ابن القيِّم (١/ ٩٤)

يستشعر بأمر خفي من باب العرض لا الفرض يقصد إليه الجاحظ فليست ثمة إخبار حقيقي، ومن هذا قوله:

"فعلى الأئمة: أن تحوط هذه الأمة، كما حاط السلف أولها..." (٣/ ٢٣٠)

"وعلى العلماء: أن يخافوا دول العلم..." (٣/ ٣٠٠)

"وإنَّما على الحكيم: أن يأتي الأمر الحكيم، عرف ذلك عارف أم جهله جاهل..." (٤/ ٣٢)

ففي كلّ هذه الجمل الثلاث الجار **على** الدالّة على الاستعلاء وفي دلالة المصدر بعدها على الأمر تناسب فكأن المعنى في الجملة الأولى: يجب على الأئمة حياطة هذه الأمة. وكذلك في غيرها.

- وجد البحث أنَّ الجاحظ لما وضعها موضع الفاعل لم يجعلها فاعلًا للعلم واليقين في أي موضع؛ بالإضافة إلى أنَّ وقوع المصدر من **أنْ** والفعل فاعلًا قد سوَّغه دلالتها "على مجرَّد معنى الحدث دون احتمال معنى زائد عليه ففيها -أنْ- تحصين من الإشكال وتخليص له من شوائب الإجمال.."[١]؛ فلهذا لم يوصف هذا الفاعل في أي موضع.
- وجد البحث أنَّ الجاحظ لم يجعلها معمولة سواء فاعلة أو مفعولة أو متعلِّقة بالأفعال التي ذكر أحمد حسّاني أنَّها غير الشخصية: وهي التي لا تصدر عن شخص، ولا تعد متعدية بالمعنى الحقيقي للتعدية؛ "لأنَّها لا تقيم علاقة إسنادية خارجة عن ذات الشي، أو الشخص الذي هي من أجله"[٢]؛ فالأفعال التي جعل الجاحظ **أنْ** والفعل معمولة لها تدور في الأفعال تنم عن العواطف والرغبة والأفكار والتي لا يمكن ترجمتها بأفعال مرئيَّة على أرض الواقع، نحو: يحب، ينبغي، يجب، يحل، يحرم، يترقب، يشفق.
- وقعت **أنْ** بعد عسى وهذا من المواضع التي قد اختلفوا في إعراب المصدر المؤول من **أنْ** والفعل بعدها على ثلاثة مذاهب، هي[٣]:

أ. أحدها: يعربه خبرًا؛ حملًا على كاد وأخواتها؛ لتقارب معانيها.

ب. المذهب الثاني: يعربه بدلًا من المرفوع وقد سد مسد الجزأين.

(١) بدائع الفوائد، ابن القيِّم (١/ ٩٢)

(٢) السمات التفريعيّة للفعل، حسّانيٌّ (٧٠- ٧٤)

(٣) ينظر: مغني اللبيب، ابن هشام (٤٣)

ت. المذهب الثالث: يعربه مفعولًا به منصوب لـ عسى.

ثانيًا: أنْ المضمرة جوازًا:

قد وقعت في رسائل الجاحظ بعد لام التعليل في مئة واثني عشر موضعًا، وقد وردت على النحو الآتي:

- **وجوب إظهار أن بين لام التعليل ولا النافية: في سبعة مواضع، منها قوله:**

"بل يزحف زحفًا؛ لئَّلا ينكشف منه عن شيء ..." (٤/ ١٢٤)

- **جواز إضمار أن مع لام التعليل: في مئة وواحد من المواضع، منها قوله:**

"وإنَّما نزلت لك حالات الناس، وخبرتك عن طبائعهم، وفسرت لك عللهم؛ لتعلم أنَّ العدد الكثير لا يتَّفقون على تخرُّص الخبر الواحد..." (٣/ ٢٤٨)

- **جواز إظهار أن مع لام التعليل: في ثلاثة مواضع منها قوله:**

"أو لأنَّ أتفاءل برؤيته وأتبرَّك بمكانه، وآنس بقربه، أو لأشفي به الظمأ، أو أجعله إكسير أصحاب الكيمياء، أو لأنَّ أذكرك كلما رأيته، وأداعبك كلما قابلته، أو لأجتلب به اليسر وأنفي العسر، ولأنه والفقر لا يجتمعان في دار، ولا يقيمان في ربع، ولأتعرف به حسن اختيارك، وأتذكر به جودة اجتبائك..." (٣/ ١٢٧)

ويلاحظ في هذا الموضع أنَّه قد تراوح ظهور **أنْ** بعدها وإضمارها.

"أو لأنَّ أستدلّ به على خالص حبك، وعلى معرفتك بفضلي، وقيامك بواجب حقي فقد أحسنت بي الظن، وذكرت من الإحسان في كلّ فن، بل هو الذي أصونه صيانة الأعراض، وأغار عليه غيرة الأزواج..." (٣/ ١٢٧)

- **مجيئها معطوفة على مفعول لأجله:**

"وسأوجدك موضع اختلافهم واتفاقهم، وأنَّه لم يخالف بينهم في بعض الوجوه إلَّا إرهاصا لمصلحتهم؛ ولتصح أخبارهم..."

النتائج الخاصّة بـ أنْ المضمرة بعد لام التعليل:

- دلّت **لام** التعليل على بيان العلة في كلّ المواضع.
- أكثر الحالات ورودً لها جواز إضمارها وهذا بنسبة ٩٠,١٧٪.

- وجد البحث أنَّها قد وردت عند الجاحظ في كلّ المواضع بعد كلام تام لتبيّن سببه إلَّا موضعًا واحدًا وردت معطوفةً على مفعول لأجله؛ ولعلَّ المسوغ لوقوعها هنا اتفاقهما – **لام** التعليل والمفعول لأجله– في بيان عليَّة وسبب ما قبلهما.

ثانيًا: أنْ المضمرة وجوبًا:

وقد وقعت في رسائل الجاحظ بعد الحروف الآتية:

أوَّلًا: لام الجحود:

وقد وقعت في رسائل الجاحظ بعد يكون المنفية بـ لم: في عشرة مواضع هي:

"أنَّ الله جلَّ لم يكن ليجلِّله باسم الخلافة، ويحبوه بتاج الإمامة، وبأعظم نعمة وأسبغها..." (١/ ٣٩)

"ولم يكونوا ليضادوكم فيما يرجع عليهم نفعه. وكيف لم يكذبوكم في إحيائه الموتى، ومشيه على الماء، وإبراء الأكمه والأبرص؟ ! بل لم يكونوا ليتَّفقوا على إظهار خلاف دينهم..." (٣/ ٣٠٧)

"بما لم يكونوا ليبلغوه لأنفسهم؛ ليكون الدليل تاما..." (٣/ ٣٤٩)

"قلنا: أما واحدة فإنَّه لم يكن ليدع التشاغل بشمها وبرشفها، واحتضانها، وتقبيل قدميها..." (٣/ ١٤٣)

"ولم يكن ليأمر الأقصى إلَّا كما يأمر الأدنى..." (٣/ ٢٢٥)

"ولم يكن ليعلمه الأسماء كلّها إلَّا بالمعاني كلّها..." (٣/ ٣٤٣)

"ولم يكن الله تعالى ليخصَّه بمثل هذه الآية، وبمثل هذه الأعجوبة إلَّا وهو يريد أن يحتجَّ بها له..." (٤/ ٢٣)

"ولم يكن الله تعالى ليعدل صنعته ويسوِّي أداته ويفرِّق بينه وبين المنقوص في بنيته وتركيبه..." (٤/ ٤٢)

"ولم يكن الله تعالى ليضع العدل ميزانًا بين خلقه، وعيارًا على عباده..." (٤/ ٢٩٩)

"ولم يكن الله ليطبع الدنيا وأهلها على هذه الطبيعة، ويركبها وأهلها هذا التركيب..." (٤/ ٣٠٤)

النتائج الخاصّة بـ أنْ المضمرة بعد لام الجحود:

- دلّت على توكيد النفي والمبالغة فيه في كلّ المواضع.

- في كلّ المواضع وردت مكسورة على اللغة المشهورة فيها؛ ممَّا يؤيد من ذهب إلى أنَّ الفتح فيها لغة غير مسموعة.
- وجد البحث أنَّها لم ترد إلَّا مسبوقة بـ **كان** المنفية ولم يسبقها شيء من أخواتها ممَّا يؤيد رأي أبي حيّان: "وقد أجاز ذلك بعض أصحابنا، ويحتاج إلى سماع"(١) .

ثانيًا: حتّى:

وردت في **رسائل الجاحظ** في مئة وثمانية وسبعين موضعًا دالّة على المعنيين الآتيين:

– التعليل: أي بمعنى كي: في خمسة وخمسين موضعًا، منها قوله:

"ولأنَّه يحتاج من الأعلام والآيات والأعاجيب، إلى القاهر المعقول والواضح الذي لا يخيَّل أن يشتهر مثله في الآفاق، ويستفيض في الأطراف؛ حتّى يصدع عقل الغبي، ويفتِّق طبع العاقل، وينقض عزم المعاند.." (٤/ ٣٢٢)

فهي توضح علة الذي قبلها فحاجته للآيات والأعاجيب القوية القاهرة ليصدع عقل الغبي.

– انتهاء الغاية: أي بمعنى إلى أنْ: في مئة وثلاثة وعشرين موضعًا، منها قوله:

"وليس يكون أن تصفو الدنيا، وتنقى من الفساد والمكروه؛ حتّى يموت جميع الخلاف، وتستوي لأهلها" (١/ ٣٥)

النتائج الخاصّة بـ أنْ المضمرة بعد حتّى:

- دلّت **حتّى** على التعليل وعلى انتهاء الغاية ودلالتها على انتهاء الغاية أكثر وهذا بنسبة ٦٩,١٠٪.
- لم تظهر **أنْ** بعد **حتّى** في أي موضع.
- لما دلّت على انتهاء الغاية وجد البحث أنَّ الغاية منصبة على ما قبلها.
- وجد البحث في استعمال الجاحظ لها أنَّه لم يفصل بينها وبين الفعل بأي فاصل غير **لا** النافية.

ثالثًا: فاء السببية:

وردت في اثني عشر موضعًا في سياقي النفي والاستفهام، وذلك على النحو التالي:

(١) الارتشاف، أبو حيَّان الأندلسيُّ (٤/ ١٦٥٧)

أولا: النفي:

أ- النفي بـ **لم**:

"فإنَّا لم نذكر خصال بلدة بعينها؛ فنكون قد خالفنا إلى تقديم المؤخر وتأخير المقدم" (٤/ ١١٣)

"ولم نجد قولاً خامساً؛ فنذكره" (٤/ ٢٠٨)

"ولم يكن فتىً حدثاً؛ فتهزه أريحيَّة الشباب، وغرارة الحداثة. ولم يكن بحذاء إنفاقه طمع يدعوه..." (٤/ ٣٤)

"ولم يكلِّف الله العباد الحكم على الباطن، والعمل على النيَّات؛ فيُقضى للرجل بالإسلام بما يظهر..." (٢/ ١٦٤)

"وهو لم يحضنه، ولم يباشر تقليبه، ولم يتول بنفسه سقيه وإطعامه؛ فيكون ذلك سبباً له دون غيره، وإنَّما سقاه لبن أمه في صغره، وغذَّاه بالحبوب والماء في كبره" (٣/ ٣٤٢)

ب- النفي بـ **لا**:

"لأنَّ بني قحطان لا يدعون لقحطان نبوة فيعطيه الله مثل هذه الأعجوبة" (١/ ٣٣)

"وأنهم لا سلب لهم ولا مال معهم فيرغب الجند في لقائهم" (١/ ٤٢)

"ولا ادعى أنَّه قد فعل، فيكون ذلك الخبر باطلاً" (٣/ ٢٥١)

جـ- النفي بـ **لن**:

"ولن تجتمع هذه العلل في إنسانٍ واحد؛ فيسلم معها العقل سلامةً تامةً" (٢/ ٢١٥)

د- النفي بـ **ليس**:

"وليس للعوام - خاصّة - معرفة بسبيل إقامة الأئمة؛ فيلزمها، أو يجري عليها أمر أو نهي" (٤/ ٤٣)

"وأقدار طبائع العوام والخواص، ليست مجهولة؛ فيحتاج إلى الإخبار عنها بأكثر من التنبيه عليها" (٤/ ٤٣)

ثانيا: استفهام عن فعل غير متحقق الوقوع:

"ما يؤمِّنك أن يخبر أمير المؤمنين عبد الملك الحجاج بما قلت فيه - ومرجعك إلى العراق -؛ فيضغنه عليك؟.." (١/ ١٥٠)

النتائج الخاصّة بـ أنْ المضمرة بعد فاء السببية:

- دلّت على السببية، وهي: كون ما قبلها علة فيما قبلها؛ وهذا في جميع المواضع.
- سبقت **فاء** السببية بالنفي والاستفهام وأكثره وقوع النفي قبلها وخاصّة النفي بـ **لم**.
- وجد البحث أنَّ النفي السابق لها تميز بتمحُّضه للنفي حتّى لما سبقت بـ **ليس** حيث دخلت **الباء** على معمول **ليس**، ونكرت جميع معمولات الأفعال المنفية، ولم يسبق النفي كما لم يليه ما يصرفه عن غرضه كالحصر.

النتائج الخاصّة بـ أنْ الظاهرة والمضمرة:

- وردت **أنْ** الظاهرة أكثر من المضمرة وهذا بنسبة ٧٠،٨٩٪.
- وردت المضمرة وجوبًا أكثر من المضمرة جوازًا وهذا بنسبة ٦٤،١٠٪.
- أقل مواضع إضمار **أنْ** بعد **لام** الجحود إذ لم ترد إلَّا في عشرة مواضع.
- من مواضع إضمار **أنْ** التي ذكرها النُّحاة ولم ترد عند الجاحظ بعد **أو** بمعنى **حتّى**، **وإلَّا أن**، وبعد **الواو** التي بمعنى **مع**؛ ممَّا يدل على قلَّة ورودها في الكلام.

ثانيًا: لن:

وردت لن في رسائل الجاحظ في خمسة وعشرين موضعًا دالّة على عدَّة أمور، هي:

أوَّلًا: النفي المؤكد غير المؤبد: في سبعة عشر موضعًا، وممَّا يؤيد القول به وقوع **حتّى** التي للغاية بعدها فلو استحال الوقوع ما جاز وقوعها بعد **لن**(١)، وكذلك استعمالها في الحقائق العقليَّة التي يكاد يجمع الناس على القول بها، من الأوَّل قوله: "ولن يكثر النظر حتّى تكثر الخواطر.." (٣/ ٢٣٨)

فـ **حتّى** الغائية قد دلّت على الاستقبال مع تحديده بوقوع ما بعدها فليس نفي على الإطلاق.

ومن الثاني قوله: "ولن تبعد الرؤية إلَّا لبعد الغاية وشدَّة الحاجة..." (٣/ ٢٣٨)

ثانيًا: النفي المؤبد: وهذا في السياقات الآتية:

الأوَّل: السياق اللغويّ: وذلك باشتماله على قرينة لفظيّة تدلّ على التأبيد وهي: أبدًا، في موضعين، هما:

(١) ينظر: البحر المحيط، أبو حيَّان الأندلسيُّ (١/ ١٠٧)

"ولن تجدوا وصايا أنبياء الله أبدا إلَّا مبينة الأسباب، مكشوفة العلل، مضروبة معها الأمثال..." (١/ ٩٧)

"ولن يقوم هذا الخبر من قلبك ولا قلب غيرك مقام الخبرين الأولين أبدًا..." (١/ ١٢٠)

- وباشتمال مفعول الفعل على حرف دال على الاستقبال وهو **أنْ**، في قوله:

"ولن تقدر أن تتحرَّز من الناس، ولكن أقلَّ المؤانسة إلَّا بأهل البراءة من كلّ دنس..." (١/ ١٢٦)

الثاني: السياق غير اللغويّ: وهذا في البديهيات، في أربعة مواضع، منها قوله:

"ولن ينظر ناظر ولا يفكر مفكر دون الحاجة التي تبعث على الفكرة، وعلى طلب الحيلة..." (٣/ ٢٣٧)

ثالثًا: الإثبات: في قوله:

"ولن تعدم أن يفجأك في بعض أحوالك حقوق تبهظك، وأحوال تفدحك، وأمور كلّها تتقسم..." (١/ ١٢٩)

فالفعل يدل على النفي والعدم، و**لن** دلّت على النفي ونفي النفي إثبات له، فالسياق أخرجها من دلالتها الوضعيَّة.

النتائج الخاصّة بـ لن:

- وجد البحث أنَّها لم تلزم الدلالة على النفي المؤبَّد فقد تراوحت بين الدلالة عليه وعدمه، وأكثر ورودها للنفي المؤكَّد غير المؤبد بنسبة ٦٨٪، كما أنَّ دلالتها على النفي المؤبَّد كانت بمعينات من السياق سواء لغويَّة وغير لغويَّة.
- دلّت على الإثبات في موضع واحد حيث نفت ما يدل على النفي فكان نفي النفي إثبات له.
- كانت قرينة صارفة للمضارع إلى الاستقبال في كلّ المواضع.

ثالثًا: كي:

وردت في موضعين:

أحدهما: مجردة من **لام** الجرّ، فيجوز أن تكون جارة والناصب **أنْ** المضمرة، وأن تكون ناصبة، وهو قوله:

"وقد أملى لقوم كي يزدادوا..." (١/ ٢٤٤)

الموضع الثاني: تالية لـ **لام** الجرّ، فيجب أن تكون ناصبة بنفسها، في قوله:

"وتعتق لكي يذهب ريحها وينجاب شعرها..." (١/ ٢٥٣)

ولم تتقدم على معلولها ولم يفصل بينها وبين الفعل.

رابعًا: إِذَنْ:

وقعت في موضع واحد مهملة فيه؛ لتخلُّفها عن الصدارة بتقدم **متى** الاستفهامية عليها وأدوات الاستفهام آكد من غيرها في الصدارة، في قوله:

"وليس ينبغي لديان أن يوادَّ من حادَّ الله ورسوله، ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم. فمتى إذن تزول التقيَّة، ويجب إظهار الحق والنصرة للدين، والمباينة للمخالفين ؟.." (١/ ٢٨٧)

وقد دلّت **إذن** هنا على شرط وهو: دوام الموالاة لمن حاد الله ورسوله، وجواب معتمد عليه، وهو: امتناع زوال التقيّة.

النتائج العامة لحروف النصب:

وردت حروف النصب الآتية:

- **أنْ** ظاهرة ومضمرة: وردت بنسبة ٩٧,٤٥٪.
- **لن**: وردت بنسبة ٢,٢٧٪.
- **كي**: وردت في موضعين.
- إذَنْ: وردت في موضعٍ واحد.

وجد البحث أنَّ **أنْ** أكثر حروف نصب المضارع وردًا ممَّا يؤيد قول النُّحاة بأنَّها أم الباب، في حين وجد أنَّ إذَنْ أقل الحروف ورودًا ممَّا يقوِّي ما ذكره النُّحاة من الاشتراطات لعملها.

ومن حيث الدلالة فإنَّ البحث قد وجد أنَّ حروف النصب لم تخرج عمَّا قرَّره النُّحاة فنجد أنَّ **أن** لم تخرج عن كونها حرفًا مصدريًّا يعين الفعل على الوقوع موقع الأسماء، والحروف التي أُضمرت **أن** بعدها لم تخرج كذلك عن الدلالات المقرَّرة لها فـ **لام التعليل** قد دلَّت على التعليل، و**لام الجحود** قد دلَّت على النفي المبالغ فيه، وحتَّى قد تراوحت بين التعليل وانتهاء الغاية، و**فاء السببيَّة** قد دلَّت على السبب، و**لن** قد دلَّت على النفي والتأبيد لم يكن ملازمًا لها، و**كي** قد دلَّت على التعليل.

ومن حيث الاستعمال فإنَّ هذه الحروف عملت وأهملت وفق ما اشترطه النُّحاة لها ولم تخرج عنه.

المبحث الثاني:

حروف الجزم والشرط

هذا المبحث سيتناول دراسة حروف الجزم والشرط في **رسائل الجاحظ** على النحو الآتي: أوَّلًا: حروف الجزم وهي التي تجزم فعلًا واحدًا، وهي: **لا الناهية، ولام الأمر، ولم**، وقد صرف البحث نظره عن **لمَّا**؛ لعدم ورودها عند الجاحظ. ثانيًا: حروف الشرط الجازمة، وهي: **إنْ الشرطيَّة**، وقد صرف نظره عن **إذما**؛ لعدم ورودها عند الجاحظ. وقد تتبَّع المبحث دلالتها وتراكيبها في **رسائل الجاحظ** واستعمال الجاحظ لها.

حروف الجزم والشرط في رسائل الجاحظ:

أوَّلًا: الحروف التي تجزم فعلًا واحدًا:

أوَّلًا: لا الناهية:

وقد وردت في ثمانية وأربعين موضعًا في سياقي النهي والالتماس، على النحو الآتي:

أوَّلًا: في سياقات النهي:

وقد وردت في معرض الوصايا التي يقدمها للقارئ، ويعد أسلوبًا متوائمًا مع الغرض في هذا النوع من الرسائل، والخطاب فيه موجه إلى المخاطب رغم امتناع المواجهة وقتها؛ لتنزيل الجاحظ قارئ رسالته منزلة المواجه والمخاطب له، وقد وردت في ثلاثة وأربعين موضعًا، منها قوله:

"ولعلَّ رجلا لو قيل له: لا تمسح يدك بهذا الجدار- وهو لم يمسحها به قط - غُرِيَ بأن يفعل..." (١/ ١٥٤)

ثانيًا: في سياقات الالتماس: لغرضين هما:

أ- التماس العذر من قارئ الرسالة نتيجة خطأ أو تقصير، في موضعين هما:

"والجملة التي تنفي الجدال، وتقطع القيل والقال: أني لم أرك قط إلَّا ذكرت الجنة، ولا رأيت أجمل الناس في عقب رؤيتك! إلَّا ذكرت النار! ولا تعجب أيها السامع واعلم أني مقصر..." (٣/ ٨٥)

"أنا - أبقاك الله - الطالب المشغول، والقائل المعذور، فإن رأيت خطأ فلا تنكر، فإنِّي بصدده وبعرض منه، بل في الحال التي توجبه، والسبب الذي يؤدي إليه..." (٣/ ١١٣)

ب- في التماس العفو وطلب النظر في أمره في رسالة الجد والهزل التي يبدو أنَّه أرسلها إلى والي عاقبه، في ثلاثة مواضع، منها قوله:

"فلا تقف - حفظك الله - بعد مضيك في عقابي التماسًا للعفو عني، ولا تقصر عن إفراطك من طريق الرحمة لي..." (١/ ٢٦١)

"جعلت فداك، لا تتعرض لعداوة عقلاء الرواة..." (١/ ٢٣٦)

النتائج الخاصّة بـ لا الناهية:

- دلّت على النهي والالتماس، والأكثر دلالتها على النهي بنسبة ٨٩,٥٨٪؛ ممَّا يدل على النهي معناها الأصليّ إلَّا إذا دلَّ السياق على خروجها عنه.
- وجد البحث أنَّها لم تدلّ على الالتماس إلَّا بوجود قرائن غير لغويَّة.
- في كافَّة استعمالات الجاحظ لها نجده يستعملها قبل أفعال المخاطبين في كلّ المواضع إلَّا سبعة منها وردت للغائبين ولم ترد لديه في أفعال المتكلم وهذا وفق أصل استعمالها الذي قرَّره النُّحاة لها؛ إذ الشخص لا ينهى نفسه، كما لم يفصل بينها وبين الفعل بأي فاصل.

ثانيًا: لام الأمر:

وقد وردت في رسائل الجاحظ في ثمانية مواضع متصلة بالمضارع المبدوء بـ ياء الغائب، والمبدوء بـ تاء الخطاب على النحو الآتي:

أولا: المبدوء بـ ياء الغائب وقد ورد في خمسة مواضع للأغراض الآتية:

أوَّلًا: الأمر: في سياق الوصايا: في قوله:

"فبحسب ذلك، فليكن عندك..." (١/ ١٣٢)

ثانيًا: الالتماس: في سياق المناظرة؛ إذ لا يقبل الأمر على حقيقته هنا باعتبار أنَّ المناظر مساوٍ أو قريب من المساواة، وتحتمل الأمر؛ لغرض بلاغي وهو إظهار التعالي والتفاخر على المناظِر وتنزيله منزلة المأمور: في المواضع الآتية:

"ونهر الكوفة الذي يسمونه إنَّما هو شعبة من أنهار الفرات، وربّما جف حتّى لا يكون لهم مستقى إلَّا على رأس فرسخ، وأكثر من ذلك، حتّى يحفروا الآبار في بطون نهرهم، وحتَّى يضر ذلك بخضرهم وأشجارهم، فلينظروا أيُّما أضرُّ وأيُّما أعيب..." (٤/ ١٤١)

"فإن شكَّ شاكٌّ أو توقَّف مرتاب، فليعترض العامة، وليتصفَّح ما عند الخاصّة حتّى يتبيَّن الصبح..." (٤/ ٢٢٢)

"فإن زعموا أنَّ أصحاب السلطان يعرض مكروه، فليعلموا أنَّ كلّ مسافر فبعرض مكروه..." (٣/ ٤٨)

ثانيا: المبدوء بـ تاء الخطاب: وقد ورد في ثلاثة مواضع والغرض منها الأمر في سياق الوصايا، والفعل في كلّ المواضع المضارع من كان:

"فلتكن المساهلة في أخلاقك أغلب عليك من المعاسرة، والحلم أولى بك من العجلة، والصبر الحاكم عليك دون الجزع، والعفو أسبق إليك من المجازاة بالذنوب، والمكافأة بالسوء..." (١/ ١٣٣)

"وكذلك سائر الأخلاق المحمودة والمذمومة، فلتكن محموداتها غالبة على أفعالك، محكمة في أمورك فإنَّك إن ضبطت ذلك..." (١/ ١٣٣)

"وإن كان ممن يظهر لك العداوة ويكشف لك قناع المحاربة، وكان ممن أعياك استصلاحه بالحلم والأناة، فلتكن في أمره بين حالين: استبطان الحذر منه.." (١/ ١١٦)

النتائج الخاصّة بـ لام الأمر:

– دلّت على الأمر في موضع واحد في حين خرجت إلى الوصايا والالتماس في باقي المواضع؛ ولعلَّ العلة في قلَّة ورودها في سياق الأمر تنافي دلالتها مع الغرض العام من الرسائل والتي تخلو من المواجهة بين المتكلم والمخاطب.

– اتصلت بالفعل المبدوء بـ **تاء** الخطاب في ثلاثة مواضع، وقد ورد في قراءة رواها "أبي بن كعب رضي الله عنه أنَّ النبي – صلى الله عليه وسلم – قرأ (قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فلتفرحوا هو خير ممَّا تجمعون)"[١] وعلق ابن جني عليها بقوله: "وكأنَّ الذي حسن التاء هنا أنَّه أمر لهم بالفرح، فخوطبوا بالتاء؛ لأنَّها أذهب في قوَّة الخطاب، فاعرفه، ولا تقلَّ قياسًا على ذلك: فبذلك فلتحزنوا؛ لأنَّ الحزن لا تقبله النفس قبول الفرح، إلَّا أن تريد إصغارهم وإرغامهم، فتؤكِّد ذلك بالتاء على ما مضى"[٢] ولو أخذنا بتوجيه ابن جني ونزلناه على المواضع الواردة في **رسائل الجاحظ**؛ لاتضح أنَّ رغبة الجاحظ في إرغام المخاطب على الأخذ بوصاياه خاصّة وأنَّها ثقيلة على النفس؛ إذ هي في التعامل مع العدو الظاهر المبارز دفعته لاستعمال **لام** الأمر مع المضارع المبدوء بـ **التاء** هنا. وممَّا يستأنس به للتوكيد على ميل الجاحظ لهذا التعليل المقارنة في استعماله لـ **لام** الأمر مع المبدوء بـ **الياء** فقد كانت في وصايا تميل إليها النفس والتماس في مناظرة.

ثالثًا: لمْ:

وقد وردت **لم** في **رسائل الجاحظ** في تسعمئة وأربعة وثلاثين موضعًا على النحو الآتي:

(١) النشر في القراءات العشر، ابن الجزريُّ (٢/ ٢٨٥)

(٢) المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، ابن جنيُّ (١/ ٣١٤)

أوَّلًا: دلّت على النفي مع صرف المضارع إلى المضي: كما في قوله:

"بل لم يمكن أن يميّز..." (٤/ ٢٣٢)

ثانيًا: دلّت على النفي فقط: كما في قوله:

"وأنهم إن لم يشدِّدوا في ذلك لم ينقطع الطمع.." (٣/ ٢٢٩)

النتائج الخاصّة بـ لم:

- في جميع المواضع وقعت **لم** مجرَّدة من الاستفهام، وعاملة ولم يفصل بينها وبين معمولها بفاصل.
- وجد البحث في دلالتها الزمنيَّة وهي قلب المضارع إلى المضي أنَّها قد دلّت عليه في جميع المواضع؛ إلَّا في المواضع التي دخلت عليها أدوات الشرط الجازمة و**إذا** المتضمِّنة لمعنى الشرط، فإنَّها قد فرِّغت من دلالتها على الزمن، وبقيت دالّة على النفي فقط.
- تميَّزت **لم لما** وردت دالّة على النفي المجرد من صرف الفعل إلى المضي لتقدم **إنْ** الشرطية والتي تصرف الفعل إلى الاستقبال أنَّها قد دلّت على استمرار فعل الشرط فكأن المعنى في المثال المذكور: إن استمروا في عدم التشديد في ذلك استمر عدم انقطاع الطمع.

ثانيًا: حروف الشرط:

لم يرد من حروف الشرط في رسائل الجاحظ سوى إنْ، وذلك في أربعمئة وسبعة وأربعين موضعًا، ومن حيث ذكر فعل الشرط وجوابه فقد وردت وفق الأحوال الآتية:

أوَّلًا: ذكر فعل الشرط وجوابه، وبحسب زمن فعل الشرط ينقسم إلى القسمين الآتيين:

القسم الأوَّل: أن يكون فعل الشرط ماضيًا وله عدَّة أنماط:

النمط الأوَّل: إن + فعل ماضٍ + فعل ماضٍ: في مئة وأربعين موضعًا، منها قوله:

"فإن أقاموه كان ذلك رأيًا رأوه..." (٤/ ٢٨٥)

النمط الثاني: إن + فعل ماضٍ + الفاء + قد + فعل ماضٍ: في ثلاثة وعشرين موضعًا، منها قوله:

"فإن أبى القيم إقامة الحقِ والحدِّ على الجاني بعد استيجابه... فقد عصى..." (٤/ ٢٨٦)

النمط الثالث: إن + فعل ماضٍ+ الفاء + فعل ماضٍ جامد ليس: في خمسة مواضع، منها قوله:

"وإن كان ما أقرَّ به على الصحَّة والحقيقة، فلستم منه، وليس منكم..." (٣/ ٢٩٥)

النمط الرابع: إن + فعل ماضٍ + الفاء + مضارع: في قوله:

"وإن خالفت فنستغفر الله..." (١/ ٣٣٢)

النمط الخامس: إن + فعل ماض + الفاء + لا النافية + مضارع: في قوله:

"وإن كان مقرًا بالله عارفًا به، فلا يخلو من أن يكون مشبَّهًا أو نافيًا للتشبيه..." (٣/ ٣٠٥)

وقد ورد الجواب في موضع جواب الشرط مضارع منفيّ بـ **لا** وخالٍ من **الفاء**، في قوله:

"فكيف وهو إن خلا بمعشوقه لا يظنُّ أنَّ لذَّة الغناء تشغله بمقدار العشر من لذَّته..." (٣/ ١٤١)

النمط السادس: إن + فعل ماضٍ+ الفاء + قد + فعل مضارع: في موضعين، هما:

"وإن كان لا يعرف مبلغه بكيل ولا وزن ولا عدد ولا مساحة؛ فقد يعرف بالحسن والقبح..." (٢/ ١٦١)

"فإن كان إنَّما يحرمه لأنَّه يلهى عن ذكر الله، فقد نجد كثيرًا من الأحاديث والمطاعم والمشارب..." (٢/ ١٦١)

النمط السابع: إن + فعل ماضٍ + لم + فعل مضارع: في تسعة مواضع، منها قوله:

"فإن وجد الواحد منهم ذاكرًا شيئا من ذلك لم يكن لدوران فكيه به طلاقة..." (٢/ ١٩٤)

النمط الثامن: إن + فعل ماضٍ + الفاء + لم + فعل مضارع: في سبعة مواضع، منها قوله:

"وإن بذلت فلم تعدّ الذي أنت أهله عند من عرف قدرك..." (٣/ ١١٧)

النمط التاسع: إن + فعل ماضٍ + الفاء + لا الناهية + فعل مضارع: في موضعين، هما:

"فإن رأيت خطأ، فلا تنكر فإنَّي بصدده وبعرض منه، بل في الحال التي توجبه..." (٣/ ١١٣)

"فإن ابتليت في بعض الأوقات بمن يضرب بحرمة ويمت بدالة، يطلب المكافأة بأكثر ممَّا يستوجب، فدعاك الكرم والحياء إلى تفضيله على من هو أحقُّ منه، إما تخوفًا من لسانه، أو مداراة لغيره، فلا تدع الاعتذار إلى من فوقه من أهل البلاء والنصيحة وإظهار ما أردت من ذلك لهم..." (١/ ١٠٨)

النمط العاشر: إن + فعل ماضٍ + الفاء + لام الأمر + فعل مضارع: في ثلاثة مواضع، منها قوله:

"فإن زعموا أنَّ أصحاب السلطان بعرض مكروه، فليعلموا أنَّ كلّ مسافر فبعرض مكروه..." (٣/ ٤٨)

النمط الحادي عشر: إن + فعل ماضٍ + الفاء + فعل أمر: في تسعة مواضع، منها قوله:

"فإن كان عدوك ممَّا لا يصلح على ذلك، فحصن عنه أسرارك، وعم عليه آثار تدبيرك..." (١/ ١١٥)

النمط الثاني عشر: إن + فعل ماضٍ + الفاء + جملة اسميّة بلا ناسخ: في اثنين وخمسين موضعًا، منها قوله:

"فإن باتت فإنَّما صاحبها هو الذي يبيتها؛ لأنَّه لو كان حط في كلّ ألف..." (٤/ ١٤٤)

النمط الثالث عشر: إن + فعل ماضٍ + الفاء + ناسخ حرفي + جملة اسميّة: في سبعة عشر موضعًا، منها قوله:

"وإن أكثرت، فإنَّك الغاش الكاشح والسلام..." (٣/ ١٢٨)

النمط الرابع عشر: إن + فعل ماضٍ + الفاء + ما النافية + جملة اسميّة أو فعليّة: في موضعين، هما:

"وإن كنت أخطأت الطريق، وجاوزت المقدار، فما كان ذلك عن جهل بفضلك، ولا إنكار لحقك..." (٣/ ٧٣)

"وإن كنا أخطأنا، فما ذاك عن فساد من الضمير..." (٣/ ١٠٦)

النمط الخامس عشر: إن + فعل ماضٍ + الفاء + جملة استفهامية، ولهذا النمط عدَّة صور:

الصورة الأولى: إن + فعل ماضٍ + همزة الاستفهام + الفاء: في قوله:

"فإن قلتم: ليس ذلك أرادوا، بل إنَّما أرادوا المتحرِّز به والمتحصِّن بحيطانه، أفما كان من حقِّ البيت وحريمه..." (٢/ ١٢)

الصورة الثانية: إن + فعل ماضٍ + الفاء + هل: في قوله:

"وإن كان ذلك لمكان التربية، فهل ربَّاه إلَّا كما ربَّى موسى وداود، وجميع الأنبياء..." (٣/ ٣٤٢)

الصورة الثالثة: إن + فعل ماضٍ + الفاء + جملة استفهامية مصدرة باسم استفهام: في خمسة مواضع، منها قوله:

"فإن كان ذلك كذلك، فلِمَ سمَّيتموه بالغًا، وليس في طاقته بعد العلم يفصل ما بين النبيّ والمتنبي؟.." (٤/ ٦٢)

النمط السادس عشر: إن + فعل ماضٍ + الفاء + تعجب: في قوله:

"فإن تبت، فما أقرب الفرج، وأسرع الإجابة !..." (٣/ ١١٥)

القسم الثاني: أن يكون فعل الشرط مضارعًا، وله عدَّة أنماط:

النمط الأوَّل: إن + فعل مضارع + فعل ماضٍ: في قوله:

"فإن يصلح الكلام وكان كما وصفت وكما ضمَّنت، حثثت على قراءته وعلى اتخاذه، وعلى تخليده وعلى تدوينه..." (١/ ٢٩١)

النمط الثاني: إن + لم + فعل مضارع + فعل ماضٍ: في ثلاثة مواضع، منها قوله:

"وإن لم يكن أنبت، حملوه كما يصنع أمير جيش المسلمين..." (٢/ ١٣)

النمط الثالث: إن + لم + فعل مضارع + لم + فعل مضارع: في موضعين، هما:

"وأنهم إن لم يشددوا في ذلك، لم ينقطع الطمع، ولم ينزجر الطير..." (٣/ ٢٢٩)

"فإن لم يستعمل ذلك، لم يزل متورطًا في الخطاء مغمورًا بالذنب..." (١/ ٢٤٦)

النمط الرابع: إن + لم + فعل مضارع + الفاء+ جملة اسميّة: في قوله:

"وإن لم يقرُّوا بذلك بألسنتهم، فذاك معناهم وقصدهم..." (٢/ ٢٠)

النمط الخامس: إن + لم + فعل مضارع + الفاء+ فعل أمر: في قوله:

"وإن لم تبلغ الغاية، فاعرف وزنه، واشهد بطيبه، وأرخ ساعته، وأشهر في الناس يومه..." (٣/ ١١٨)

ثانيًا: مواضع الحذف:

أوَّلًا: حذف فعل الشرط:

ورد حذف فعل الشرط في **رسائل الجاحظ** في ستّة مواضع، وفي صورة واحدة وهي إذا تلت **إنْ لا** النافية، وقد دلَّ السياق على المحذوف، وله حالات ثلاث، هي:

الحالة الأولى: الجواب فعل ماضٍ: في قوله:

"فإن اتقوهم بالخراج وإلَّا أرسل إليهم ألف سنبوقة أخرى، فلا يجد ذلك الملك بدًا..." (١/ ٢١٧)

الحالة الثانية: الجواب فعل أمر سبقته الفاء: في قوله:

"وإلَّا فاجْهَدْ أن يكون أغلب أفعالك عليك الطاعة..." (١/ ١٠٢)

الحالة الثالثة: الجواب جملة اسميّة سبقتها الفاء، ولهذه الحالة صورتان:

الصورة الأولى: جملة اسميّة خالية من النواسخ: في موضعين، هما:

"وإلَّا فأنا أوَّل من ابتلعته تلك الحية..." (١/ ٢٥٠)

"وإلَّا فأنت على أمرك..." (٣/ ٢٦٩)

الصورة الثانية: جملة اسميّة مسبوقة بناسخ حرفي: في موضعين، هما:

"وإلَّا فإنَّ القرابة يد واحدة على من ناوأهم، وسيف واحد على من عاداهم..." (٣/ ١٤٩)

"وإلَّا فإنَّه لا يدع سننه، ولا يقطع ركضه..." (١/ ٤٤)

من حيث التركيب اعتبر بعض النُّحاة حذف فعل الشرط بعد **إلَّا** مختصًا بالضرائر، لكن ما ورد هنا يدحضه؛ إذ هذا موضع سعة واختيار. ومن حيث الدلالة فإنَّ هذا النمط يتضمَّن طاقة دلالية تتمثل في تهديد ضمني للمخاطب.

ثانيًا: حذف جواب الشرط:

ورد في **رسائل الجاحظ** في مئة وواحد وخمسين موضعًا، وفق الحالات الآتية:

الحالة الأولى: عند اجتماع الشرط والقسم، وقد تقدم القسَم على الشرط ولم يسبقهما مبتدأ يطلب خبرًا: في عشرة مواضع، منها قوله:

"ولئن كانوا قد أفرطوا في لوم العشيرة، والتكبر على ذوي الحرمة، لقد أفرطت في سوء الاختيار..." (٤/ ١٧٠)

فحذف جواب الشرط هنا لدلالة جواب القسم عليه، وتقديم القسم في اعتبار الجواب جوابه الصدارة وبنا الكلام عليه فهو المنتظر فكأن الشرط المذكور بعده كان اشتراطًا.

وممَّا تجدر الإشارة إليه هنا أنَّه قد اجتمع الشرط والقسم مع تقدم القسم وجاء الجواب للشرط: في موضعين، هما:

"ولئن اعتذرنا لأنفسنا بصدق المودة وبجميل الذكر، فلِمَا يعدُّ لكم من تحقُّق الآمال، والنهوض بالأثقال أكثر..." (٤/ ١٩٤)

"ولئن كان فرق السكون بينهما ظاهر الاجتهاد والعبادة، فمن أظهر اجتهادًا من الرهبان في الصوامع، والخوارج في بذل النفوس؟.." (٤/ ٥٤)

والمقوي للقول بأنَّ الجواب للشرط وليس للقسم اقترانه بـ **الفاء** التي لم يعهد اقترانها بجواب القسم.

الحالة الثانية: عند دلالة السياق على الجواب المحذوف: في أربعة وأربعين موضعًا، منها قوله:

"وهذا باب يطول شرحه إن استقصيت جميع ما فيه من المسألة والجواب..." (٤/ ٢٧٥)

الحالة الثالثة: توسط جملة الشرط بين مبتدأ وخبر، أو ما أصله المبتدأ والخبر: في ثلاثة مواضع، منها:

"وإحساني – مدَّ الله في عمرك – في كتابي هذا إن كنت محسنًا – صغيرٌ في جنب إحسانك..." (١/ ٣١٧)

"ولا كان ذلك القول – إن كان من عليتهم – في الواحد الشاذِّ القليل..." (٤/ ٢٩٢)

الحالة الرابعة: مجيء جملة الشرط بعد واو الرغم: في خمسة وثمانين موضعًا، منها قوله:

"وقد صنع الله به ما هو أصلح وإن لم يستطع العبد نفسه..." (٤/ ٢٨٨)

ثالثًا: حذف الشرط والجواب: في أربعة مواضع، هي:

"وداو كلّ من لا بد لك من معاشرته بالدواء الذي هو أنجع فيه، إن لينًا فلينًا، وإن شدَّة فشدةً..." (١/ ١٠٩)

"وكلما نقصت من أحد البابين زاد في صاحبه، إن قليلًا فقليل، وإن كثير فكثير..." (١/ ١١٨-١١٩)

ومن المسائل التي ينبغي الإشارة إليها في الشرط عند الجاحظ ما يأتي:

- **إيلاء إنْ اسمًا: في موضعين، هما:**

"ومنهم من رأى المعاداة بعد الفرار منها والإعذار فيها، فإن هي أبت إلَّا المقارنة قارنوها بمثلها..." (١/ ٣٥٨)

"فإن أنت لم تحكم له بالغاية مع اجتماع هذه العلل فيه، ومع توافيها إليه، ولم تقض له بأقصى الغاية مع ترادف هذه الأسباب وتكامل هذه الدلائل، وتعاون هذه البرهانات، فكلُّ خبر بيِّنة زور، وكلُّ دلالة فاسدة..." (١/ ٢٤٠)

- **حذف المبتدأ من الجواب اكتفاء بمعمول الجواب وبدلالة فعل الشرط المذكور عليه: في ثلاثة مواضع، منها قوله:**

"وإن ابتلى فبذنب، وما عفا الله عنه أكبر..." (١/ ٣٢٩)

النتائج الخاصّة بـ إنْ:

- يعد النمط الأوَّل أكثر الأنماط ورودًا وهذا بنسبة ٣١,٣١٪، وقد استعمله الجاحظ في بناء المناظرات؛ ليساعده على تقليب الفكرة على كلّ وجوهها؛ ليرد على مناظر متخيَّل يجادل بكل حِدِّيَّة، ويعترض على كلّ الأفكار، وقد استفاد منه في بيان مقدرته عن الدفاع عن فكرته وتأييدها، ودحض كلّ اعتراض قد يرد عليها، إضافة إلى أنَّه قد بين به دقَّة معرفته بطريقة تفكير المرسل إليه ونفسيَّته.

- يعد النمط الرابع حيث كان فعل الشرط ماضيًا نمطًا غريبًا؛ إذ لم يرد عند النُّحاة دخول **الفاء** على الجواب إذا كان فعلًا مضارعًا لأنَّه صالح لمباشرة **إنْ** له؛ لكن لعلَّ الجاحظ أراد معنى الاتباع المستفاد من **الفاء** حيث إنَّ هذه الجملة قد ذكرت في رسالته إلى الكاتب أبي الفرج بن نجاح الكاتب وقد أرسل له قصيدتين ثمّ عقّب بقوله: "فإن وقعت هذه القصيدة والتي قدمنا قبلها بالموافقة فالحمد لله، وإن خالفت فنستغفر الله ..." فبين مخالفتها لما يريد وبلوغه بخبرها واستغفاره مدة ومهلة زمنية استدعت استعمال **الفاء**.

- اتصلت **الفاء** في النمط الثاني بـ **لم**؛ لورودها في سياقات كان ما بعدها علة وتبرير لما قبلها فأكَّدت معنى التعليل المفهوم سلفًا من الأسلوب الشرطي.

– دلّت **إنْ** في جميع المواضع على الشرط، والاستقبال، وقد استعملت في السياقات المشكوك في وقوعها؛ فلم يقع بعدها متحقِّق الوجود.

– وظَّف الجاحظ القسم الأوَّل من الشرط في ربط نصوص الرسائل الطويلة؛ لتبدو متماسكة يجرُّ بعضها بعضًا.

– أنَّ أكثر الأفعال استعمالًا الفعلُ الماضي لفظًا ومعنىً، أو الماضي معنى وهو المضارع المقترن بـ **لم**، وهذا يدفعنا لإعادة النظر في أصل استعمال **إنْ**، وهل هي مختصَّة بالفعل المضارع كما يذكر المبرد من أنَّ "أصل الجزاء أن تكون أفعاله مضارعة؛ لأنَّه يعربها ولا يعرب إلَّا المضارع..."(١).

– وجد البحث أنَّ حذف الجواب أكثر من حذف الفعل وهذا بنسبة ٩٦,١٧٪، ممَّا يتَّفق مع ما ذكره النُّحاة من أنَّ حذف الجواب أكثر من حذف الفعل.

– لم يل **إنْ** إلَّا الضمير، وللنحاة في إعرابه ثلاثة آراء: الرفع على الابتداء، والرفع على أنَّه فاعل لفعل محذوف، أو الرفع على أنَّه فاعل لفعل مضمر.

– ويعدُّ حذف المبتدأ في جملة جواب الشرط كثير؛ "لأنَّه قد جرى ذكره مع الشرط، فاستغني بذلك عن إعادته"(٢).

(١) المقتضب، المبرَّد (٢/ ٤٩)

(٢) شرح المفصل لابن يعيش، ابن يعيش (٥/ ١١٨)

النتائج العامة لحروف الجزم والشرط:

- وردت حروف الجزم لفعل واحد أكثر من حروف الشرط وهذا بنسبة ٦٨,٨٩٪.
- **لا** الناهية: وردت بنسبة ٣,٣٤٪.
- **لام** الأمر: أقل حروف الجزم والشرط ورودًا؛ إذ لم ترد إلَّا في ثمانية مواضع فقط.
- **لم**: تعد أكثر حروف الجزم والشرط ورودًا؛ وهذا بنسبة ٦٤,٩٩٪.
- لم يرد من حروف الشرط الجازمة إلَّا **إنْ**.

وجد البحث قلَّة ورود حروف الشرط مقابل الحروف الجازمة لفعل واحد، في حين أنَّه لم يرد من حروف الشرط سوى **إنْ** ممَّا يقوِّي قول النُّحاة من أنَّها أمُّ باب حروف الشرط وأدواته.

من حيث الدلالة وجد البحث أنَّ الحروف هنا لم تخرج عمَّا قرَّره النحاة فنجد أنَّ **لا الناهية** قد تراوحت دلالتها بين النهي والالتماس، و**لام الأمر** قد دلَّت فيه على الالتماس والوصايا في غالب مواضعها إلَّا موضع واحد قد دلَّت فيه على الأمر وهذا من الأمور التي تخالف فيها المعنى العام المقرر لها عند النُّحاة، **ولم** قد دلَّت على النفي وقلب المضارع إلى المضي إلَّا حينما وقعت في فعل الشرط أو جوابه، و**إن الشرطيَّة** قد دلَّت على الشرط والتعليق في سياقات الشك.

من حيث الاستعمال نجد أنَّها لم تخرج عمَّا قرَّره النحاة إلَّا في مواضع قليلة بجانب مواضع اتساقها مع ما ذكره النُّحاة.

المبحث الثالث: حروف متفرّقة

هذا المبحث سيتناول دراسة الحروف المتفرّقة المختصَّة بالأفعال في **رسائل الجاحظ** التي لا يضمها باب معين وقد رتبت وفق الترتيب الهجائي، وهي: **أَلَا، وأنْ المصدرية، والسين، وقد، ولمّا، ولو، ونون التوكيد المشدَّدة، وهلّا، وواو** الرغم، وكلها تشترك في أنَّها مهملة كما أنَّها تتقدم على الفعل ما عدا **نون التوكيد المشدَّدة**؛ إذ أنَّها تلي الفعل، وقد تتبَّع المبحث دلالة وتركيب كلّ منها.

الحروف المتفرّقة المختصَّة بالأفعال في رسائل الجاحظ:

أوَّلًا: أَلَا:

وردت في خمسة وثلاثين موضعًا وتليت بالفعل المضارع في كلّ المواضع، منها قوله:

"ألا ترى أنَّ اسم الشاكرية وإن خالف في الصورة والهجاء اسم الجند..." (١/ ٣٠)

"ألا ترى أنَّك ترى البصريَّ فلا تدري أبصريٌّ هو أم كوفيٌّ، ..." (١/ ٦٣)

"ألا ترى أنَّ العبدي يقول: " عمر الله البلدان بحب الأوطان " (١/ ٦٤)

النتائج الخاصّة بـ أَلَا:

- دلّت على العرض في كلّ المواضع.
- بقيت محافظة على اختصاصها بالفعل المضارع فلم يلها الاسم.
- صرفت الجملة التي تلتها إلى الاستقبال والإنشاء.

ثانيًا: أنْ المصدرية:

وقعت في **رسائل الجاحظ** في اثنين وثلاثين موضعًا وفيها جميعًا تليت بفعل ماضٍ، ولم تدخل على الأمر، المواقع السياقية لها هي:

أوَّلًا: **فاعل: في ثلاثة مواضع، منها قوله:**

"ثم هن أمهات أولاد من قد بلغ بالحب أن غفروا لهن كلّ ذنب..." (٢/ ١٧٥)

ثانيًا: اسم فعل ناسخ: في قوله:

"كان من نعمة الله عندي أن جعل أبا عبد الله – حفظه الله – وسيلتي إليك..." (١/ ٩٣)

ثالثًا: مجرورة بحرف الجرّ: في سبعة مواضع، منها قوله:

"وقد اضطررتنا بتصييرك المفضول فاضلًا... إلى أن أدخلنا عليك الظنَّ، وألحقناك التهمة" (٤/ ١٦٥)

رابعًا: مجرورة بالإضافة: في واحد وعشرين موضعًا، منها قوله:

"فيتغيَّر لذلك اسمه، ويصير حلالًا بعد أن كان حرامًا..." (٤/ ٢٧٤)

النتائج الخاصّة بـ أنْ المصدرية:

- لم يلها إلَّا الفعل الماضي في جميع المواضع.
- لم ترد **إنْ** المصدرية إلَّا في موضعي الفاعليَّة والإضافة دون المفعوليَّة؛ وأكثرها وقوعًا الإضافة وهذا بنسبة ٦٥,٦٪.

ثالثًا: السين:

وقد وردت في رسائل الجاحظ في ستّة وثلاثين موضعًا لمعنيين: أحدهما: الوعد. والثاني: الوعيد، على النحو الآتي:

الأوَّل: الوعد مع المواقع الإعرابية للفعل المضارع المُصدَّر بـ السين:

أوَّلًا: في صدر جملة ابتدائية: في سبعة عشر موضعًا، منها قوله:

"وسأصف لك شرف النبيذ في نفسه..." (٣/ ١٢٠)

ثانيًا: في صدر جملة فعليّة وقعت خبرًا لـ إنَّ: في أربعة مواضع، منها قوله:

"فإنَّه سيحلُّ عقدة أرواحهما عقدًا عقدًا..." (١/ ٢٧٨)

ثالثًا: في صدر جملة فعليّة وقعت خبرًا لـ أنَّ: في سبعة مواضع، منها قوله:

"واعلم أنَّه سيمرُّ بك في معاملات الناس حالات تحتاج...." (١/ ١١٧)

ثالثًا: في صدر جملة وقعت صفة:

"ولكن لأمورٍ سأذكرها وأحتجُّ..." (٣/ ٢٢٥)

رابعًا: في صدر جملةٍ وقعت مفعولا ثانيا:

"وما إخالها إلَّا ستدقُّ على ابن العاص..." (١/ ٢٥٧)

الثاني: الوعيد مع المواقع الإعرابية للفعل المضارع المصدر بـ السين:

أوَّلًا: في صدر جملة ابتدائية:

"ستجد في من يتصل بك من يغلبه إفراط الحرص وحميا الشره..." (١/ ١٠٩)

ثانيًا: في صدر جملة فعليّة وقعت خبرًا لـ أنَّ: في خمسة مواضع، منها قوله:

"وقد نعلم أنَّ كثيرًا منهم سيبالغ في الذم..." (٣/ ١٣٤)

النتائج الخاصّة بـ السين:

– أنَّها قد وردت دالّة على الوعد والعيد لكن مواضع الوعد أكثر بكثير من مواضع الوعيد وهذا بنسبة ٨٣,٣٣٪؛ ممَّا يتَّفق مع ما ذَكَرَه النُّحاة.

– أنَّه لم يفصل بينها وبين الفعل بأي فاصل.

– أنَّها لم تقع في صدر جملة خبر لمبتدأ ممَّا يتَّفق مع ما ذكره النُّحاة.

رابعًا: قد:

دخلت **قد** على الفعلين الماضي والمضارع في **رسائل الجاحظ** في تسعمئة وتسعة عشر موضعًا، على النحو الآتي:

أوَّلًا: دخلت على الماضي: في ثمانمئة وستّة وأربعين موضعًا دالّة على التحقيق، منها قوله:

"وقد أمكن القول وأطرق السامع..." (٤/ ٢٩٨)

وفي موضع واحد دلّت على التوقع، في قوله:

"ولعله قد كان في زمن صفين..." (٣/ ٢٥٨)

ثانيًا: دخلت على المضارع: في اثنين وسبعين موضعًا دالّة على ما يأتي:

أوَّلًا: على التقليل: خمسة وخمسين موضعًا، منها قوله:

"ويحتمل ما فيه ممَّا قد يصدُّ عنه، ولا يكون حظُّه منه الوصف له، والمعرفة به..." (٣/ ١٦٣)

ثانيًا: على التحقيق: في ثمانية عشر موضعًا، منها قوله:

"ويعرف الممكن في الطباع من الممتنع فيها، وما قد يحدث بالاتفاق ممَّا يحدث بالأسباب..." (٤/ ٢٣)

النتائج الخاصّة بـ قد:

- استعمال **قد** مع الماضي أكثر منها مع المضارع وهذا بنسبة ٩٢,١٦٪.

- أنَّها دلّت مع المضارع على التقليل أكثر من التحقيق وهذا بنسبة ٧٦,٣٨٪.

- أنَّه لم يفصل بينها وبين فعلها شيء ولم يحذف الفعل رغم كثرة استعمالها؛ ممَّا يدعو إلى إعادة النظر في القول بجوازه في النثر؛ خاصّة وأنَّ لغة القرآن الكريم واستعمال **قد** فيه يعضد هذا الرأي.

- وظَّفها الجاحظ في التفريق بين **أن** المخفَّفة من الثقيلة **وأن** المصدرية: ومنه في الرسائل قوله:

"ثم رأيت أن قد بقي عليَّ أمر من الأمور يمكنني فيه برَّك، وهو عندي عتيد..." (١/ ٩٥)

"وعلى قياس قولكم أن قد كان ينبغي أن تكون الصقالبة أسخى أنفسًا وأسمح أكُفًّا منهم..." (١/ ١٩٦)

- استعملها الجاحظ في الربط بين الشواهد الشعرية والنثرية التي يذكرها تعضيدًا لما يذهب إليه؛ فإذا عدنا إلى رسائل نحو: **مناقب الترك، وذمّ أخلاق الكتاب، والبغال**؛ وهي الكتب التي اعتمد فيها على النقولات التاريخية؛ فإنَّنا نجده قد عالج التنافر بينها بـ **قد** للتنقل بسلاسة من حدث إلى آخر بما فيها من طاقة دلالية على التحقيق مع الماضي؛ ممَّا يزيد من موثوقية الأحداث وتوكيدها على أفكاره.

خامسًا: لما:

وردت عند الجاحظ في واحد وخمسين موضعًا وهذا في حالتين، هما:

الأولى: ذكر فعلها وجوابها، وقد وردت وفق الأنماط الآتية:

النمط الأوَّل: لمّا + فعل ماضٍ + فعل ماضٍ: في ثلاثة وأربعين موضعًا، منها قوله:

"ولكن لما كان الابتداء أجري في ذكر تحريم الخمر، خرج التحريم عليها وحدها..." (٤/ ٢٧٤)

النمط الثاني: لمّا + فعل ماضٍ + لم + فعل مضارع: في أربعة مواضع، منها قوله:

"ولما رأينا الكنوز العادية والذخائر النفيسة... لم يمتنع في عقولنا، وآرائنا ومعرفتنا من الإقرار..." (٤/١٦١-١٦٢)

النمط الثالث: لما + أنْ الزائدة + فعل ماضٍ + فعل ماضٍ: في موضعين، هما:

"ولما أن كان موجودًا في العقول أنَّه قد يفتّش بعض الأمناء عن خيانة، وبعض الصادقين عن كذب، وأنَّ مثل الخبرين الأولين لم يتعقَّب الناس في مثلهما كذبًا قط، علم أنَّ الخبر إذا جاء من مثلهما جاء..." (١/ ١٢٠)

"ولما أن كان لا بد للعباد من أن يكونوا مأمورين منهيين بين عدو عاص ومطيع ولي، علمنا أنَّ الناس لا يستطيعون مدافعة طبائعهم..." (٤/ ٣٢٠)

الثانية: حذف الجواب عند دلالة السياق عليه: في المواضع الآتية:

"فلما قال: "تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا"، ولما قال، أيضا: "ولا يحيطون بشيء من علمه إلَّا بما شاء"، علمنا أنَّ القول الثاني قد خص القول الأوَّل..." (٤/ ٨)

"إنَّا لما رأينا طبائع الناس وشهواتهم، من شأنها التقلُّب إلى هلكتهم وفساد دينهم، وذهاب دنياهم، وإن كانت العامة أسرع إلى ذلك من الخاصّة، فكلٌّ لا تنفكُّ طبائعهم من حملهم على ما يرديهم، ما لم يردوا بالقمع الشديد في العاجل، من القصاص العادل، ثمّ التنكيل في العقوبة على شرِّ الجناية، وإسقاط القدر، وإزالة العدالة، مع الأسماء القبيحة، والألقاب الهجينة، ثمّ بالإخافة الشديدة والحبس الطويل، والتغريب عن الوطن، ثمّ الوعيد بنار الأبد، مع فوت الجنة..." (٤/ ٣٠٠)

النتائج الخاصّة بـ لمّا:

- يعد النمط الأوَّل أكثر الأنماط ورودًا وهذا بنسبة ٨٤,٣١٪،ولا ضير؛ إذ يعدُّ هذا النمط هو النمط الشائع عند النُّحاة لاستعمال **لمّا**.
- يعد النمط الثاني ليس بعيدًا عن الأوَّل؛ إذ سبق المضارع فيه بـ **لم**.
- في النمط الثالث زيدت **أنْ** بعد **لمّا** وهذا من مواضع زيادتها المطردة -كما سيأتي-، واستعمالها مزيدة هنا من أجل تحصين الربط السببي الذي تؤديه "وتخليصًا له من الاحتمال العارض في الظرف إذ ليس الظرف من الزمان بحرف فيكون قد جاء لمعنى"[(١)].
- قد حذف جواب **لمّا** لعلتين: أحدهما: العطف على **لمّا** والفعل **لمّا** وفعل آخر؛ ولهذا فكلٌ منهما تطلب جوابًا، وقد ذُكر جوابًا واحدًا لذلك، وفي مثل هذا احتمالان: أن يكون الجواب للأول لتقدُّمه، أو للثاني لقربه، والأجود منهما أن يقال: إنَّه جواب للثاني؛ لقربه منه، ولكنَّه سدَّ مسدَّ الجواب المحذوف؛ والأخرى: طول الجملة ودلالة السياق عليه.

(١) بدائع الفوائد، ابن القيِّم (١/ ٩٣)

- وظّفها الجاحظ للربط السببي على مستوى الجملة بعكس **إنْ**؛ إذ استعملها في رسائل المناظرات للربط على مستوى النص.

سادسًا: لو:

وقد وردت في **رسائل الجاحظ** في ثلاثمئة وتسعة وعشرين موضعًا، وفق الأنماط الآتية:

أوَّلًا: الأنماط التي ذكر فيها الفعل والجواب:

النمط الأوَّل: لو + فعل ماض مثبت + لام الجواب + فعل ماض مثبت: في مئة وثمانية وثلاثين موضعًا، منها قوله:

"ولو كان تقصيرًا لكنت سببي إليه..." (٣/ ٧٥)

النمط الثاني: لو+ فعل ماض مثبت + فعل ماض مثبت: في تسعة وأربعين موضعًا، منها قوله:

"ولو أراد، أنطق الناس أن يؤلف من هذا الضرب سورة واحدة، طويلة أو قصيرة..." (٣/ ٢٢٩)

النمط الثالث: لو+ فعل ماض مثبت + لام الجواب + ما النافية + فعل ماض: في ستة وعشرين موضعًا، منها قوله:

"وبعد، فلو كان خبر المنجمين في الصواب كخبر الأنبياء والمرسلين عليهم السلام الذي هو حجَّة، لما كان خبر المنجِّمين حجَّة..." (٣/ ٢٦٣)

النمط الرابع: لو+ فعل ماض مثبت + لا النافية + فعل مضارع: في موضعين، هما:

"بذلك أنَّه لو كان ابن أكثر من ذلك بسنتين وثلاث وأربع، لا يكون إسلامه إسلام المكلف العارف بفضيلة ما دخل فيه، ونقصان ما خرج منه..." (٤/ ٢١)

"وعلم أنَّ فضل ما بينه وبين أبي بكر في صلاحهم لو كانوا أقاموه، لا يعادل التغرير بالدين، ولا يفي بالخطار بالأنفس؛ لأنَّ في الهيج البائقة، وفي فساد الدين فساد..." (٤/ ٣١٦)

النمط الخامس: لو+ فعل ماض مثبت + ما النافية + فعل ماض: في ثمانية مواضع، منها قوله:

"ولو جاز أن يكون الفتح فعل الإنسان من غير أن يكون أراده وقصد إليه، ما كان بين فعل الإنسان وبين فعل غيره فرق..." (٤/ ٥٠)

النمط السادس: لو+ ماض مثبت + اللَّام + قد + ماض: في قوله:

"ولو ألجئنا إلى قدر قوَّتنا ومبلغ خواطرنا، ومنتهى تجاربنا، بما أدركته حواسُّنا، وشاهدته نفوسنا، لقد قلت المعرفة وقصرت الهمة وضعفت المنَّة، فاعتقم الرأي ومات الخاطر، وتبَّلد العقل، واستبدَّ بنا سوء العادة..." (٤/ ٢٩٧)

النمط السابع: لو+ فعل ماض مثبت + لم + فعل مضارع: في واحد وعشرين موضعًا، منها قوله:

"وقالوا: ولو كان قوله: "وليطوَّفوا بالبيت العتيق" يراد به تقادم البنيان، وما تعاوره من كرور الزمان، لم يكن فضله على سائر البلدان..." (٤/ ١١٩)

النمط الثامن: لو+ أنَّ ومعموليها+ فعل ماضٍ مثبت: في أربعة مواضع، منها قوله:

"ولو أنَّ رجلا قال لفلان: عندي جذر مائة، كان عندنا كقوله: لفلان عشرة..." (٤/ ٥)

النمط التاسع: لو+ أنَّ ومعموليها+ لام الجواب+ فعل ماضٍ مثبت: في تسعة مواضع، منها قوله:

"ولو أنَّ يأجوج ومأجوج كاثروا من وراء النهر منا، لظهروا عليهم بالعدد..." (١/ ١٨)

النمط العاشر: لو+ أنَّ ومعموليها+ لام الجواب+ ما النافية+ فعل مضارع: في ثلاثة مواضع، منها قوله:

"فلو أنَّه كان معهم من الفضل ما يبهر العقول، ومن المجد ما تحرج فيه العيون، لما أصلح طبائعهم الشيء الذي يفسد جميع الأمة..." (٣/ ٤٦)

النمط الحادي عشر: لو+ أنَّ ومعموليها+ ما النافية+ فعل مضارع: في موضعين، هما:

"ولو أنَّ أوزن الناس حلمًا ملك لسانه وحصن سرَّه وقلَّل لفظه، ما قدر على أن يملك لحظ عينيه، وسحنة وجهه، وتغير لونه، وتبسُّمه أو قطوبه..." (١/ ١٤٨)

"ولو أنَّ إنسانًا ادَّعى مثل ذلك لأخيه جعفر، أو لعمِّه حمزة أو العباس – وهو حليم قريش – ما كان عندنا في أمره إلَّا مثل ما عندنا فيه..." (٤/ ٢٤)

النمط الثاني عشر: لو+ لم + فعل مضارع + لم + فعل مضارع: في ثلاثة مواضع، منها قوله:

"ولو لم يكن ذلك وكان قد اعتاص على البرهان في إظهاره، واحتجت في الإبانة عنه إلى ذكر ضدَّه، ونظيره وشكله، لم أحتشم من الاستعانة بكلِّ ذلك..." (٤/ ٢٧٤)

النمط الثالث عشر: لو+ لم + فعل مضارع + ماض مثبت: في موضعين، هما:

"إلى آخر أن يسميه حمارًا؛ لأنَّ الناس لو لم يخالف بين عللهم في اختيار الأسماء والكنى، جاز أن يجتمعوا على شيء واحد، وكان في ذلك بطلان العلامات، وفساد المعاملات..." (٣/ ٢٤٥)

"ولو لم يعرف ذلك إلَّا بعبد الله بن العباس وحده، كان ذلك كافيًا، وبرهانًا شافيًا..." (١/ ٣٠٠)

النمط الرابع عشر: لو+ لم + فعل مضارع + لام الجواب + ماض مثبت: في ستّة وعشرين موضعًا، منها قوله:

"فلو لم يكن لإبليس شَرَك يقتل به، ولا علم يدعو إليه، ولا فتنة يستهوي بها إلَّا القيان، لكفاه..." (٢/ ١٧٥)

النمط الخامس عشر: لو+ لم + فعل مضارع + لام الجواب + ما النافية + فعل ماض: في ثلاثة مواضع، منها قوله:

"فلو لم يكن يوسف عليه السلام أظهر فضله بالكلام، والإفصاح بالبيان، مع محاسنه المونِقة، وأخلاقه الطاهرة، وطبائعه الشريفة، لما عرف العزيز فضله، ولا بلغ تلك المنزلة لديه..." (٤/ ٢٣٤)

النمط السادس عشر: لو+ لم + فعل مضارع + ما النافية + فعل ماض: في موضعين، هما:

"لأنَّ الفتح نفسه لو لم يكن معه قصد وإرادة، ما كان فعل الفاتح..." (٤/ ٥٠)

"ولو لم يكن للفضيلة من بين أقرانه مستحقًا، وبها مخصوصًا، ما خصَّه الرسول صلى الله عليه وسلم بالدعوة المستجابة، ولما خصَّه بعلم الكتاب والسنَّة وهما أرفع العلم..." (١/ ٣٠٠)

النمط الرابع عشر: لو+ لم + مضارع + ماضٍ مثبت: في قوله:

"أنا لو لم نقم إمامًا واحدًا، كان الناس على ما وصفنا من التسرُّع إلى الشيء إذا طمعوا، والهرب إذا خافوا..." (٤/ ٢٨٧)

النمط الخامس عشر: لو+ مضارع + لم + مضارع: في قوله:

"ولو يعلم هؤلاء المسمون فرق ما بين الحلال والحرام، لم ينسبوا إلى الكَشْخ أهلها..." (٢/ ١٨٠)

النمط السادس عشر: لو+ لم + مضارع + اللَّام + قد + ماض: في ثلاثة مواضع، منها قوله:

"ولو لم يكن في ذلك إلَّا الشغل عن خوض الخائضين، والبعد عن لهو اللاهين، ومن الغيبة للناس والتمنّي لما في أيديهم، لقد كان نفع ذلك كثيرًا، وموقعه من الدين والفرض عظيمًا..." (١/ ٢٤٩)

ثانيًا: الأنماط التي حذف فيها الجواب: وقد ورد في الحالات الآتية:

الأولى: حذف الجواب مع الحصر: في أربعة مواضع، منها قوله:

"فلو كنت إنَّما تفعل ذلك لأنَّك تلذُّ ضرب السياط ورضَّ العظام..." (١/ ٢٧٥)

الثانية: حذف الجواب إذا دل عليه السياق: وقد وقع في صورتين:

الأولى: دل عليه السياق حيث توسطت جملة **لو** بين الفعل ومفعوله، في قوله:

"ولم آمن أن لو تأخر الجواب عليك أكثر ممَّا تأخر، أن يسبق إلى قلبك أنِّي راضٍ باختيارك، ومسلِّم لمذهبك، وموافق لك فيه، مساعد لك عليه، ومنقاد معك فيما اعتقدت منه، ومجدٌّ في طلبه، ومحرِّض عليه ..." (٤/ ١٥٥)

الثانية: عندما عطف عليه بجملة مصدرة بـ **لو** وجوابها يصلح للفعل المذكور، وله صورتان:

الصورة الأولى: حذف الجواب من جملة واحدة، وعطف جملة مذكور جوابها:

"ولعلَّ قائلا أن يقول: لو كان اسم المتكبر قبيحًا، ولو كان المتكبر مذمومًا، لما وصف الله تعالى بهما نفسه، ولما نوَّه بهما في التنزيل حين قال: "الجبَّار المتكبر"، ثمّ قال: "له الأسماء الحسنى"..." (٤/ ١٧٤)

الصورة الثانية: حذف الجواب من جملتين متعاطفتين وعطف جملة أخرى عليهما مذكور جوابها:

"ولو زعم القوم على أصل مقالتهم أنَّ القرآن هو الجسم دون الصوت والتقطيع، والنظم والتأليف... فلو قالوا: لا يكون الشيء مخلوقًا في الحقيقة...فلو كانوا قالوا ذلك، لكانوا أصابوا في القياس، ووافقوا أهل الحق، وكانوا مع الجماعة، ولم يضاهوا أهل الخلاف والفرقة..." (٣/٢٩٠- ٢٩١)

وقد عزَّز هذا الحذف الربط المعنوي بين شرط **لو** وجواب **لو** المعطوفة؛ إذ يجوز أن يكون شرطًا لكل من الأفعال المذكورة، وقد تميَّز هذا الحذف بامتداده على صفحتين؛ ممَّا أعطى للنص مزيدًا من الربط والتماسك.

الرابعة: حذف الجواب مع واو الرغم: في تسعة مواضع، منها قوله:

"ولسنا نشكُّ أنَّ ناسا ينتابون المواضع التي يباع فيها النوى المنقع، فيستنشقون تلك الرائحة، يعجبون بها ويلتمسونها، بقدر فرارنا نحن من مواقع النوى عندنا بالعراق، ولو كان من النوى المعجوم ومن نوى الأفواه..." (٤/ ١٣٠)

الخامسة: حذف الجواب عند اجتماع لو مع القسم مع عدم تقدم ما يطلب خبرًا: في سبعة مواضع، منها قوله:

"ولعمري أن لو كان هجومه عليها قبل المعرفة بمجاري وتصريف الدهور وعلاقات الدنيا، والتجربة لتصريف أمورها، لما وصل إلى معرفة صدق النبي إلَّا بعد مقدمات كثيرة، وترتيبات منزلة..." (٤/ ٦١-٦٢)

ومن المسائل التي تجدر الإشارة إليها ورود جواب لو متصلًا بـ الفاء وهذا على غير القياس، في قوله:

"ولو أنَّ رجلا ابتنى دارا يتممها ويكملها ببغداد، أو بالكوفة، أو بالأهواز، وفي موضع من هذه المواضع، فبلغت نفقتها مائة ألف درهم، فإنّ البصريّ إذا بنى مثلها بالبصرة لم ينفق خمسين ألفًا..." (٤/ ١٤٤-١٤٥)

ولعلَّ هذا لإرادة معنى الإتباع المقترن بمهلة الموجود في **الفاء**، لأنَّ بلوغ النفقة على الباء إلى حدٍ ما لا يكون تاليًا له مباشرة فلابد من مدة زمنيَّة بينهما.

النتائج الخاصّة بـ لو:

- ذكر فعل وجواب **لو** في ستّة عشر نمطًا وأكثرها النمط الأوَّل بنسبة ٤١,٩٤٪، ويعد هذا النمط هو النمط الشائع لاستعمالها عند النُّحاة.
- دلّت **لو** في كلّ المواضع على ما كان سيقع لوقوع غيره.
- صرفت الفعل التالي لها إلى المضي.
- ربطت بين جملتي الفعل والجواب على حد امتناع الفعل واستلزامه للجواب.
- حذف جواب **لو** عندما دل عليه السياق.

سابعًا: نون التوكيد المشدَّدة:

لم تتصل في **رسائل الجاحظ** إلَّا بالمضارع المسبوق بـ **لا** الناهية في عشرين موضعًا، منها قوله:

"ثم لا يزهدنَّك فيه أن ترى منه خلقًا أو خلقين تكرههما..." (١/ ١٢٢)

النتائج الخاصّة بـ نون التوكيد:

- يعد ورودها مع الفعل المنهي عنه من المواضع التي يكثر ورودها فيها كما ذكر النُّحاة.
- قد بني المضارع بعدها.
- دلّت على التوكيد في كلّ المواضع.
- عدم اتصالها بفعل الأمر في **رسائل الجاحظ** يتوافق مع الاستعمال القرآني؛ إذ لم تتصل بفعل الأمر "لا في رواية حفص فحسب، وإنَّما ذلك في القراءات الأربع عشرة مع كثرة أفعال الأمر في القرآن؛ إذ قد بلغت مواضعها ١٨٤٨ موضع"[1]، وتواتر هذه النتيجة في النثر يدفعنا لإعادة النظر في القول باتصالها بفعل الأمر.

ثامنًا: هلّا:

وردت **هلّا** في موضع واحد في قوله:

"فهلَّا جلدوا أنفسهم؟..." (٤/ ٢٧٧)

وفي هذا الموضع تليت بفعل ماضٍ، وقد دلّت على التحضيض.

تاسعًا: واو الرغم:

وردت في الجملة الشرطية المصدرة بـ **إنْ** في خمسة وثمانين موضعًا.

وردت في الجملة الشرطية المصدرة بـ **لو** في تسعة مواضع.

(١) دراسات لأسلوب القرآن الكريم، عبدالخالق عضيمة (٣/ ٤٤٦)

النتائج العامة للحروف المتفرّقة المختصَّة بالأفعال:

وفي ضوء الحروف المتفرّقة المختصَّة بالأفعال في رسائل الجاحظ نجد أنَّها قد وردت وفق النسب الآتية:

أوَّلًا: أَلَا: وردت بنسبة ٢,٣٠٪.

ثانيًا: أنْ المصدرية: وردت بنسبة ٢,١٠٪.

ثالثًا: السين: وردت بنسبة ٢,٣٧٪.

رابعًا: قد: وردت بنسبة ٦٠,٥٨٪.

خامسًا: لمّا: وردت بنسبة ٣,٣٦٪.

سادسًا: لو: وردت بنسبة ٢١,٦٨٪.

سابعًا: نون التوكيد المشدَّدة: وردت بنسبة ١,٣١٪.

ثامنًا: هلّا: وردت في موضع واحد فقط.

تاسعًا: واو الرغم: وردت بنسبة ٦,١٩٪.

وجد البحث أنَّ أكثر الحروف المتفرّقة المختصَّة بالأفعال ورودًا في **رسائل الجاحظ قد** ثمّ **لو**، ثمّ **لمّا** ممَّا يدل على كثرة دورانها في الكلام. كما وجد أنَّ هذه الحروف لم تخرج في دلالتها واستعمالها عمَّا قرَّره النُّحاة.

الفصل الثالث:

حروف المعاني المشتركة بين الأسماء والأفعال في رسائل الجاحظ.

ويتضمَّن هذا الفصل دراسة حروف المعاني المشتركة بين الأسماء والأفعال في **رسائل الجاحظ**، للكشف عن أنواعها وعدَّتها وتراكيبها ودلالتها، ويتوسَّل إلى هذه الغاية من خلال ثلاثة مباحث مرتَّبةً على النحو الآتي:

المبحث الأوَّل: حروف العطف.

المبحث الثاني: حروف الاستفهام.

المبحث الثالث: حروف متفرّقة.

المبحث الأوَّل:

حروف العطف

هذا المبحث سيتتبَّع حروف العطف ودلالاتها وما عُطف بها في **رسائل الجاحظ** وهي تسعة أحرف: **الواو، الفاء، ثُمّ، أو، أمْ، لكنْ، بلْ، لا**، دون **حتّى**؛ لعدم استعمالها حرفًا للعطف في الرسائل، وحروف العطف تشترك في أنَّها تشرّك بين المعطوفات من حيث اللفظ لا فرق بينها في هذا، أمّا من حيث المعنى فإنَّها تفترق؛ فإنَّنا نجد **الواو، والفاء، وثُمّ** تشرّك بينها في المعنى، ونجد **أو، أمْ، إمّا** تجعل المعنى لأحدها، ونجد **بلْ، ولكنْ** تجعل معنى التالي لها على خلاف معنى الأوَّل في النفي والإثبات، ونجد **لا** تثبت المعنى للأوَّل وتسقطه عن الثاني.

حروف العطف:

أوَّلًا: الواو:

دلّت الواو في جميع المواضع على الجمع المطلق، وقد عطف بها المفردات أسماءً وأفعالًا وكذلك الجمل على النحو الآتي:

أوَّلًا: عطف المفردات: عطفت الواو المفردات في اثني عشر ألف وسبعمئة وواحد وثلاثين موضعًا، على النحو الآتي:

أوَّلًا: عطف الأسماء: وقد ورد هذا في ثمانية آلاف ومئتين وواحد وثمانين موضعًا، منها قوله:

"وأقدار طبائع العوام والخواص، ليست مجهولة فيحتاج إلى الإخبار عنها بأكثر من التنبيه عليها؛ لأنَّكم تعلمون أنَّ طبائع الرُّسل فوق طبائع الخلفاء، وطبائع الخلفاء فوق طبائع الوزراء، وكذلك الناس على منازلهم من الفضل، وطبقاتهم من التركيب، في البخل والسخاء، والبلادة والذكاء، والغدر والوفاء، والجبن والنجدة، والصبر والجزع، والطيش والحلم، والكبر والتيه، والحفظ والنسيان، والعيِّ والبيان..." (٤/ ٤٣)

ثانيًا: عطف الأفعال: وقد ورد هذا في أربعة آلاف وأربعمئة وخمسين موضعًا، منها قوله:

"الجيِّد من الأنبذة يصفِّي الذهن ويقوِّي الركن، ويشدُّ القلب والظهر، ويمنع الضيم والقهر، ويشحذ المعدة، ويهيِّج للطعام الشهوة، ويقطع عن إكثار الماء، الذي منه جلُّ الأدواء، ويحدِّر رطوبة الرأس، ويهيِّج العطاس، ويشدُّ البضعة، ويزيد في النطفة، وينفي القرقرة والرياح، ويبعث الجود والسماح، ويمنع الطحال من العظم، والمعدة من التُّخَم، ويحدِّر المرَّة والبلغم، ويلطِّف دم العروق ويجريه، ويرقه ويصفِّيه، ويبسط الآمال، ويُنْعِم البال، ويغشِّي الغلظ في الرئة، ويصفِّي البشرة ويترك اللَّون كالعُصفُر، ويحدِّر أذى الرأس في المنخر، ويموِّه الوجه ويسخِّن الكلية، ويلذُّ النوم ويحلِّل التخم، ويذهب بالإعياء، ويَغذُو لطيف الغذاء، ويطيِّب الأنفاس، ويطرد الوسواس، ويُطرِب النفس، ويُؤنِس من الوحشة، ويسكِّن الروعة، ويذهب الحشمة، ويقذف فضول الصلب بالإنشاط للجماع، وفضول المعدة بالهُرَاع، ويشِّجعُ المرتاع ويزهِّي الذليل، ويكثِّر القليل، ويزيد في جمال الجميل، ويسلِّي الحزن ويجمع الذهن، وينفي الهمَّ، ويطرد الغمَّ، ويكشف عن قناع الحزم، ويولد في الحليم الحلم، ويكفي أضغاث الحلم، ويحثُّ على الصبر، ويصحِّحُ من الفكر، ويرجِّي القانط، ويرضي الساخط، ويغني عن الجليس، ويقوم مقام الأنيس وحتَّى إن عزَّ لم يقنط منه، وإن حضر لم يُصبَر عنه، يدفع النوازل العظيمة، وينُقِّي الصدر من الخصومة، ويزيد في المساغ، وسخونة الدماغ، وينشِّط الباه حتّى لا يزيف شيئاً

يراه، وتقبله جميع الطبائع، ويمتزج به صنوف البدائع، من اللذة والسرور، والنضرة والحبور. وحتَّى سِمِي شربه قصفاً، وسِمِّي فقده خسفاً..." (٤/ ٢٦٤- ٢٦٥)

ثانيًا: عطف الجمل: عطفت الواو الجمل في أربعة آلاف وتسعمئة واثنين وأربعين موضعًا سواء الجمل المتفقة في الخبريّة أو الانشائيّة أو الجمل المختلفة على النحو الآتي:

أوَّلًا: الجمل المتفقة في الخبريّة: وقد ورد هذا في أربعة آلاف وخمسمئة واثنين وتسعين موضعًا، منها قوله:

"زعم أنَّ القربة تستحقُّ بالأسباب الثابتة.. ونحن نرتبطها بالشعر المقفى... ونحن أصحاب التفاخر .... ولنا التعاير بالمثالب... ونحن أحفظ لأنسابنا، ...وبين القتال من جهة الرغبة والرهبة فرق... وهذا باب يتقدَّم فيه التالد القديم الطارف الحديث.." (١/ ٢١- ٢٢)

" وقال بعض الحكماء: ...وروي عن بعضهم أنَّه قال: ....وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ...وقال عيسى بن مريم: ...وقيل لعيسى بن مريم: ...وقال عمرو بن عبيد: .." (١/١٦١- ١٦٢)

ثانيًا: الجمل المتفقة في الانشائيّة: وقد ورد هذا في مئة وواحد وعشرين موضعًا، منها قوله:

"كتبت إليَّ – أيَّدك الله – تسألني عن الحسد ما هو؟ ومن أين هو؟ وما دليله وأفعاله؟ وكيف تعرف أموره وأحواله، وبِمَ يعرف ظاهره ومكتومه، وكيف يعلم مجهولة ومعلومة، ولمَ صار في العلماء أكثر منه في الجهلاء؟ ولمَ كثر في الأقرباء وقلَّ في البعداء؟ وكيف دبَّ في الصالحين أكثر منه في الفاسقين؟ وكيف خصَّ به الجيران من بين أهل جميع الأوطان..." (٣/ ٣)

" اجعلها... واعلم أنَّ خلقه كلّهم بريته ....، واعلم أنَّ الحكم في الآخرة هو الحكم في الدنيا ..." (١/٩٩- ١٠٠)

ثالثًا: الجمل المختلفة من حيث الخبريّة والإنشائية: وقد ورد هذا في مئتين وتسعة وعشرين موضعًا، منها قوله:

" وكيف يصبر من استكنَّ الحسد في قلبه على أمانيه. ولقد كان إخوة يوسف حلماء، ...وكيف لا تقرُّ أعين المحسودين بعد يوسف..." (٣/ ١٥)

" فاعرف الجنس من الصنف، والقسم من النصف.. وسنعرفك من جملة ما ذكرنا بابًا بابًا أنت إليه أحْوَجُ، وهو علينا أردُّ...." (٣/ ٥٦)

النتائج الخاصّة بـ الواو:

- دلّت **الواو** على الجمع المطلق في كلّ المواضع ممَّا يؤكد على أنَّه المعنى الوحيد لها ويضعف قول من ذهب إلى أنَّها تدلّ على الترتيب.
- عطفت بها المفردات أكثر من الجمل وهذا بنسبة ٧٢,٠٣٪.
- عطفت بها الأسماء أكثر من الأفعال وهذا بنسبة ٦٥,٠٤٪.
- عطفت بها الجمل المتفقة من حيث الخبريّة والإنشائية أكثر من المختلفة وهذا بنسبة ٩٥,٧٣٪، ممَّا يدل على أنَّ الأكثر فيها العطف بها في الجمل المتفقة من حيث الخبريّة والإنشائية.

ثانيًا: الفاء:

عطفت الفاء المفردات والجمل على النحو الآتي:

أوَّلًا: عطف المفردات: وقد دلّت فيه على الترتيب والتعقيب، كما عطفت كلًا من الأسماء والأفعال، على النحو الآتي:

أوَّلًا: عطف الأسماء: وهذا في ستّة عشر موضعًا، منها قوله:

"قال: ثمّ إنَّ النساء إلى اليوم من بنات الخلفاء وأمّهاتهن، فمن دونهنَّ يطفن..." (٢/ ١٥١)

ثانيًا: عطف الأفعال: وهذا في أربعمئة وتسعة وثمانين موضعًا، منها قوله:

"وقد قال الله جل وعزّ، وهو يريد إذْكار الناس نعمهُ السابغة، وأياديه المجلَّلة حين عدَّد عليهم، فقال: ..." (٢/ ٣٥٦)

ثانيًا: عطف الجمل: وقد عطف فيه الجمل المتفقة في الخبريّة والإنشائية وكذلك المختلفة وفي جميع المواضع دلّت على الترتيب والتعقيب، أمّا دلالتها على السببية فقد تفاوتت على النحو الآتي:

أوَّلًا: جمل متفقة في الخبريّة: دلالة الفاء على السببية فيها وردت بصورتين:

الأولى: جمل متفقة في الخبريّة وقد دلّت فيها الفاء على السببية: وهذا في ألف وثمانية وتسعين موضعًا، منها قوله:

"وتوكيد المبشر يحتاج من الأعلام إلى دون ما يحتاج إليه المبتدئ لأصل الملة، والمظهر لفرض الشريعة، الناقل للناس عن الضلال القديم، والعادة السيئة، والجهل الراسخ. فلذلك التقى بشهرة أعلامه، وشرف آياته..." (٤/ ٣٢٣)

الثانية: جمل متفقة في الخبريّة ولم تدلّ الفاء فيها على السببية: وهذا في مئتين وثلاثة مواضع، منها قوله:

"فإن كان الله تعالى –في الحقيقة– يجوز أن يكون مرئيًا....فإن قالوا: لأنَّ ذلك كان لا يجوز في الدنيا... فإن قالوا:...فإن قالوا...قلنا: فإن كان الأمر....فإن قالوا: إنما غضب الله عليهم... فإن قالوا:... فإن قالوا: ... فأما إذا كان أحدنا ذا عين، والآخر ليس ذا عين.." (٤/ ١٠)

ثانيًا: جمل متفقة في الانشائيّة: وقد دلّت فيها **الفاء** على السببية في موضع واحد في قوله:

"اعلم أنَّ الوكيل، والأجير، والأمين، والوصي، في جملة الأمر، يجرون مجرىً واحدًا. فأيشٍ لك أن تقضي على الجميع بإساءة البعض..." (٤/ ١٠٠)

ثالثًا: **جمل مختلفة في الخبريّة والإنشاء ودلّت فيها الفاء على السببية: وهذا في اثنين وتسعين موضعًا، منها قوله:**

"قالوا: ونحن أشكل بالرعية، وأقرب إلى طباع الدهماء؛ وهم بنا آنس وإلينا أسكن، وإلى لقائنا أحنُّ؛ ونحن بهم أرحم، وعليهم أعطف، وبهم أشبه. فمن أحقُّ بالأثرة، وأولى بحسن المنزلة ممن هذه الخصال..." (١/ ٢٥)

النتائج الخاصّة بـ الفاء:

- التزمت **الفاء** الدلالة على الترتيب والتعقيب في كلّ المواضع سواء في عطف الجمل أو المفردات.
- في عطف المفردات عطفت الأفعال أكثر من عطفها للأسماء؛ وهذا بنسبة ٩٦,٨٣٪.
- في عطف الجمل عطف الجمل المتفقة في الخبريّة أكثر من غيرها؛ وهذا بنسبة ٧٨,٧٦٪.

- في عطف الجمل تفاوتت دلالة **الفاء** على السببية ممَّا يضعف رأي من ذهب إلى أنَّه معنى ملازم لها؛ وإن كانت دلالتها على السببية أكثر من مفارقها؛ وهذا بنسبة ٨٥,٤٣٪.
- عطفت الجمل المختلفة في الانشائيّة والخبرية ممَّا يضعف رأي من منعه.

ثالثًا: ثمّ:

عطفت ثمّ كلّ من المفردات والجمل على النحو الآتي:

أوَّلًا: عطف المفردات:

الأوَّل: عطف الأسماء: وقد دلّت فيه على ما يأتي:

الأوَّل: الترتيب المعنوي: في ثمانية مواضع، منها قوله:

"وأولى الأمور بنا ذكر خصال مكة، ثمّ خصال المدينة..." (٤/ ١١٠)

الثاني: الترتيب الذكري: في ستّة عشر موضعًا، منها قوله:

"وجدنا الأوائل كانوا يتخذون لأبنائهم من يعلمهم الكتابة والحساب، ثمّ لعب الصَّوالجة، والرمي في التَّنْبُوك، والمجثَّمة، والطير الخاطف، ورمي البنجكاز. وقبل ذلك الدَّبُوق والنفخ في السَّبَطانة، وبعد ذلك الفروسيَّة، واللعب بالرِّماح والسيوف، والمشَاوَلة والمنازلة والمطاردة، ثمّ النجوم واللحون.." (٣/ ٣٢)

الثاني: عطف الأفعال: وقد دلّت فيه على ما يأتي:

أوَّلًا: الترتيب المعنوي: في ثلاثة وسبعين موضعًا، منها قوله:

"وإن بلغ الناس واديًا فازدحموا على مسلكه أو على قنطرته، بطَنَ برْذُونه فأقحمه ثمّ طلع من الجانب الآخر كأنَّه كوكب..." (١/ ٥٠)

ثانيًا: الترتيب الذكري: في عشرين موضعًا، منها قوله:

"كما أنَّك لا تجد من وراء بلاد مصر إلَّا مئناثًا، ثمّ لا ترى فيهن مُفِذًّا بل لا ترى إلَّا التُّؤام ومن البنات..." (٤/ ١٢٣)

ثالثًا: التعجب: في قوله:

"وبعد، فأيُّما أملح وأحسن، وأشهى وأغنج، أن يغنيك فحل ملتفُّ اللحية، كثُّ العارضين، أو شيخ منخلع الأسنان، مغضَّن الوجه، ثمّ يغنيك إذا هو تغنَّى بشعر ورقاء بن زهير.." (٣/ ١٤٤)

من المسائل المتعلقة بعطف الأفعال ما يأتي:

أوَّلًا: عطف الأفعال مختلفة الزمن: وقد وردت بعدَّة صور، هي:

الأولى: عطف الماضي على المضارع الذي يعد ماضٍ لفظًا لاتصاله بـ لم: في ثلاثة مواضع، منها قوله:

"لأنَّ من لم يعلم في أيَّ الضربين سخِط الله، وفي أي نوع رضاه، ثمّ ركِب السُّخط أو أتى الرِّضا لم يكن ذلك منه إلَّا على اتفاق..." (٤/ ٤٢)

عطف المضارع على الماضي المتصل بـ قد: في قوله:

"فكيف وقد أكرمتني جديدا، ثمّ تريد أن تهينني خلقا، وقويت عظمي أغلظ ما كان، ثمّ تريد أن توهنه أرق ما كان..." (١/ ٢٧٣)

الثانية: عطف المضارع الذي يعد ماضٍ لفظًا لاتصاله بـ لم على الماضي: في خمسة مواضع، منها قوله:

" لأنَّ النفس لو أدركت كلّ بغية، وأوفت كلّ غاية، وفتحت كلّ مستغلق، واستثارت كلّ دفين، ثمّ لم يطعها اللسان بحسن العبارة واليد بحسن الكتابة..." (٤/ ٣٨)

الثالثة: عطف المضارع المتصل بـ لا النافية على الماضي: في موضعين، هما:

"إلَّا وقف عليه ولاحاه وصوبه وخطأه ثمّ لا يرضى حتّى يتولى من أرضاه..." (٤/ ٤١)

"وكيف يرجو خيرك من رآك تطاول أبا جعفر وتحاسنه، وتنافره وتراهنه، ثمّ لا تفعل ذلك إلَّا في المحافل العظام..." (٣/ ٦٧)

رغم أنَّ **لا** الداخلة على المضارع تبعده عن الحال فضلًا عن الماضي إلَّا أنَّ ثمّ سهلت الربط لأنَّ فيها تراخي سدّ الفجوة الزمنيّة بين الماضي والاستقبال.

الرابعة: عطف المضارع المتصل بـ لام الأمر على فعل أمر صريح:

"فاعرف لأهل البلاء – ممن جرت بينك وبينه مودة أو حرمة، ممن فوقك أو دونك أو نظرائك – أقدارهم ومنازلهم، ثمّ لتكن أمورك معهم على قدر البلاء والاستحقاق..." (١/ ١٠٦)

ثانيًا: عطف الفعل المضارع على اسم الفاعل، في قوله:

" زعم أهل الكوفة أنَّ البصرة أسرع الأرض خرابًا، وأخبثها ترابًا، وأبعدها من السماء وأسرعها غرقًا، ومفيض مائها البحر، ثمّ يخرج ذلك إلى البحر الأعظم..." (٤/ ١٣٩)

الثاني: عطف الجمل:

أوَّلًا: عطف الجمل الاسميّة: وقد دلّت فيه على ما يأتي:

الأوَّل: الترتيب المعنوي: في ثلاثة مواضع، منها قوله:

" وذلك أنَّ الرجل منهم كان يقرض صاحبه لإرفاقه، ليعود إليه مع أصل ماله اليسير من ربحه، ثمّ هو مخاطر به إلى أن يعود في ملكه..." (٣/ ٣٤٤)

الثاني: الترتيب الذكري: في خمسة مواضع، منها قوله:

"ومن أكبر أسباب العلم كثرة الخواطر ...ثم من نفع أسبابه الحفظ لما قد حصل، والتقييد لما ورد.." (٣/ ١٠٤)

الثالث: التعجب:

" فهذه جمل دلائل هؤلاء القوم. ورئيسهم بشر بن المعتمر. ثمّ هم بعد ذلك مختلفون في درك الحواس إلَّا ما اعتمد إدراكه بعينه وقصد إليه بالفتح والإرادة" (٤/ ٥٠)

ثانيًا: عطف الجمل الفعليّة: وقد دلّت فيه على ما يأتي:

الأوَّل: الترتيب المعنوي: في ثمانية مواضع، منها قوله:

" بعثه الله إلى أمة وقد علم أنَّهم يزدادون مع كفرهم المتقدِّم من قبل ذلك الرسول كفرًا، بجحدهم له، وإخراجهم إيَّاه، وقصدهم قتله، ثمّ لا يكون ذلك مانعًا له من الإرسال إليهم والاحتجاج به عليهم، لمكان علمه أنَّهم يزدادون فسادًا..." (٤/ ٢٨٨)

الثاني: الترتيب الذكري: في سبعة مواضع، منها قوله:

"ويجتني مولاها ثمرة ما غرسوا ويتملَّى به دونهم، ويكفي مؤونة جواريه. فالذي يقاسيه الناس من عيلة العيال، ويفكرون فيه من كثرة عددهم وعظيم مؤونتهم، وصعوبة خدمتهم، هو عنه بمعزل... ثمّ يستقرض إذا أعسر ولا يردُّ، ويسأل الحوائج فلا يُمنع، ويلقي أبدًا بالإعظام..." (٢/ ١٧٧)

الثالث: التعجب: في موضعين، هما:

"وقد علمتم ما صنع أبو بكر في ماله، وكان المال أربعين ألفًا، فأنفقه على نوائب الإسلام وحقوقه، ولم يكن ماله ميراثًا لم يكدّ فيه، فهو غزير لا يشعر بعسر اجتماعه، وامتناع رجوعه، ولا كان هبة... ثمّ لم يكن خفيف الظهر، قليل النسل، قليل العيال، فيكون قد جمع اليسَارَين؛ لأنَّ المثل الصحيح السائر المعنى: " قلَّة العيال أحد اليسارين" (٤/ ٣٣)

""وقد علمنا أنَّ القمر، وهو الذي يضرب به الأمثال... ثمّ مع ذلك يخرق في السرار، ويتشاءم به في المحاق...ثم لا يعتبر ذلك إلَّا عند كماله، وليلة فخره واحتفاله..." (٣/ ٩٠)

الرابع: الاستمرار: في موضعين، هما:

" ولم يكن يعدم من الخليفة ومن بمنزلته في القدرة والتأتِّي أن تقف على رأسه جاريةٌ تذبُّ عنه وتروحه، وتعاطيه أخرى في مجلس عام بحضرة الرجال. ...ثم لم يزل للملوك والأشراف إماءٌ يختلفن في الحوائج.." (٢/ ١٥٥)

""حتّى كان الذي كان من قتل عثمان رضي الله عنه وما انتهك منه ..ثم مازالت الفتن متَّصِلَة، والحروب مترادفة.." (٢/ ٧)

ومن المسائل المتعلقة بعطف الجمل ما يأتي:

عطف جمل مختلفة من حيث الاسميّة والفعلية: وقد دلّت فيه على ما يأتي:

الأوَّل: الترتيب المعنوي: في سبعة مواضع، منها قوله:

" قد قلنا في الخصال التي بانت بها قريش دون العرب...ثم وجدنا فيهم ثلاثة رجال...ثم وجدنا ثلاثة رجال بني أعمام، في زمان واحد...ثم الذي تهيأ واتَّفق... ثمّ الذي تهيَّأ لبني أبي طالب الأربعة: أنَّ أربعة إخوة كان بين كلّ واحد منهم وبين أخيه في الميلاد عشر سنين سواء، وهذا عجب..." (٤/ ١٢١)

الثاني: الترتيب الذكري: في موضعين، هما:

" فمتى وجدت أمرًا ووجدت الخليقة عاجزة عنه فهي حجة. ثمّ لا عليك جوهرًا كان أو عرضًا، أو موجودًا أو متوهمًا معقول..." (٣/ ٢٦١)

"فمن ذلك قول الأنصار.. ثمّ لم يكن قولهم:" منا أمير ومنكم أمير..." (٤/ ٢٩٠)

الثالث: التعجب: في أربعة مواضع، منها قوله:

"وهو الطالب غير المطلوب، ومن كان كذلك فإنَّما يأخذ العفو من قوته، ولا يحتاج إلى مجهوده، ثمّ مع ذلك لا يقوم له شيء، ولا يطمع فيه أحد، فما ظنُّك بمن هذه صفته..." (١/ ٥٢)

الرابع: الاستمرار: في موضعين، منهما:

" وتلك المحادثة كانت سبب الوصلة بين جميل وبثينة، وعفراء وعروة، وكثير وعزة، وقيس ولبنى، وأسماء ومُرقِّش، وعبد الله بن عجلان وهند. ثمّ كانت الشرائف من النساء يقعدن للرجال للحديث، ولم يكن النظر من بعضهم إلى بعض عارًا في الجاهلية، ولا حرامًا في الإسلام..." (٢/ ١٤٩)

ومن مسائل العطف بـ ثمّ:

العطف على محذوف، وله صورتان:

الصورة الأولى: الاكتفاء بلفظ نعم في قوله:

"نعم، ثمّ لا تحكم له بذلك حتّى تكون حاله مقصورة على محبتك.." (١/ ٢٣٩)

الصورة الثانية: في بعض الفصول التي نقلها المحقق الشيخ عبد السلام هارون عن عبيد الله بن حسان: في أربعة مواضع، منها قوله:

"ثم إنَّ الذي تقدَّمه صلى الله عليه وآله من البشارات في الكتب المتقادمة..." (٣/ ٢٦٩)

النتائج الخاصّة بـ ثمّ:

- عطف بها المفردات أسماءً وأفعالًا كما عطف بها الجمل متماثلة من حيث الاسميّة والفعلية أو مختلفة.
- عطف المفردات أكثر من عطف الجمل، وهذا بنسبة ٧٨٪.

- نجد دلالة **ثمّ** على الترتيب المعنوي والذكري قد وقع في المفردات والجمل، وكذلك التعجب، ولكن أكثر دلالتها على الترتيب المعنوي وهذا بنسبة ٧٢,٦٦٪، وأكثر وقوعه في عطف الأفعال.
- من المعاني التي رآها البحث لـ **ثمّ** دلالتها على استمرار الحدث وعدم حصره لمدة معينة، ولعلَّ التراخي الذي فيها أعطاها هذه القدرة.
- وظَّف الجاحظ **ثمّ** في ربط الجمل والفقرات والنصوص حتّى امتدت بعض الروابط لصفحات.

رابعًا: أو:

جاء العطف بها في الرسائل في نمطين:

الأوَّل: عطف المفردات: وقد وردت في عطف الأسماء والأفعال على النحو الآتي:

أوَّلًا: عطف الأسماء: وقد وردت في عطف الأسماء في سياقي الخبر والطلب على النحو الآتي:

أوَّلًا: في سياق الخبر: وقد دلّت على معينين، هما

الأوَّل: الشك: في ثمانية مواضع، منها قوله:

" وجميع تلك الأخلاط من الجند قد رموا بنفوسهم إلى الأرض إلَّا ثلاثة أو أربعة..." (١/ ٦١)

الثاني: الجمع: في قوله:

"وما لهم لا يفعلون ذلك وأكثر منه، وقضاتنا أو عامَّتهم يرون أنَّ دم الجاثَلِيق والمطران والأسقف..." (٣/ ٣١٨)

ثانيًا: في سياق الطلب: وقد دلّت فيه على المعاني الآتية:

أوَّلًا: التخيير: في ستّة مواضع، منها قوله:

" فليرسم حججهما، ويصوِّر صورهما، في كتاب مفرد أو لفظ مسموع، ثمّ يعرضهما على جهابذة المعاني.." (١/ ٢٤٦)

ثانيًا: الشك: في ثلاثة مواضع، منها قوله:

" لا يخلو أمركم من أحد وجهين: إما أن تكونوا صادقين على أنفسكم، **أو** كاذبين عليها؟" (٤/ ٥٦)

ثالثًا: خلا السياق من الشك والتخيير والإبهام والإباحة في سياقي الخبر والطلب فدلّت على التفريق على النحو الآتي:

أوَّلًا: في سياق الخبر: في مئة وسبعة عشر موضعًا، منها قوله:

"إلَّا ما وجد الحواس بغتةً، وورد على النفوس في حال عجز أو غفلة، وكان هو القاهر..." (٤/ ٤٨)

ثانيًا: في سياق الطلب: في ثلاثة وعشرين موضعًا، منها قوله:

" والسادس اطرب إلى أن يسلمك إلى النوم الذي هو حياتك، أو أحد أَقْوَاتك...." (٣/ ١٢٣)

من مسائل عطف الأسماء لدى الجاحظ:

وإن كان الغالب في عطف المفردات عند الجاحظ عطف كلمة واحدة على كلمة واحدة، لكن هناك موضع عطف فيها كلمتين على كلمتين في قوله: "وإن كنت فيه غلقًا **أو** لعلته مستكثرًا..."(١/ ٢٩١)، فعطف على اسم وخبر **كان**.

ثانيًا: عطف الأفعال:

وقد دلّت فيه على التفريق في كلّ المواضع، على النحو الآتي:

أوَّلًا: في سياق الخبر في مئة موضع، منها قوله:

"وسألت عمن شرب الأنبذة **أو** كرهها من الأوائل، وما جرى بينهم فيها .." (٤/ ٢٦٢)

ثانيًا: في سياق الطلب: في ثلاثة عشر موضعًا، منها قوله:

"ومن هذا الذي يضعه أن يكون دونك، أو يهجى بالتسليم، ولم نعد إقراره إحسانًا، وخضوعه إنصافًا؟.." (٣/ ٨٢)

ثانيًا: عطف الجمل: وقد دلّت فيه على دلالتين، هما:

الأولى: التفريق:

"ولعلَّ طبيعة خانت، **أو** لعلَّ عادة جذبت، **أو** لعلَّ سهوًا اعترض، **أو** لعلَّ شغلًا منع..." (٣/ ١٠٧)

"يقال: لو لم يكن كذا لكان أحسن، **أو** لو كان كذا لكان أتمَّ..." (٣/ ٨٢)

"أم تغنيك جارية كأنَّها طاقة نرجس، **أو** كأنَّها ياسمينة، **أو** كأنَّها حُرِطت من ياقوتة.." (٣/ ١٤٤)

الثانية: الشك:

"سمعتك وأنت تريدني وكأنَّك تريد غيري، **أو** كأنَّك تشير علي من غير أن تنصني .." (١/ ٢٤٦)

ومن المسائل التي تنبغي الإشارة إليها في عطف الأفعال عند الجاحظ:

أوَّلًا: عطف المضارع المنصوب بـ أن المضمرة جوازًا بعد لام التعليل وفي موضع واحد ظهرت فيه أن وأضمرت في قوله:

"وإن ظننت أني إنَّما أريده لأطرف به معشوقة، أو لأستميل به هوى ملك، أو لأغسل به أوضار الأفئدة، أو أداوي به خطايا الأشربة، أو لأجلو به الأبصار العليلة، وأصلح به الأبدان الفاسدة، أو لأتطوع به.. أو لأنَّ أتفاءل برؤيته .. أو لأشفي به الظماء، أو أجعله إكسير أصحاب الكيمياء، أو لأنَّ أذكرك كلما رأيته، وأداعبك كلما قابلته أو لأجتلب به اليسر وأنفي العسر. ... أو لأنَّ أستدلّ به على خالص حبِّك..." (٣/ ١٢٦)

ثانيًا: عطف الأفعال مختلفة الزمن:

وإن كان قد غلب في عطف الأفعال عند الجاحظ بـ **أو** عطف الأفعال المتماثلة من حيث الزمن لكن ثمة مواضع عطف فيها أفعال مختلفة من حيث الزمن، وهي:

- **عطف الماضي المتصل بـ قد على المضارع المرفوع: في قوله:**

"ليس على ظهرها عالم إلَّا وهو يحنُّ إليه، **أو** قد صار إلى كنفه وتحت جناحه..." (١/ ٣١٨)

- **عطف الماضي على المضارع المنصوب بـ أن: في قوله:**

"وكما أنَّه سواء أن تحتال في ألَّا يكون لي مال قبل أن أملكه، **أو** احتلت في ألَّا يكون بعد أن ملكته..." (١/ ٢٥٦)

- **عطف الماضي لفظًا على المضارع المجزوم والذي سهل هذا اتصال المضارع بـ لم والتي جعلته ماضي معنى: في موضعين، هما:**

"ومن شأن الناس حب من اصطنع إليهم خيرًا **أو** جرى على يديه، أراد الله بذلك **أو** لم يرده..." (٣/ ٣١٠)

" وهل خلق الله تعالى الكفر وقدره **أو** لم يخلقه ولم يقدره لأحدهما.." (٤/ ٤٠)

النتائج الخاصّة بـ أو:

- عطف المفردات بها أكثر من الجمل؛ إذ لم تعطف الجمل سوى في أربعة مواضع.
- أكثر المعاني الواردة التفريق وهذا بنسبة ٤٣,٦٨٪؛ لأنَّ الجاحظ استعمل **أو** هنا لاستغراق الأنواع التي تقع عليها الأحكام التي يطلقها ممَّا ساهم في صنع الترسل الذي امتاز به والموسيقى الداخلية.

خامسًا: أمْ:

وردت أمْ بنوعيها متصلة ومنقطعة على النحو الآتي:

أوَّلًا: أمْ المتصلة: وردت عند الجاحظ لعطف المفردات والجمل، كما يأتي:

أوَّلًا: عطف المفردات: وقد وردت فيه لعطف الأسماء والأفعال على النحو الآتي:

أوَّلًا: الأسماء: وقد وردت فيه لعطف الأسماء بعد همزة الاستفهام: في ثلاثة وعشرين موضعًا، منها قوله:

"فانظر بأيِّ الأمرين قطعت عمرك؟ أبالحكمة أم باللغو؟..." (١/ ١٦٨)

ثانيًا: عطف الأفعال: وقد وردت فيه لعطف الأفعال الماضية والمضارعة بعد همزة الاستفهام: في موضعين، هما:

"أكان فيه وفي غيره، أم كان فيه دون غيره؟.." (٣/ ٣٥٠)

"أتدلّ على نصبٍ وسوء رأي وحقد وبغضاء ونفاق، وعلى يقين مدخول وإيمان ممزوج، أم تدلّ على الإخلاص وعلى حبِّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم والحفظ له، وعلى براءة الساحة وصحة السريرة؟.." (٢/ ١٤)

وقد حذفت همزة الاستفهام: في المواضع الآتية:

أوَّلًا: في عطف اسم على اسم: في قوله:

"والمصعد في لين أطرب أم المحْدِر في الشدَّة؟ لسهل ذلك ولسلَّمنا علمه لمن يدعيه، ولم نجاذب من يدَّعي دوننا معرفته..." (٤/ ٢٧٩)

ثانيًا: في عطف جملة اسميّة على مثلها: في قوله:

"وكما أصبحنا وما ندري أيَّ الأمور المتصلة برأسك أحسن، أم أيَّها أجمل وأشكل..." (٣/ ٨٩)

ثالثًا: في عطف جملة فعليّة على مثلها: في قوله:

"وما ندري في أيِّ الحالين أنت أجمل، وفي أيِّ المنزلتين أنت أكمل، إذا فرَّقناك أو إذا جمَّعناك، وإذا ذكرنا كلَّك أم إذا تأمَّلنا بعضك؟..." (٣/ ٨٩)

وقد حذفت همزة التسوية في المواضع الآتية: في موضعين، هما:

"ومن شأن الناس حبُّ من اصطنع إليهم خيرا أو جرى على يديه، أراد الله بذلك أو لم يرده، وبقصد كان أم باتفاق." (٣/ ٣١٠)

"وإنَّما على الحكيم أن يأتي الأمر الحكيم، عرف ذلك عارف أم جهله جاهل...." (٤/ ٢٨٨)

ثانيًا: أمْ المنقطعة:

وقعت **أمْ** المنقطعة في موضع واحد، في قوله:

" أم هل لك في مقالتك من إمام تأتم به، أو أستاذ تقتفى أثره، وتهتدي بهداه، وتسلك سننه.." (٤/ ١٦٦)

حيث دخلت على **هل** لذلك أرجح أنَّها دلّت على الإضراب فقط؛ لمنع توالي حرفان لمعنى واحد.

النتائج الخاصّة بـ أمْ:

- وردت **أمْ** المتصلة أكثر من المنقطة؛ إذ لم ترد سوى في موضع واحد.

سادسًا: إمّا:

في كلّ المواضع التي وردت فيها كررت وقرنت بـ **الواو** ولم ترد إلَّا في عطف الأسماء، والمعاني التي دلّت عليها على النحو الآتي:

أوَّلًا: الشك: في عشرة مواضع، منها قوله:

"حتّى يكلِّفه الله طاعته وتقديمه: إما للمصلحة والإشفاق من الفتنة كما ذكرنا وفسرنا، وإما للتغليط في المحنة وتشديد البلوى والكلفة.." (٤/ ٢١٤)

ثانيًا: التفصيل: في ستّة مواضع، منها قوله:

"بعد الفضائل التي أوجدناكها في البطون، إما قياسًا، وإما اختيارًا، وإما ضرورة، وإما اختبارًا وإما اكتسابًا، أو في كتاب منزل، أو سنة مأثورة، أو عادة محمودة..." (٤/ ١٦٦)

ومن المسائل التي تنبغي الإشارة إليها أنَّه قد استغني عنها بـ أو: في ثمانية مواضع، منها قوله:

"ودعاه عليٌّ رضوان الله عليه إلى عونه ونصرته، إمَّا يوم الجمل، أو يوم صفين..." (٤/ ٢٩٤)

النتائج الخاصّة بـ إمّا:

- لم ترد إلَّا في عطف الأسماء.
- قرنت بـ **الواو** في كلّ المواضع ممَّا يرجح زيادة **الواو** لتبقى عاطفة و لئلا يتوالى عاطفان.
- دلّت على الشك أكثر من دلالتها على التفصيل وهذا بنسبة ٦٢,٥٪.

سابعًا: لكنْ:

وردت في موضع واحد مسبوقة بنفي وغير مقترنة بـ الواو عاطفة لاسم مجرور على مفعول لأجله: في قوله:

"وليس دعائي لك بطول البقاء طلبًا للزيادة، لكنْ على جهة التعبد والاستكانة.." (٣/ ٦٩)

النتائج الخاصّة بـ لكنْ:

- وقوعها في موضع واحد غير مقترنة بـ **الواو** رغم طول الرسائل يرجح قلَّة استعمالها.

ثامنًا: بل:

وقد وردت في سياقي الإيجاب والنفي وقد عطفت المفردات أسماءً وأفعالًا على النحو الآتي:

أوَّلًا: في سياق الإيجاب: حيث أثبتت الحكم لما بعدها فيما يأتي:

أوَّلًا: عطف الأسماء: في ثلاثة مواضع، منها قوله:

"والمتكلم اسم يشتمل على ما بين الأزرقيِّ والغالي وعلى ما دونها من الخارجيِّ والرافضيِّ، بل على جميع الشيعة وأصناف المعتزلة، بل على جميع المرجئة وأهل المذاهب الشاذَّة..." (٤/ ٢٥٠)

ثانيًا عطف الأفعال: في ثلاثة مواضع، منها قوله:

"في العام الذي سمَّوه عام الجماعة وما كان عام جماعة، بل كان عام فرقة وقهر وجبرية وغلبة، والعام الذي تحلَّت فيه الإمامة ملكًا كسرويًا، والخلافة غصبًا وقيصريًّا، ولم يعدّ ذلك أجمع الضلال والفسق." (٢/ ١١)

ثانيًا: في سياق النفي: حيث قررت الحكم لما قبلها ونفته عما بعدها فيما يأتي:

أوَّلًا: عطف الأسماء: في خمسة مواضع، منها قوله:

"ولا كان فوق الملوك الأعاظم والجلة الأكابر، بل دون كثير منهم في الحسب وشرف الملك وكرم الرعيّة، ومنعة السلطان، والسطوة على الملوك." (٤/ ١٨٣)

ثانيًا: عطف الأفعال: في قوله:

"ومحال في التعارف، ومستنكر في التصادق، أن يكون الكلام أخصر عندهم، وأيسر مئونة عليهم، وهو أبلغ في تكذيبهم وأنقض لقوله، وأجدر أن يعرف ذلك أصحابه فيجتمعوا على ترك استعماله، والاستغناء به، وهم يبذلون مُهَجهم وأموالهم، ويخرجون من ديارهم في إطفاء أمره، وفي توهين ما جاء به، ولا يقولون، بل لا يقول واحد من جماعتهم: لمَ تقتلون أنفسكم، وتستهلكون أموالكم، وتخرجون من دياركم، والحيلة في أمره يسيرة، والمأخذ في أمره قريب؟ !" (٣/ ٢٧٤)

النتائج الخاصّة بـ بل:

- دلّت **بل** على الإيجاب والنفي بنسب متقاربة.
- ورد عطف الأسماء أكثر من عطف الأفعال وهذا بنسبة ٦٦,٦٪.

تاسعًا: لا:

لم يقع العطف بـ **لا** عند الجاحظ إلَّا في عطف المفردات والأسماء خاصّة: في واحد وعشرين موضعًا، منها قوله:

"إذا كان ذلك على التبنيّ والتربية والإبانة له بلطف المنزلة، والاختصاص له بالمرحمة والمحبَّة، لا على جهة الولادة، واتخاذ الصاحبة. .." (٣/ ٣٢٩)

ومن مسائل العطف بها: العطف على محذوف مقدر دل عليه السياق في قوله:

"لأنَّه سعي لا لحاجة، وإيضاع لا لبغية..." (١/ ١٥٦)

النتائج الخاصّة بـ لا:

- دلّت على نفي الحكم عما بعدها في كلّ المواضع.
- لم يرد العطف بها سوى للأسماء.

النتائج العامة لحروف العطف في رسائل الجاحظ:

وردت حروف العطف في **رسائل الجاحظ** على النحو الآتي:

أوَّلًا: الواو: أكثر الحروف ورودا وهذا بنسبة ٨٧,٨٣٪.

ثانيًا: الفاء: تلي **الواو** من حيث الورود؛ إذ وردت بنسبة ٩,٤٣٪.

ثالثًا: ثُمّ: تلي **الفاء** حيث وردت بنسبة ٠,٨٨٪.

رابعًا: أو: وردت بنسبة ١,٣٩٪.

خامسًا: أمْ: وردت بنسبة ٠,١٥٪.

سادسًا: إمّا: وردت بنسبة ٠,١١٪.

سابعًا: لكنْ: وتعد أقل حروف العطف ورودًا حيث وردت في موضع واحد فقط.

ثامنًا: بلْ: وردت في اثني عشر موضعًا فقط.

تاسعًا: لا: وردت بنسبة ٠,١٠٪.

ومن حيث الدلالة فقد وجد البحث أنَّ حروف العطف لم تخرج عمَّا قرَّره النُّحاة **فالواو** قد دلَّت على مطلق الجمع في جميع المواضع، و**الفاء** قد دلَّت على الترتيب والتعقيب لكَّ السببيَّة لم يكن معنىً ملازمًا لها، و**ثمَّ** تراوحت دلالتها بين الترتيب والتعجب وقد وجد البحث من المعاني الجديدة لها معنى الاستمرار وقد كان التراخي معنىً ملازمًا لها، و**أو** قد دلَّت على التفريق في أكثر المواضع، و**إمَّا** فد تراوحت في دلالتها بين الشكِّ والتفصيل، و**لكنْ** فقد دلَّت على الاستدراك، و**بلْ** فقد تراوحت في دلالتها على الإيجاب والنفي.

ومن حيث الاستعمال فقد وجد البحث أنَّ حروف العطف لم تخرج عمَّا قرَّره النُّحاة **فالواو والفاء وثمَّ** قد عطفت بها المفردات والجمل على حدٍّ سواء وإن كان في المجمل العامّ عطف المفردات بها أكثر من عطف الجمل وكان عطف الجمل المتماثلة في الخبريَّة والإنشائيَّة أكثر من عطف الجمل المختلفة، ولكنَّ **أو** كان عطف المفردات بها أكثر من عطف الجمل بفارقٍ كبيرٍ، و**أمْ وإمَّا وبلْ ولكنْ ولا** عطفت بها المفردات.

المبحث الثاني: حروف الاستفهام

هذا المبحث سيتتبع حرفي الاستفهام ودلالتيهما وتركيب جمل كلّ منهما في **رسائل الجاحظ**، وهما: الهمزة، و**هل**، وحرفا الاستفهام ينقلان الجملة من حيّز الإخبار إلَّا حيّز الاستخبار ممَّا منحهما الصدَّارة في الكلام؛ لدلالتهما على قسم من أقسام الكلام، كما أنَّهما غير عاملين.

حروف الاستفهام:

أولًا: الهمزة:

ونعرض فيه ما دخلت عليه مع دلالتها على النحو الآتي:

أوَّلًا: دخولها على الجملة الاسميّة: وتدلّ فيه على المعاني الآتية:

الأوَّل: التسوية والغرض منه الاستهزاء والسخرية: في أربعة مواضع، منها قوله:

"وكما أصبحنا وما ندري أي الأمور المتصلة برأسك أحسن، أم أيها أجمل وأشكل: آلَّلمَّة أم مخط اللحية، أم الإكليل أم العصابة، أم العمامة أم القناع أم القلنسوة؟.." (٣/ ٨٩)

الثاني: التسوية والغرض منه الاستطالة: في ثمانية مواضع أبرزها قوله:

"قد نسخت لك – أعزك الله – في صدر هذا الكتاب قصيدة قيلت في أبي الفرج أدام الله عزَّه، ذكروا أنَّ قائلها رجل يكنى أبا عثمان، ولا أدري أهو أبو عثمان هشام بن المغيرة، أم أبو عثمان عفان بن أبي العاص.

ولا أدري أهو أبو عثمان عنبسة بن أبي سفيان، أم أبو عثمان سعيد بن عثمان، ولا أدري أهو عثمان النهديَّ عبد الرحمن بن مل، أم أبو عثمان ربيعة الرأي بن أبي عبد الرحمن.

ولا أدري أهو أبو عثمان سعيد بن خالد بن أسيد، أم أبو عثمان إسحاق بن الأشعث بن قيس.

ولا أدري أهو أبو عثمان المنذر بن الزبير بن العوَّام، أم أبو عثمان عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك.

ولا أدري أهو أبو عثمان عبد الله بن خالد بن أسيد، أم أبو عثمان أبو العاص...

ولا أدري أهو أبو عثمان عبد الله بن عبد الرحمن بن سمرة بن حبيب بن عبد شمس، أم أبو عثمان..

ولا أدري أهو أبو عثمان سعيد بن أسعد بن إمام المسجد الجامع الأعظم، أم أبو عثمان عمرو بن عبيد بن باب." (١/ ٣٢٥- ٣٢٨)

ولعلَّ الجاحظ يرمي من هذه السلسلة في صدر الرسالة الاستطالة عليه في معرفة الأدباء على المرسل إليه.

الثالث: التعجب: في قوله:

"ولكنِّي أقول: قد قتلتني فمع من تعيش؟ أمع الشطرنجيِّين؟!.." (١/ ٢٥٨)

الرابع: الاعتبار: في قوله:

"فانظر بأيِّ الأمرين قطعت عمرك؟ أبالحكمة أم باللغو؟" (١/ ١٦٨)

الخامس: التصور: في مناظرة افتراضية:

"يقال لهم: حدِّثونا عن العلم بالله ورسوله وتأويل كتبه، وعن علم القدر وعلم المشيئة، والأسماء والأحكام. أباكتساب هو أم باضطرار؟ فإن زعموا أنَّه باكتساب قيل لهم: فخبِّرونا عن علمكم بأنَّ ذلك أجمع اكتساب، أباكتساب هو أم باضطرار؟ فإن قالوا: باكتساب..." (٤/ ٥٣)

ثانيًا: دخولها على الجملة الفعليّة: وتدلّ فيها على المعاني الآتية:

الأوَّل: التصور: وقد وقع في مناظرة افتراضية: في قوله:

"فإن قال: أباكتساب علموا صدق الرسل أم باضطرار؟ قلنا: باضطرار." (٤/ ٥٣)

الثاني: التسوية: في قوله:

"وسواءً أعبت على ألَّا يكون لي ولد قبل أن يكون، أو عبت على ألَّا يكون بعد أن كان..."(١/ ٢٥٦)

الثالث: التعجب: في موضعين، منهما قوله:

"فمتى إذن تزول التقية، ويجب إظهار الحق والنصرة للدين، والمباينة للمخالفين؟! أحين يموت الخصم ويبيد أثره ويهلك عقبه ويقلُّ ناصره، ويزول جميع الخوف ويكون على يقين من السلامة..." (١/ ٢٨٧)

الرابع: التقرير: في موضعين، منهما قوله:

"أليس مع قوله ما يعلم خلافه، يعلم أنَّه قد سلَّم له أعجوبة كأعجوبة إبراء الأكْمَه والأبرص، والمشي على الماء، إذ كان ذلك لا يجوز، ولا يمكن في الطبائع والعقل والتجربة..." (٣/ ٢٦٤)

ثالثًا: دخولها على حرف العطف:

الأوَّل: تقدمها على الواو:

في كلّ المواضع التي وردت فيها وقعت **ليس** بعدها، وتدلّ على ما يأتي:

أوَّلًا: تصديق السلب: في مناظرة افتراضية: في ثلاثة مواضع، منها قوله:

"قلنا: أَوَ ليس ذلك غير محول لسكون المبطل عن الثقة إلى الاضطراب ولا مغيره إلى الاكتراث؟ فإذا قالوا ذلك، قيل لهم: فما يؤمن المحق أن يكون سكونه أيضا باطلًا في عينه إذا كان سكونه لا ينقص عن سكون المبطل..." (٤/ ٥٤)

ثانيًا: التقرير: في قوله:

"أَوَ ليست النار محفوفة بالشهوات، أَوَ ليست الجنة محفوفة بالمكاره..." (١/ ٢٨٧)

ثالثًا: التقرير التعجبي: في موضعين، منهما قوله:

"أَوَ ما علمت أنَّ الخوف يطرد السكر، ويميت الشهوة، ويطفئ الغضب، ويحطُّ الكبر، ويذكر بالعاقبة، ويساعد العقل، ويعاون الرأي، وينبت الحيلة ويبعث على الروية؛ حتّى يعتدل به تركيب من كان مغلوبًا على عقله، ممنوعًا من رأيه، بسكر الشباب وسكر الغناء وإهمال الأمر، وثقة العزّ..." (٤/ ٣٠٢)

الثاني: تقدمها على الفاء:

في كلّ المواضع التي وردت فيها وقع النفي بعد الفاء، وقد دلّت على التقرير: في ثلاثة مواضع، منها قوله:

"أفليس من العجب أن تبقى نجدتهم، وتثبت بسالتهم، ثمّ يعلون الأنجاد والأجواد، ويفرِّعون الشجعان؟ !..." (٤/ ١٢٧)

النتائج الخاصّة بـ الهمزة:

- حافظت **الهمزة** على تمام تصديرها في كلّ المواضع حتّى مع حروف العطف.
- دخلت على الإيجاب والنفي ولكن دخولها على الإيجاب أكثر وهذا بنسبة ٧٠,٩٦٪.
- دخلت **الهمزة** على الجملتين الاسميّة والفعلية وقد كان دخولها عليهما متقارب حيث لم تزد الاسميّة على الفعليّة إلَّا شيئًا بسيطًا حث وردت بنسبة ٥١,٦١٪.
- دلّت **الهمزة** على الأغراض البلاغية أكثر من تمحضها للاستفهام؛ حيث لم تتمحض للاستفهام إلَّا في ستة مواضع.

ثانيًا: هل:

ونعرض فيه ما دخلت عليه مع دلالتها على النحو الآتي:

أوَّلًا: دخولها على الجملة الاسميّة: قد دلّت فيها على المعاني الآتية:

الأوَّل: تصديق موجب: وهو سؤال افتراضي لمناظر يتخيله الجاحظ: في قوله:

"وإن سأل سائل فقال: هل على الناس أن يتَّخذوا إمامًا، وأن يقيموا خليفة؟.." (٤/ ٣٦)

الثاني: النفي والإنكار: في قوله:

" أم هل لك في مقالتك من إمام تأتمَّ به، أو أستاذ تقتفى أثره.." (٤/ ١٦٦)

الثالث: النفي: وقد استعمله في سياقين:

أوَّلًا: في تحديد دلالة الكلمة: في موضعين، منهما قوله:

"وهل تأويل: رباه إلَّا غذاه، ورزقه، وأطعمه، وسقاه، فقد فعل ذلك بجميع الناس..." (٣/ ٣٤٢)

ثانيًا: أخرجته إلى هذه الدلالة قرينة إلَّا: في خمسة مواضع، منها قوله:

"وقرعهم بالعجز عما وصفنا وهل هذا إلَّا بمديحه له، وإكثاره فيه لكان ذلك سببًا موجبًا لمعارضته.. ؟ !.." (٣/ ٢٧٧)

ثالثًا: السخرية في صورة التضخيم والثناء: في خمسة مواضع، منها قوله:

"وهل للماتح رجز إلَّا فيك..." (٣/ ٨١)

وهذه جملة أسئلة طرحها الجاحظ في رسالة **التربيع والتدوير** التي وجهها إلى أحمد بن عبدالوهاب وخرج الاستفهام فيها إلى السخرية والاستهزاء لجمعه بين متناقضات يمتنع اجتماعها في واحد، وهي توحي في أوَّل تلقيها إلى ميل الجاحظ إلى مدح الرسل إليه لكن بتلقي الرسالة برمتها يتضح الأسلوب الساخر الذي انتهجه فيها.

ثانيًا: دخولها على الجملة الفعليّة: وقد ورد في صورتين:

الأولى: دخولها على الجملة الفعليّة الماضي فعلها: وقد دلّت فيه على المعاني الآتية:

الأوَّل: النفي: في ثلاثة عشر موضعًا، منها قوله:

"وهل عرف فلَّاحوهم الثمار المطعمة، وغراس النخل على الكردات المسطَّرة؟ وأين كانوا عن استخراج فوه العصفر؟" (٤/ ١٠٥)

ولقد استعمل الجاحظ هذا الأسلوب ليلفت النظر إلى النعم التي فرق الله بها بين الناس فهو في سياق الحديث عن أنَّ ملوك فارس مع غلبتها وقوتها في وقتها لم تصل إلى البديهيات التي وصلوا إليها في زمنه.

الثاني: نفي تعجبي: في قوله:

"وهل كان البكاء والتشبيب والعويل إلَّا فيهنَّ وعليهنَّ، ومن أجلهنَّ!.." (٢/ ١١٣)

الثالث: النفي استدراجًا إلى التقرير: في قوله:

"وهل كانت برد كسرى إلى وهرز، وباذام، وفيروز بن الديلميّ، وإلى اليمن، وإلى المكَعْبر مَرزُبَان الزارة، وإلى النعمان بالحيرة، إلَّا البغال؟ وهل وجدوا شيئًا لذلك أصلح منها؟.." (٢/ ٢٩٢)

الرابع: في سياق الإخبار عن حادثة افتراضية: في قوله:

"ولو نطق بحرف في القدر حتّى يذكر العلم والمشيئة، والتكليف والاستطاعة، وهل خلق الله تعالى الكفر وقدَّره أو لم يخلقه ولم يقدره، لم يبق حمَّال أغثر، ولا بطَّال غثَّ، ولا خامل غفل ولا غبي..." (٤/ ٤٠)

الثانية: دخولها على الجملة الفعليّة المضارع فعلها: وقد دلّت فيه على المعاني الآتية:

الأوَّل: التصديق الموجب لمناظرة افتراضية: في خمسة مواضع، منها قوله:

"قلنا: فهل يجوز أن يكون عند نفسه قد استشهد الضرورات. حتّى لو سأله سائل فقال: ما يؤمِّنك من الخطأ؟.." (٤/ ٥٤)

الثاني: السخرية والاستهزاء في صورة التضخيم والثناء: في سبعة عشر موضعًا، منها قوله:

"وهل يزعزع النخلة سقوط البعوضة؟ ! فأمَّا القول في المزاح فقد بقي أكثره ومضى أقلُّه..." (٣/ ٩٣)

الثالث: النفي الإنكاري: في قوله:

"وهل يذعن الأعراب وأصحاب الجاهلية للتقريع بالعجز، والتوقيف على النقص، ثمّ لا يبذلون مجهودهم..." (٣/ ٢٧٥)

الرابع: النفي: في ثمانية مواضع، منها قوله:

"أو هل تسمع لهم بكلامٍ شريفٍ، أو معنى يستحسنه أهل التجربة..." (٣/ ٢٧١)

الخامس: التقرير: في موضعين، هما:

"فهل يخلو أمركم من أحد وجهين: إما أن تكونوا صادقين على أنفسكم، أو كاذبين عليها؟.." (٤/ ٥٦)

"وإذا كانوا كذلك فهل يخلو أمرهم من أن يكونوا قد علموا أنَّهم على خطاء أو يكونوا شكاكًا، أو يكونوا عند أنفسهم مستشهدين للضرورات.." (٤/ ٥٥)

وخروج الاستفهام هنا إلى التقرير لبنائه هذه الأسئلة على مقدمات دافع عنها ليسلم المخاطب إلى فكرته مقتنعًا.

السادس: الحث: في قوله:

"وافهم يرحمك الله ما أنا واصفه لك: هل يجد التارك لتصديقه أنَّه لا يدري بزعمه، لعلَّه كان أعلم الخلق بالنجوم، ناظرًا لنفسه، غير معاند لحجَّة عقله..." (٣/ ٢٦٤)

النتائج الخاصّة بـ هل:

- امتاز استعمال الجاحظ للاستفهام من الناحية التركيبية بالاستمرار على ما ثبت من استعمال العرب له، ومن الملاحظ في استعماله لها داخلة على جملة اسميّة أنَّه لم يكن خبر المبتدأ فعلًا في كلّ المواضع الواردة فيها.
- وفي الناحية الدلالة فقد دل الاستفهام لديه في أغلب المواضع على أغراض بلاغية، ولعلَّ السبب في هذا أنَّ الاستعمال الحقيقي إنَّما يكون في السياقات التخاطبيّة المباشرة والرسائل ليست كذلك، وقد برع الجاحظ في الاستعمال البلاغي للاستفهام في رسالة **التربيع والتدوير** بخصيصة أهمية السياق وتلاحمه في فهم الغرض على الوجه الذي يريده إذ لو اقتطع أي استفهام فيها عن سياقه لتوهم السامع أنَّ العرض منه التقرير والإثبات للصفات المذكورة والمبالغة في مديح المرسل

إليه، لكن قراءتها داخل السياق العام للرسالة سرعان ما تدفعه إلى نقيض هذا تمامًا وهو انقلاب المدح المتوهم إلى هجاء وسخرية واستهزاء.

النتائج العامة لحروف الاستفهام في رسائل الجاحظ:

وردت حروف الاستفهام في **رسائل الجاحظ** على النحو الآتي:

- الهمزة: وردت بنسبة ٣١,٩١٪.
- هل: وردت بنسبة ٦٨,٠٩٪.

ومن حيث دلالتها فقد وجد البحث أنَّ الغالب في دلالتها الخروج إلى معانٍ بلاغيَّة وفق ما يقتضيه السياق على حسب تمحُّضها للاستفهام.

ومن حيث الاستعمال فقد وجد البحث أنَّها قد وردت وفق ما قرَّره النُّحاة من قواعد الاستعمال.

المبحث الثالث: حروف متفرِّقة

وسيتناول هذا المبحث الحروف التي تدخل على الأسماء والأفعال والجمل لكنها لا تندرج تحت المبحثين السابقين، ويجمع بينها أنَّها أحرف مهملة، وقد رتبت وفق الترتيب الهجائي، وهي: **إنْ** الزائدة، **إنْ** النافية، **بل** الابتدائية، **حتّى** الابتدائية، **الفاء** الاستئنافية، **الفاء** التزيينيّة، **الفاء** الزائدة، **الفاء** الداخلة على جواب الشرط، **الفاء** الداخلة على جواب **إمّا**، **الفاء** الفصيحة، **لا** الزائدة، **لا** النافية الداخلة على الجملة الفعليّة، **لام** الابتداء، **لام** جواب القسم، **لام** جواب **لو** و**لولا**، **اللّام** الموطئة للقسم، **اللّام** المزحلقة، **ما** الكافَّة، **ما** غير الكافَّة، **ما** النافية الداخلة على الجملة الفعليّة، **نعم**، **نون** الوقاية، **واو** الاستئناف، **واو** الحال، **واو** الاعتراض، **الواو** الزائدة، **واو** اللصوق.

الحروف المتفرّقة المشتركة في رسائل الجاحظ:

أوَّلًا: أنْ الزائدة:

زيدت **أنْ** في **رسائل الجاحظ** في موضعين، هما:

أوَّلًا: بعد لمّا التعليقيّة: في موضعين، هما:

"ولما أن كان موجودا في العقول أنَّه قد يفتِّش بعض الأمناء عن خيانة، وبعض الصادقين عن كذب" (١/ ١٢٠)

"ولما أن كان لا بد للعباد من أن يكونوا مأمورين منهيين، بين عدو عاصٍ ومطيع ولي، علمنا أنَّ الناس لا يستطيعون..." (٤/ ٣٢٠)

ثانيًا: بين القسم ولو: في أربعة مواضع، هي:

"ولعمري أن لو سمعوا الناس يقولون عند أيمانهم وابتهالهم إلى ربهم، على غير قصد إلى خلاف ولا وفاق:.." (٣/ ٢٩٧)

"ولعمري أن لو كانت اليهود تقرُّ لكم بإحياء الأربعة الذين تزعمون، وإقامة المقعد الذي تدعون، وإطعام الجمع الكثير من الأرغفة اليسيرة.." (٣/ ٣٢٥)

"ولعمري أن لو كانت لهم عقول المسلمين ومعرفتهم بما يجوز في كلام العرب، وما يجوز على الله" (٣/ ٣٣٤)

"ولعمري أن لو كان هجومه عليها قبل المعرفة بمجاري وتصريف الدهور وعلاقات الدنيا، والتجربة لتصريف أمورها" (٤/ ٦١)

النتائج الخاصّة بـ إنْ الزائدة:

- دلّت على التوكيد.
- أكثر وقوعها بين القسم وجوابه بخلاف ما ذكره الأزهري من أنَّ "أكثرها الواقعة بعد (**لمّا**، وأقلها الواقعة بين الكاف ومجرورها..."[1].

(١) شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو، خالد الأزهريُّ (٢/ ٣٦٥)

ثانيًا: إنْ النافية:

وقعت في موضع واحد وقد دخلت على جملة فعليّة فعلها مضارع في سياق جواب قسم، وممَّا يدل على أنَّها النافية العطف على معمولها بالاقتران بـ **لا** النافية وهي في قوله:

"لا والله إن تعرف على ظهرها موضعا للسرِّ، ولا مكانًا للشكوى، ولا روحًا تأنس بها، ولا نفسًا تسكن إليها." (١/ ٢٧٢)

النتائج الخاصّة بـ إنْ النافية:

- وقوعها في موضع واحد رغم طول الرسائل يدفعنا إلى إعادة النظر فيما ذكره المرادي[١] من أنَّ وقوعها كثير في الكلام.

ثالثًا: بل الابتدائية:

وردت بل الابتدائية في اثنين وسبعين موضعًا، وقد دلّت على ما يأتي:

- **الإضراب فقط: في موضعين، هما:**

"وأنك أنكرت التباعد في النسب، والتباين في السبب. وقلت: بل أزعم أنَّ الخراسانيَّ والتركيَّ أخوان، وأنَّ الحيز واحد، وأنَّ حكم ذلك الشرق، والقضيَّة على ذلك الصقع متَّفق غير مختلف، ومتقارب غير متفاوت." (١/ ٩)

"فما ظنُّك بمن كان عقله ضعيفًا ونظره قصيرًا؟ بل ما ظنُّك بالظلوم الغادر، والغمر الجاسر؟" (٤/ ٢٤٨)

- **الإضراب والإبطال: في اثنين وستّين موضعًا، منها قوله:**

" ولا كان ذلك القول، إن كان من عليتهم، في الواحد الشاذِّ القليل، بل كان في ذوي أحلامهم والقدم منهم." (٤/ ٢٩٢)

وممَّا تجدر الإشارة إليه هنا ما ورد في قوله: "فأقول: إنَّ السلف الذين جمعوا القرآن في المصاحف بعد أن كان متفرقًا في الصدور، والذين جمعوا الناس على قراءة زيد، بعد أن كان غيرها مطلقًا غير محظور....بل لا شكَّ

(١) ينظر: الجنى الداني، المراديُّ (٢١٠)

أنَّهم لو تركوا الناس عامَّة يقرءون على حرف فلان وكلَّ ما أجاز فيه فلان عن فلان، لألحق قوم في آخر الزمان بهم ما ليس منهم"

حيث إنَّ الإبطال في هذا الموضع قد ربط بين أجزاء النص من ص ٢٢٦ إلى ٢٣٢.

- **الإضراب والانتقال: في خمسة مواضع، منها قوله:**

"والذي منعهم من ذلك هو الذي منع ابن أبي العوجاء، وإسحاق ...بل لا شبهة في الزندقة خاصَّة" (٣/ ٢٧٨)

- **الانتقال من الإجمال إلى التفصيل: في قوله:**

"فهذا يدلُّ على أنَّ أعلام الرسل عليهم السلام وآياتهم أحقُّ بالظهور والشهرة، والقهر للقلوب والأسماع، من مخارجهم وشرائعهم. بل قد نعلم أنَّ موسى عليه السلام لم يذكر ولم يشهر إلَّا لأعاجيبه وآياته" (٣/ ٢٥٩)

من المسائل التركيبيّة: تكرار بل: قد وقع هذا في قوله:

"ثم أنت لا يشفيك مني السمُّ المجهز...بل لا يشفيك من نار الآخرة إلَّا الجحيم ..بل لا تكتفي بذلك دون الدرك الأسفل، بل لا يرضيك شيء سوى الهاوية، بل لا ترضى إلَّا بعذاب آل فرعون، أشدُّ العذاب، بل لا يرضيك إلَّا عذاب إبليس الذي زين الختر للعباد، وبثَّه في البلاد" (١/ ٢٦٧)

النتائج الخاصّة بـ بل:

- أكثر المعاني ورودًا دلالتها على الإضراب والإبطال وهذا بنسبة ٨٦٪.
- وجد البحث أنَّ ماورد عند الجاحظ من الإبطال ليس نتيجة نسيان أو غلط؛ إذ التأليف النثري فيه تأنٍ وتحبير وإعادة نظر والغلط يكون في سياقات الارتجال والاستعجال؛ فالغرض منه تقليب الأفكار وعرض كلّ الاحتمالات للإقناع والتعليل ممَّا يدفع المخاطب إلى الإيمان إلى الرأي الذي يعتقده، إذ يذكر الرأي الذي قد يدور في ذهن المخاطب ممَّا يشيع بين الناس ثمّ يبطله بـ **بل** ليذكر رأيه وتعليله.
- ورد تكرار **بل** في موضع استعمالها الجاحظ فيه في وصف مراحل تنقل المرسل إليه في مشاعره تجاهه متدرجًا فيها ممَّا ورد على ذهنه، ثمّ ترقَّى في وصفها حتّى بلغت الكره والبغض الشديدين اللذين أوصلاها إلى القناعة بأنَّ ما يرضيه في الجاحظ تعذيبه في نار تلظَّى.

رابعًا: حتّى الابتدائية:

وردت حتّى الابتدائية في مئة وستّة عشر موضعًا، وقد دلّت على الغاية في كلّ المواضع، ومن حيث التركيب فإنَّها قد دخلت على ما يأتي:

أوَّلًا: الجملة الاسميّة: في ستّة عشر موضعًا، منها قوله:

"ولم يتقدَّموا فيه إلَّا من أجلهنَّ، وحتَّى كأنَّ الحيطان الرفيعة، والأبواب الوثيقة.." (٣/ ١٤٢)

ثانيًا: **الجملة الفعليّة: وقد ورد على عدَّة صور على النحو الآتي:**

الأولى: الفعليّة المصدرة بفعل ماضٍ: في تسعة وثمانين موضعًا، منها قوله:

"وحتَّى كان القول من القائل نقضًا.." (٤/ ٢٣٠)

ومن دخولها على الفعليّة المصدرة بماضٍ دخولها على المسبوقة بـ ربما: في ثلاثة مواضع، منها قوله:

"وبمثل هذا السبب صارت المشبِّهة منا أعبد ممن ينفي التشبيه، حتّى ربّما رأيته يتنفَّس من الشوق إليه..." (٣/ ٢٥٣)

الثانية: الجملة الشرطية: وقد ورد في عدَّة صور:

الأولى: دخولها على الشرطية المصدرة بـ إنْ: في قوله:

"الجيد من الأنبذة يصفِّي الذهن ويقوِّي الركن، ويشدُّ القلب والظهر...وحتَّى إن عزَّ لم يقنط منه، وإن حضر لم يصبر عنه، يدفع النوازل العظيمة، وينقِّي الصدر من الخصومة، ويزيد في المساغ، وسخونة الدماغ..." (٤/٢٦٤)

الثانية: دخولها على الشرطية المصدرة بـ لو: في ثلاثة مواضع، منها قوله:

"قلنا: فهل يجوز أن يكون عند نفسه قد استشهد الضرورات. حتّى لو سأله سائل فقال: ما يؤمّنك من الخطأ؟..." (٤/ ٥٤)

الثالثة: دخولها على الشرطية المصدرة بـ إذا: في أربعة مواضع، منها قوله:

"فتركتني حتّى إذا نازعت الرجال، وتعرَّضت للشجي، وشغلت نفسي بثلب الخصام، وانقطعت إلى أصحاب القدود، وجعلت عدوائي في تقديم القضاف، وطال لساني...." (١/ ٢٦٩)

النتائج الخاصّة بـ حتّى الابتدائيّة:

- تليت **حتّى** الابتدائية بالجملتين الاسميّة والفعلية لكنّ أكثرها وروداً الجملة الفعليّة الماضي فعلها وهذا بنسبة ٧٩,٣١٪.
- دلّت على الغاية وكانت في سياق تفخيم وتعظيم.
- لما دخلت على الجمل الشرطية ذكر جوابها في كلّ المواضع.

خامسًا: الفاء الاستئنافيّة:

وردت في رسائل الجاحظ في تسعة وثلاثين موضعًا، وقد دخلت على الجملتين الاسميّة والفعلية على النحو الآتي:

أوّلًا: الجملة الاسميّة: في سبعة وثلاثين موضعًا، منها قوله:

"والفيلة إنَّما يفتخر بها السُّودان، كالحبشة والهنْد، فأمَّا ملوك العراق فإنَّما يتَّخذون منها بقدر..." (٢/ ٣٥٥)

ثانيًا: الجملة الفعليّة: في موضعين، هما:

"فيقال لهم: ..." (٣/ ٣٥٠)

"فإن ذكروا طيب سابور بطيب أرياح الرياحين ..." (٤/ ١٢٩)

النتائج الخاصّة بـ الفاء الاستئنافية:

- دخولها على الجملة الاسميّة أكثر من الفعليّة؛ إذ لم تدخل على الفعليّة سوى موضعين.
- دلّت على الاستئناف؛ إذ دلّت على البدء في موضوع غير متَّصل الدلالة بما يسبقه.

سادسًا: الفاء التزيينيّة:

قد وردت في كلمة **قط** في المواضع الآتية:

"وتروي الحاذقة منهن أربعة آلاف صوت فصاعدًا" (٢/ ١٧٦)

"وإنَّما الفرق بين الدين والدنيا اختلاف الدارين من الدنيا والآخرة فقط" (١/ ٩٩)

"وكتب لهم عمرو بن مسعدة، وكان رسائليًّا فقط." (٢/ ٢٠٤)

"فلقَّن إبراهيم من سائر الآداب والعلوم علم الحساب فقط..." (٢/ ٢٠٤)

"وأصحابنا – حفظك الله – إذا قاسوا خطأهم، ومروا على غلطهم فإنَّما ينقضون به شيئا من العرض والجوهر، وشيئا من قولهم في المعلوم والمجهول فقط..." (٣/ ٢٩٦)

"ولكنا إنَّما ابتدأنا الكتاب لنقتصر به على كسر النصرانية فقط..." (٣/ ٣٤١)

النتائج الخاصّة بـ الفاء التزيينيّة:

- لم ترد إلَّا في كلمة **قط** وفق ما ورد عند النُّحاة.

سابعًا: الفاء الزائدة:

وردت **الفاء** الزائدة في **رسائل الجاحظ** دالّة على استحقاق الخبر بالصلة المذكورة، وتوكيد الربط بين المبتدأ والخبر في كلّ المواضع، وقد وردت في المواضع الآتية:

في خبر الموصول الذي صلته جملة فعليّة: في ثمانية مواضع، منها قوله:

"والذي يخطِّئ عثمان في ذلك فقد خطَّأ عليًّا وعبد الرحمن وسعدًا، والزبير وطلحة، وعلية الصحابة..." (٣/ ٢٣٣)

في خبر مبتدأ ال الموصولة وصلتها: في قوله:

"والناشر للحقِّ بما يلزمه فقد أمكن القول وصلح الدهر..." (١/ ٣١٧)

في خبر مبتدأ نكرة مضاف إلى موصول: في ستّة مواضع، منها قوله:

" وكلُّ من كان غيظه يفضل عن حلمه، وحاجته تفضل عن قناعته، فواجب أن ينكشف قناعه، ويظهر سرَّه..." (١/ ٢٨٨)

في خبر مبتدأ نكرة مضاف إلى نكرة: في تسعة مواضع، منها قوله:

"وكلُّ كاتب فمحكوم عليه بالوفاء..." (٢/ ١٩١)

في خبر مبتدأ نكرة مضافة إلى نكرة موصوفة: في سبعة مواضع، منها قوله:

" وكلُّ شيءٍ لم يوجد محرمًا في كتاب الله وسنَّة رسول الله صلى الله عليه وسلم فمباح مطلق..." (٢/ ١٤٧)

في خبر ناسخ اسمه نكرة مضافة إلى نكرة موصوفة: في ثلاثة مواضع، منها قوله:

"والقول الذي هو عام فيهم، أنَّ كلّ يهودي ولده إسرائيل، فهو ابن الله.." (٣/ ٣٤٧)

في خبر ناسخ اسمه موصول وصلته جملة فعليّة: في أربعة مواضع، منها قوله:

"وأنَّ ما علم من خبر الواحد فإنَّما هو بحسن الظنِّ والائتمان...." (١/ ١٢٠)

في خبر ناسخ اسمه نكرة مضافة إلى نكرة: في موضعين، هما:

"كلّ مسافر فبعرض مكروه..." (٣/ ٤٨)

" وعلى أنَّ كلّ مربع ففي جوفه مدور، فقد بان المدور بفضله، وشارك المطوِّل في حصته..." (٣/ ٦٥)

في خبر ناسخ اسمه نكرة مضافة إلى موصول: في موضعين:

"وعلمت أنَّ كلّ من ضعف بصره وكل نظره، فإنَّه أبدا أقرب مصباحًا وأعظم نارًا..." (١/ ٢٥١)

"وزعموا أنَّ كلّ من اعتقد خلاف النصرانية من المجوس والصابئين والزنادقة فهو معذور..." (٣/ ٣٢٤)

خبر ناسخ اسمه نكرة عامة موصوفة بجملة فعليّة: في قوله:

"وإنَّ شرّاً يكون بين حيَّيْن من أحياء قريش، تفاقم فيه الأمر، حتّى احتاجت عائشة – رضي الله عنها – إلى الركوب فيه، لعظيم الخطر، مُستفيض الذِّكر؛ فمن هذا القبيلان؟..." (٢/ ٢٢٤)

في إذا الفجائية: في موضعين، هما:

" ورأيت التربة التي بينها وبين قصبة الكوفة، ورأيت لون الأرض فإذا هو أكهب كثير الحصى..." (٤/ ١٤٧)

"فنظر بعض الوزراء فإذا خراج مصر وحده يضعف على خراج بلاد الروم إذا جمعت أبواب المال من البلاد جميعًا..." (١٣٤/٤)

النتائج الخاصّة بـ الفاء الزائدة:

- دلّت على استحقاق الخبر بالصلة المذكورة، وتوكيد ربط المبتدأ بالخبر في كلّ المواضع.
- وردت في خبر النكرة موصوفة أو مضافة أكثر من وردودها في خبر الصلة وما أضيف إليها بنسبة ٥٦,٨١٪.
- وردت في المواضع التي ذكرها النُّحاة ولم تخرج عما قرروه لها.

ثامنًا: الفاء الداخلة على جواب الشرط:

وردت في رسائل الجاحظ داخلة على جواب أدوات الشرط وجواب أمَّا على النحو الآتي:

أوَّلًا: الداخلة على جواب أدوات الشرط:

وقد وردت في مئتين واثنين وسبعين موضعًا متصلة بما يأتي:

أوَّلًا: بالجملة الاسميّة في موضعًا، وله صورتان:

الأولى: الخالية من النواسخ: في مئة واثنين من المواضع ، منها قوله:

"ومتى رأيت حاسدًا يصوِّب إليك رأيًا إن كنت مصيبًا، أو يرشدك إلى صواب إن كنت مخطئًا، أو أفصح لك بالخير في غيبته عنك، أو قصَّر من غيبته لك فهو الكلب الكلب، والنمر النمر والسم القَشِب، والفحل القَطِم، والسيل العَرِم..." (٣/ ١٧)

الثانية: المسبوقة بناسخ: في سبعة وعشرين موضعًا، منها قوله:

"وكيفما تصرَّفت بي الحال فإنِّي لم أخرج من جهد المجتهدين الراغبين المخلصين.." (١/ ٣٣٢)

الثالثة: الجملة الاسميّة المنفية بـ ما: في موضعين، منهما قوله:

"وإن كنَّا أخطأنا، فما ذاك عن فساد من الضمير..." (٣/ ١٠٦)

ثانيًا: بالجملة الانشائيّة، وله عدَّة أنواع على النحو الآتي:

أوَّلًا: بالجملة الاستفهامية، ولها ثلاثة صور، هي:

الأولى: المسبوقة بهمزة الاستفهام: في موضعين، منهما قوله:

"فإن قلتم: ليس ذلك أرادوا، بل إنَّما أرادوا المتحرِز به والمتحصِّن بحيطانه، أفما كان من حق البيت وحريمه..." (٢/ ١٢)

الثانية: المسبوقة بـ هل: في ثلاثة مواضع، منها قوله:

"إذا كان تعالى قد اتَّخذ عبدًا من عباده خليلًا، فهل يجوز أن يتَّخذ عبدًا من عباده ولدًا.." (٣/ ٣٢٩)

الثالثة: المسبوقة بأسماء الاستفهام: في أحد عشر موضعًا، منها قوله:

" إذا كان الله تبارك وتعالى عالماً بأنَّ القوم يزدادون فساداً عند إرسال الرسل، وكان غير صارف لهم عن الإرسال إليهم، إذ كان قد عدَّل خلقهم، ومكَّنهم من مصلحتهم، فما بال الظنُّ والحسبان بأنَّ الناس يتفاسدون ويتنازعون..." (٤/ ٢٨٩)

ثالثًا: بالفعل المضارع مسبوق بأداة طلب، وله عدَّة صور:

الأولى: بالفعل المضارع المسبوق بـ لام الأمر: في سبعة مواضع، منها قوله:

"من كانت طبيعته مأمونة عليه عند نفسه، وكان هواه رائده الذي لا يكذبه، والمتأمِّر عليه دون عقله، ولم يتوكل لما لا يهواه على ما يهواه، ولم ينصر تالد الإخوان على الطارف، ولم ينصف المملول المبعد من المستطرف المقرب، ولم يخف أن تجتذبه العادة، وتتحكم عليه الطبيعة، فليرسم حججهما، ويصوِّر صورهما، في كتاب مفرد أو لفظ مسموع" (١/ ٢٤٦)

الثانية: بالفعل المضارع المسبوق بـ لا الناهية: في خمسة مواضع، منها قوله:

"ومن صرف الله حاجته إلى الكرام، وعدل به عن اللئام فلا يعدَّن نفسه في الراغبين ولا في الطالبين المؤمَّلين ما لم يكن في أخلاقهم فلا نظر فيه ولا قياس عليه" (٤/ ٢٠٠)

الثالثة: بصيغة التعجب: في موضعين، منهما قوله:

"فإن تبت، فما أقرب الفرج، وأسرع الإجابة !..." (٣/ ١١٥)

ثالثًا: بالفعل الماضي المسبوق بـ قد: في واحد وخمسين موضعًا، منها قوله:

"متى أوجبت لك العفو فقد أوجبت لك الفضل، ومتى أضفت إليك العقاب فقد وصفتك بالإنصاف" (٣/ ٧٦)

رابعًا: بالفعل الماضي المنفيّ بـ ما: في ثلاثة مواضع، منها قوله:

"وإن كنت أخطأت الطريق، وجاوزت المقدار، فما كان ذلك عن جهل بفضلك، ولا إنكار لحقك..." (٣/ ٧٣)

خامسًا: بالفعل الماضي الجامد: في أحد عشر موضعًا، منها قوله:

"فليس يقف عليها كريم، ولا يلتفت لها حليم..." (١/ ٢٣٨)

سادسًا: بالفعل المضارع المسبوق بـ قد في موضعين، ذكرا في إنْ الشرطية.

سابعًا: بالفعل المضارع المنفيّ بـ لا النافية في موضعين، منهما قوله:

"وإذا كان العلم مباشرة أو سبباً للمباشرة وعلم الدنيا غامض، فلا يتخلَّص إلى معرفته إلَّا بالطبيعة الفائقة، والعناية الشديدة، مع تلقين الأئمة..." (٤/ ٣٢٠)

ثامنًا: بالفعل المضارع المنفيّ بـ لم في ثمانية مواضع، منها قوله:

"ومتى قدرت على عدوّك فلم تجعل العفو عنه شكراً للقدرة عليه..." (١/ ٢٦٩)

تاسعًا: بفعل الأمر: في أربعة وعشرين موضعًا، منها قوله:

"وإذا أردت أن تعرف مقدار الذنب إليك من مقدار عقابك عليه فانظر في علَّته وسببه..." (١/ ٢٣٧)

عاشرًا: اتصالها بالجملة الشرطية: في قوله:

"فلو لم ترض لصاحبه بعقابٍ دون قعر جهنم لعذرك كثيرٌ من العقلاء..." (١/ ٢٣٨)

أحد عشر: بالجملة الفعليّة المسبوقة بـ إنَّما: في أربعة مواضع، منها قوله:

"إذا زعمت كلّها بمعانيها، فإنَّما تعني نهاية المصلحة..." (١/ ٢٦٣)

ثاني عشر: بالجملة الفعليّة المتقدم عليها معمولها أو متعلقها: في موضعين، هما:

"وإذا رأيتني أقول لا أخلى الله مكانك فإلى هذا المعنى أذهب.." (٣/ ٦٩)

"ومن رأيته منصرفاً عن بعض اللؤم، وتاركاً لبعض القبيح، فإيَّاك أن توجه ذلك منه على التجنب له، والرغبة عنه، والإيثار لخلافه..." (٤/ ١٧٧)

ومن المواضع التي وردت في رسائل الجاحظ لاستعمال الفاء ولم يذكرها النُّحاة:

- **اتصالها بفعل مضارع لم يسبقه حرف لكن فعل الشرط ماضٍ في موضعين، منهما قوله:**

" وإن خالفت فنستغفر الله." (٤/ ١٧٧)

- **اتصالها بجواب لو في قوله:**

"ولو أنَّ رجلا ابتنى دارا يتممها ويكملها ببغداد، أو بالكوفة، أو بالأهواز، وفي موضع من هذه المواضع، فبلغت نفقتها مائة ألف درهم، فإنّ البصريّ إذا بنى مثلها بالبصرة لم ينفق خمسين ألفًا..." (٤/ ١٤٤)

النتائج الخاصّة بـ الفاء الداخلة على جواب أدوات الشرط:

- دلّت على الربط والسببيّة في كلّ المواضع.
- يعد اتصالها بالجملة الاسميّة الخالية من النواسخ أكثر مواضعها ورودًا وهذا بنسبة ٣٧,٥٪.
- لم تحذف فاء الجواب في **رسائل الجاحظ** أبدًا.
- إذا كان جواب الشرط جملة استفهامية وأداة الاستفهام **الهمزة** فإنَّ **الفاء** تذكر بعدها فتتأخر عن موضعها.
- دخلت على جواب أدوات الشرط إلَّا موضعًا واحدًا دخلت على جواب **لو** وهذا ممَّا لم يذكره النُّحاة.
- دخلت على المضارع إذا كان فعل الشرط ماضيًا في موضعين.

ثانيًا: الفاء الداخلة على جواب أمّا):

ذكرت **الفاء** في جواب **أمَّا** و**الواو** النائبة عنها في قولهم: وبعد، في من المواضع، وقد دخلت على ممَّا يأتي:

أوَّلًا: الجملة الاسميّة: في ثلاثة وتسعين موضعًا، منها قوله:

"أمَّا بعد فإنَّ جماعات أهل الحكمة قالوا: واجب على كلّ حكيم أن يحسن الارتياد لموضع البغية، وأن يبين أسباب الأمور ويمهِّد لعواقبها..." (١/ ٩١)

ثانيًا: الجملة الفعليّة: في واحد وأربعين موضعًا، منها قوله:

"أمَّا بعد فقد قرأت كتابكم، وفهمت ما ذكرتم فيه من مسائل النصارى قبلكم، وما دخل على قلوب أحداثكم وضعفائكم من اللبس، والذي خفتموه على جواباتهم من العجز، وما سألتم من إقرارهم بالمسائل، ومن حسن معونتهم بالجواب..." (٣/ ٣٠٣)

وقد حذفت الفاء من جواب أمّا في موضعين، هما:

"وأما المفخر يقول: إذا فخروا فخروا بالشاء، ولا يبلغون إلى حدِّ الإبل." (١/ ١٩٠)

"فأمَّا قولهم إنَّا نقول على الناس ما لا يعرفونه، ولا يجوز أن يدينوا به، وهو قولنا إنَّ اليهود قالت: إنَّ الله تعالى فقير ونحن أغنياء. وأنَّها قالت: إنَّ يد الله مغلولة، وإنَّها قالت: إنَّ عزيرًا ابن الله، وهم مع اختلافهم وكثرة عددهم، ينكرون ذلك ويأبونه أشدَّ الإباء..." (٣/ ٣٤٣)

النتائج الخاصّة بـ الفاء الداخلة على جواب أمَّا:

- دلّت على الربط والسببيّة في كلّ المواضع.
- ذكرها أكثر من حذفها حيث لم تحذف إلَّا في موضعين.
- دخولها على الجملة الاسميّة أكثر وهذا بنسبة ٦٥,٦٨٪.

تاسعًا: الفاء الفصيحة:

وردت في **رسائل الجاحظ** في أربعة وخمسين موضعًا، على النحو الآتي:

أوَّلًا: بعد فعل القول الماضي: في أربعين موضعًا، وفيه وقعت **الفاء** وما بعدها في جواب شرط مقدر، منها قوله:

"وإن قالوا: فما صفة أفضلهم؟ ..." (٣/ ٣٤٣)

ثانيًا: في صدر الفصول المنقولة عن عبيد الله بن حسّان: في أربعة مواضع، وفيه دلّت **الفاء** على معطوف عليه محذوف، منها قوله:

"فإن قال القائل: إنَّ الحجة لا تكون حجة حتّى تعجز الخليقة..." (٣/ ٢٥٩)

ثالثًا: في غير هذين الموقعين: في عشرة مواضع، ودلّت على معطوف عليه محذوف، منها قوله:

"ولو كانت المجوس تقرُّ لعيسى بعلامة واحدة، وبأدنى أعجوبة، لكان لكم أن تنكروا علينا بهم، وتستعينوا بإنكارهم. فأما وحال عيسى في جميع أمره عند المجوس كحال ..." (٣/ ٣٢٧)

النتائج الخاصّة بـ الفاء الفصيحة:

- وقوعها في جواب شرط مقدر أكثر من دلالتها على المعطوف عليه المحذوف وهذا بنسبة ٧٤٪.
- اقتصر وقوعها في واب شرط مقدر على الوقوع بعد فعل القول الماضي.

عاشرًا: لا الزائدة:

وردت لا الزائدة في رسائل الجاحظ في ثلاثمئة وستّة عشر موضعًا على النحو الآتي:

أوَّلًا: بين الجار والمجرور: في أحد عشر موضعًا، منها قوله:

"كالذي يختبط في التيه بلا أمارة، ويتعسَّف الأرض بلا علامة..." (٤/ ١٧٤)

ثانيًا: بين واو العطف والمعطوف؛ للتنصيص على عدم إرادة المعيَّة: في ثلاثمئة واثنين من المواضع، وقد وردت بعد العطف على ما يدل على النفي سواء الأسماء أو الأفعال أو الحروف على النحو الآتي:

- بعد **غير**: في قوله:

"وهي أطبع الخلق على الرقص الموقع الموزون، والضرب بالطبل على الإيقاع الموزون، من غير تأديب ولا تعليم..." (١/ ١٩٥)

- بعد **ليس**: في قوله:

"فإن كان ذلك هو الذي أغضبك، وكان هو السبب لموجدتك فليس – جعلت فداك – هذا الحقد في طبقة هذا الذنب، ولا هذه المطالبة من شكل هذه الجريمة..." (١/ ٢٣١)

- بعد **لا** النافية: في قوله:

"والرجل منهم يخطب عند الملك بالزنج من لدن طلوع الشمس إلى غروبها، فلا يستعين بالتفاتة ولا بسكتة حتّى يفرغ من كلامه..." (١/ ١٩٥)

- بعد **لن**: في قوله:

"ولن يقوم هذا الخبر من قلبك ولا قلب غيرك مقام الخبرين الأولين أبدًا.." (١/ ١١٩)

- بعد **لا** الناهية: في قوله:

"فلا تكونن لشيء ممَّا في يدك أشدَّ ضنًّا، ولا عليه أشدَّ حدبًا، منك بالأخ الذي قد بلوته في السراء والضرَّاء.." (١/ ١٢٢)

- بعد **ما**: في قوله:

"ولولا ذلك ما قامت مملكة، ولا ثبتت دولة، ولا استقامة سياسة..." (١/ ٩٩)

- بعد **لم**: في قوله:

"وقد مكن الله لك من أسباب المقدرة، ومهَّد لك في تمكين الغنى والبسطة ما لم تنحله بحيلة، ولا بلغته بقوَّة، لولا فضله وطوله.." (١/ ١٠٠)

- بعد **إنْ** النافية: في قوله:

"لا والله إن تعرف على ظهرها موضعًا للسرِّ، ولا مكانًا للشكوى، ولا روحًا تأنس بها، ولا نفسًا تسكن إليها." (١/ ٢٧٢)

ثالثًا: قبل المقسم به للتوكيد:

وهذا في موضعين، هما:

"لا والله، لكأنَّك وقعت على مطمورة، وظفرت برأس خاقان." (١/ ٢٦٩)

"لا والله إن تعرف على ظهرها موضعًا للسرِّ، ولا مكانًا للشكوى، ولا روحًا تأنس بها، ولا نفسًا تسكن إليها." (١/ ٢٧٢)

و**لا** في الموضع الأوَّل للتوكيد والتحقيق وجوابها مثبت، وفي الثاني توطئة لنفي الجواب إذ جواب القسم منفيّ بـ **إنْ**.

النتائج الخاصّة بـ لا الزائدة:

- أكثر ورودها للتنصيص على عدم إرادة المعيَّة وهذا بنسبة ٩٥,٥٦٪.

- وردت بين الجار والمجرور لإرادة النفي غير العام.
- وردت قبل المقسم به للتوكيد.

الحادي عاشر: لا النافية الداخلة على الجملة الفعليّة:

أوَّلًا: دخولها على الجملة الفعليّة الماضي فعلها: وقد وقعت في ستّة وخمسين موضعًا وفق عدَّة صور، هي:

الصورة الأولى: وقوعها في سياقات الدعاء: في ثلاثة مواضع، هي:

"فلا حرمنا الله تعالى عصمته، ولا ابتلانا بخذلانه..." (٣/ ٤٤)

"وإن لم تقبل فاجهد جهدك، ولا أبقى الله عليك إن أبقيت، ولا عفا عنك إن عفوت..." (٣/ ٩٨)

"وإذا رأيتني أقول لا أخلى الله مكانك فإلى هذا المعنى أذهب..." (٣/ ٦٩)

الصورة الثانية: دخولها على الماضي: دالّة على النفي في ثلاثة وخمسين موضعًا، منها قوله:

"وما سألت من الوقوف على حدودها ولا زلت من عداد من يسأل ويبحث، ولا زلنا في عداد من يشرح ويفصح..." (٤/ ٢٧٣)

ثانيًا دخولها على الجملة الفعليّة المضارع فعلها: وقد وردت في تسعمئة واثنين وخمسين موضعًا، منها قوله:

"والواضح الذي لا يخيَّل أن يشتهر مثله..." (٤/ ٣٢٢)

حذف ما بعد لا:

لبيان السياق عن المحذوف، وورد هذا في موضعين هما:

"لا ولا لعاب الافاعي وداهية الدواهي، فإنَّه يعجز الرقى ويفوت ذرع الاطباء. لا ولا نار الدنيا" (١/ ٢٦٧)

وتقدير المحذوف هنا (ولا يشفيك شيء ولا لعاب الأفاعي) لما ذكر قبلها "ثم أنت لا يشفيك مني السم المجهز، ولا السم الساري؛ فإنَّه أبعد غاية في التطويل وأبلغ في التعذيب. لا ولا لعاب الأفاعي...".

النتائج الخاصّة بـ لا النافية:

- نفي المضارع بها أكثر الماضي وهذا بنسبة ٩٤,٢٥٪.
- نفي بها الماضي ولم يرد به الدعاء أكثر من الدعاء حيث لم يرد به الدعاء سوى في ثلاثة مواضع.
- ذكر المنفيّ أكثر بكثير من حذفه بعد **لا** النافية حيث لم يحذف إلَّا في موضعين دل؛ إذ دل عليه السياق.
- لاحظ البحث أنَّ الجاحظ استعملها في بناء أسلوب الاستثناء كثيرًا، كما أنَّه فصل بها بين **حتّى** والفعل، و**أنْ** والفعل.
- وجد البحث أنَّ **لا** النافية أكثر استعمالًا من **ما** ويدل عليه اعتبار أبي حيان أنَّ المجيء بـ **ما**"إذا خيف التباس النافية بالناهية أتي بغيرها من حروف النفي نحو "ما""[1] ولعلَّ الالتباس يكون في غير فعل المتكلم المضارع؛ لأنَّه لا يعقل أن يكون المتكلم ينهى نفسه على وجه الحقيقة.

الثاني عشر: لام الابتداء:

دخلت في **رسائل الجاحظ** على الأسماء والحروف:

أوَّلًا دخولها على الأسماء: وقد دخلت على الأسماء الآتية:

- **المبتدأ المتقدم:**

ومن أبرز المواضع دخولها على لفظة (عَمْر) إذ قد ورد في سبعة عشر موضعًا، منها قوله:

"ولعمري أن لو كان هجومه عليها قبل المعرفة بمجاري وتصريف الدهور وعلاقات الدنيا، والتجربة لتصريف أمورها" (٤/ ٦١)

وفي موضعين آخرين، هما:

"ولأن أكون مملقاً مقرباً أحبُّ إليّ من أن أكون مكثراً مبعدا...." (٢/ ٤٣)

"ولشتان بين الوصفين: بين من يلقى الحرب بوجهه وبين من يلقاه بقفاه..." (٤/ ١٦١)

(١) التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل، أبو حيَّان (١/ ١٢٤)

- **ومن دخولها على المبتدأ دخولها على الضمير المنفصل: في ثلاثة مواضع، وهي:**

"ولو لم يكن لك إلَّا أنَّنا لا نستطيع أن نقول في الجملة، وعند الوصف والمدحة: لهو أحسن من القمر، وأضوأ من الشمس، وأبهى من الغيث، وأحسن من يوم الحلية..." (٣/ ٨٤)

" ولهو أطهر من الماء، وأرق طباعاً من الهواء، ولهو أمضى من السيل..." (٣/ ٨٥)

ثانيًا دخولها على الحروف:

أوَّلًا: دخولها على كأنَّ في ثلاثة مواضع، هي:

الأوَّل: بعد حتّى الابتدائية والعطف عليها: في قوله:

"قد ركد ركود الزلال حتّى لكأنَّ شاربه يكرَع في شهاب، ولكأنَّه فرند في وجه سيف..." (٤/ ٢٧١)

الثاني: في قوله:

"تراه في الكأس لكأنَّه بالشمس ملتحف، شعاعه يضحك بالأكفِّ؟.." (٤/ ٢٦٨)

النتائج الخاصّة بـ لام الابتداء:

- دلّت على التوكيد في كلّ المواضع التي وردت فيها.
- دخولها على المبتدأ أكثر من دخولها على المضارع والحروف؛ إذ لم تدخل على المضارع أمّا الحروف فلم ترد إلَّا في ثلاثة مواضع.
- أكثر دخولها على المبتدأ على كلمة (عَمْر) ولا ضير؛ إذ يلزم في هذا الموضع ورودها.
- التزمت الصدارة فلم تتخلف عنها.

الثالث عشر: لام جواب القسم:

قد وردت في **رسائل الجاحظ** على النحو الآتي:

- دخولها على الفعل الماضي المثبت الخالي من **قد** بعد قسم ملفوظ: في موضعين، هما:

"ولعمري أن لو كانت لهم عقول المسلمين ومعرفتهم بما يجوز في كلام العرب، وما يجوز على الله، مع فصاحتهم بالعبرانية، لوجدوا لذلك الكلام تأويلًا حسنًا، ومخرجًا سهلًا، ووجهًا قريبًا" (٣/ ٣٣٤)

"ولعمري أن لو كانت اليهود تقر لكم بإحياء الأربعة الذين تزعمون، وإقامة المقعد الذي تدعون، وإطعام الجمع الكثير من الأرغفة اليسيرة، وتصيير الماء جمدًا، والمشي على الماء، ثمّ أنكرت الكلام في المهد من بين جميع آياته وبراهينه لكان لكم في ذلك مقال، وإلى الطعن سبيل." (٣/ ٣٢٥)

- دخولها على **قد** والفعل الماضي: وقد وردت على النحو الآتي:

أوَّلًا: بعد قسم ملفوظ: في خمسة مواضع، منها قوله:

"والله لقد كنت أكره لك سرف الرضا مخافة جواذبه إلى سرف الهوى..." (١/ ٢٣٤)

ثانيًا: بعد قسم مقدر، وله صورتان:

الأولى: بعد **لئن**: في أربعة مواضع، هي:

"فقلت: لئن قلت ذلك لقد قالت العجم:..." (٢/ ٣٨٥)

"ولئن كثروا لقد كثر بهبوب ريحك إخواني، وبنضرة أيامك وزهرة دولتك خلاني." (١/ ٣٦٧)

"ولئن اختلفوا في طولك لقد اتفقوا في عرضك. " (٣/ ٥٨)

"ولئن كانوا قد أفرطوا في لوم العشيرة، والتكبُّر على ذوي الحرمة، لقد أفرطت في سوء الاختيار..." (٤/ ١٧٠)

الثانية: حذف القسم بلا توطئة له واكتفي باتصال **لام** جوابه بـ **قد**: في أربعة وثلاثين موضعًا، منها قوله:

"أقول: لقد جهدت جهدي..." (٤/ ١٤٦)

دخولها على الماضي المنفيّ بعد قسم ملفوظ: في قوله:

"ولعمري أن لو كان هجومه عليها قبل المعرفة بمجاري وتصريف الدهور وعلاقات الدنيا، والتجربة لتصريف أمورها، لما وصل إلى معرفة صدق النبي إلَّا بعد مقدمات كثيرة، وترتيبات منزلة؛ لأنَّ مشاهد الشواهد إنَّما تضطره المشاهدة لها إذا كان قد جرَّب الدنيا، وعرف تصرُّفها وعادتها قبل ذلك." (٤/ ٦١)

ولم يكن هذا دأب الجاحظ إذ نجده في مواضع أخرى لم يصلها بالماضي أو المضارع المنفيين، في موضعين، هما:

"ولعمري ما غلطت الحكماء حين سمتها أركان الدين والدنيا." (١/ ١٢٥)

"ولعمري ما يكاد ذلك يجيء إلَّا في أقلِّ الأمور، وما كثر مجيء السلامات إلَّا لمن أتى الأمور من وجوهها " (١/ ١٢٢)

دخولها على الفعل المضارع المثبت بـ نون التوكيد بعد القسم الملفوظ والمقدر: في قوله:

"والله لئن رميتني ببجيلة لأرميَنَّك بكنانة، ولئن نهضت بصالح بن علي لأنهضنَّ بإسماعيل بن علي، ولئن صلت علي بسليمان بن وهب لأدمغنَّك بالحسن بن وهب، ولئن تهت علي بمنادمة جعفر الخيَّاط.." (٣/ ٩٨)

النتائج الخاصّة بـ لام القسم:

- دلّت على التوكيد في كلّ المواضع، كما ربطت بين جملتي القسم والجواب.
- اتصلت بالفعل الماضي المسبوق بـ **قد** أكثر من المجرد منها؛ إذ لم تتصل بالمجرد سوى في موضع واحد.

الرابع عشر: لام جواب لو ولولا:

أوَّلًا: في جواب **لو**: وردت على النحو الآتي:

- اتصلت بالماضي المثبت الخالي ممَّا يسبقه وعطفت عليه: في مئتين وعشرين موضعًا، منها قوله:

"ولو كان تقصيرًا لكنت سببي إليه..." (٣/ ٧٥)

- اتصلت بالماضي المسبوق بـ **قد** في أربعة مواضع، منها قوله:

"ولو لم يكن في ذلك إلَّا الشغل عن خوض الخائضين، والبعد عن لهو اللاهين، ومن الغيبة للناس والتمني لما في أيديهم، لقد كان نفع ذلك كثيرًا، وموقعه من الدين والفرض عظيمًا..." (١/ ٢٤٩)

- اتصلت بالماضي المنفيّ بـ **ما** وعطفت عليه: في اثنين وأربعين موضعًا، منها قوله:

"ولو جاز أن يكون الفتح فعل الإنسان من غير أن يكون أراده وقصد إليه، لما كان بين فعل الإنسان وبين فعل غيره فرق..." (٤/ ٥٠)

- اتصلت بالمضارع المنفيّ بـ **ما** في ثلاثة مواضع، منها قوله:

"فلو أنَّه كان معهم من الفضل ما يبهر العقول، ومن المجد ما تحرج فيه العيون، لما أصلح طبائعهم الشيء الذي يفسد جميع الأمة..." (٣/ ٤٦)

وفي العطف على المتصل بـ **لام** الجواب، نجده على أحوال، هي:

- عطف المتصل بـ **اللَّام** ولو تعدد، نحو:

"لو كان أتاهم بكل شيء، ولم يأتهم بمعارضة السحر حتّى يفصل بين الحجة والحيلة، لكانت نفوسهم إلى ذلك متطلعة، ولاعتلَّ به أصحاب الأشغاب، ولشغلوا به بال الضعيف..." (٣/ ٢٧٨)

"وأنت لو حولت ساكني الآجام إلى الفيافي، وساكني السهل إلى الجبال، وساكني الجبال إلى البحار، وساكني الوبر إلى المدر، لأذاب قلوبهم الهم، ولأتى عليهم فرط النزاع..." (٣/ ٢٤٣)

- عطف المتغايرين من حيث اتصال **اللَّام** رغم أنَّها من جنس واحد، نحو:

"لو نازع في الأخبار، وفي الوعد والعيد، والخاص والعامِّ، والناسخ والمنسوخ، والفريضة والنافلة، والسنَّة والشريعة، والاجتماع والفرقة، ثمّ حسنت نيَّته، وناضح عن نفسه، لما عرف حقائق باطل دون أن يكون قد عرف الوجوه، وسمع الجمل، وعرف الموازنة، وما كان في الطبائع، وما يمتنع فيها..." (٣/ ٢٦٥)

"وأمر الأسباب عجيب. ومن ذلك قتل علي بن أبي طالب من السادة والقادة والحماة، ما عسى لو ذكرته لاستكبرته واستعظمته..." (٣/ ٢٥٤)

- عطف المنفيّ المتصل بـ **لام** الجواب على المثبت المتصل بها:

"لو كانوا جمعوا علامات النبي صلى الله عليه وسلم، وبرهانه، ودلائله وآياته وصنوف بدائعه، وأنواع عجائبه في مقامه وظعنه، وعند دعائه واحتجاجه في الجمع العظيم، وبحضرة العدد الكثير الذي لا يستطيع الشكُّ في خبرهم إلَّا الغبي الجاهل، والعدو المائل، لما استطاع اليوم أن يدفع كونها وصحة مجيئها، لا زنديق جاحد، ولا دهري معاند، ولا متطرِّف ماجن، ولا ضعيف مخدوع، ولا حدث مغرور؛ ولكان مشهورًا في عوامنا كشهرته في خواصنا، ولكان استبصار جميع أعياننا.." (٣/ ٢٢٧)

ثانيًا: في جواب لولا: كانت النحو الآتي:

- اتصلت بالماضي المثبت والخالي من **قد** وعطفت عليه: في ستّة وأربعين موضعًا، منها قوله:

" ولولا قوّة الراعي لهلكت الرعية..." (٣/ ١٥١)

- اتصلت بالماضي المسبوق بـ **قد**: في قوله:

"ولولا ما رسمت لنا الأوائل في كتبها، وخلّدت من عجيب حكمها، ودوّنت من أنواع سيرها؛ حتّى شاهدنا بها ما غاب عنا، وفتحنا بها المستغلق علينا، فجمعنا إلى قليلنا كثيرهم، وأدركنا ما لم نكن ندركه إلّا بهم لقد خسَّ حظُّنا في الحكمة، وانقطع سببنا من المعرفة، وقصرت الهمة، وضعفت النية، فاعتقم الرأي وماتت الخواطر، ونبا العقل..." (١/ ٣١٦)

- اتصلت بالماضي المنفيّ بـ **ما**: في أربعة وعشرين موضعًا، منها قوله:

"ولولا أنَّ الشيطان يريد ألَّا يخلو من عمله، ولا يقصر في عادته، لما وسوس إلى غضبان ولا زين له، ولما فتح عليه؛ إذ كان قد كفاه، وبلغ أقصى مناه..." (١/ ٢٦٠)

النتائج الخاصّة بـ لام جواب لو ولولا:

- دلّت على توكيد اتصال الجواب بالشرط في كلّ المواضع.
- دخولها على الماضي أكثر من دخولها على المضارع المنفيّ بـ **ما**؛ إذ لم تدخل عليه سوى في ثلاثة مواضع.
- ورد جواب **لو** ماضيًا مثبتًا في مئتين واثنين وثلاثين موضعًا وقد دخلت **لام** الجواب عليه في مئة وستّة وسبعين موضعًا ممَّا يتّفق مع ما ذهب إليه النُّحاة من أنَّ جواب **لو** إذا كان ماضيًا مثبتًا فإنَّ الأكثر اتصاله بـ **لام** الجواب، في حين أنَّ جوابها ورد منفيًا في تسعة وثلاثين موضعًا وقد اتصلت به **لام** الجواب في تسعة وعشرين موضعًا منها ممَّا يخالف ما ذهب إليه النُّحاة من أنَّ الجواب المنفيّ بـ **ما** الأكثر ألا تسبقه **لام** الجواب.
- دخولها على الماضي المثبت أكثر من المنفيّ بـ **ما** وهذا بنسبة ٨٠,٤١٪.
- الأكثر في المعطوف المتوافرة فيه الشروط الاتصال بـ **اللَّام**.

الخامس عشر: اللَّام الموطئة للقسم:

وردت في **رسائل الجاحظ** مع **إنْ** الشرطية فقط في ثلاثة عشر موضعًا، منها قوله:

"لئن اعتذرنا لأنفسنا بصدق المودة وبجميل الذكر..." (٤/ ١٩٤)

النتائج الخاصّة بـ اللَّام الموطئة للقسم:

- لم ترد إلَّا مع **إنْ** الشرطية ممَّا يضعف ما ذهب إليه بعض النُّحاة من جواز دخولها على أدوات الشرط الأخرى.
- لم تلزم الذكر سوى مع حذف القسم.

السادس عشر: اللَّام المزحلقة:

دلّت على التوكيد في كلّ المواضع كما أنَّها لم ترد عند الجاحظ إلَّا مع خبر **إنَّ** على النحو الآتي:

- دخولها على الخبر المتأخر المفرد: في ثمانية مواضع، منها قوله:

"وإنِّي لذو حاجة إلى غذاء أنوه به فؤادي، وأشد به آدى، فقد والله بلغ مني المجهود، وأدرك منِّي المجلود." (٢/ ٣٩٦)

- دخولها على الفعل المضارع المثبت: في عشرين موضعًا، منها قوله:

"ولعمري، إنَّا لنجد في الصبيان من لو لقَّنته، أو كتبت له أغمض المعاني وألطفها، وأغمض الحجج وأبعدها، وأكثرها لفظًا وأطولها، ثمّ أخذته بدرسه وحفظه لحفظه حفظًا عجيبًا، ولهذه هذا ذليقًا." (٤/ ٣١)

النتائج الخاصّة بـ اللَّام المزحلقة:

- لم تتصل إلَّا بخبر **إنَّ** وفق ما ذكره النُّحاة.
- دلّت على التوكيد في كلّ المواضع.
- دخلت على المضارع المثبت أكثر من دخولها على الخبر المفرد وهذا بنسبة ٧١,٤٢٪.

السابع عشر: ما الكافَّة:

اتصلت **ما** الكافَّة في **رسائل الجاحظ** بما يأتي:

أوَّلًا: اتصلت بـ **حيث** من الأسماء فقط: في موضعين قوله:

"يدور مع التدبير حيثما دار، ويقيم مع الحزم حيثما أقام أقاموا إقامة من منح الحظِّ، ودان بالحقِّ، ونبذ العادة، وآثر الحقيقة، ورحل نفسه لقطيعة وطنه، وآثر الإمامة على ملك الجبريَّة، واختار الصواب على الإلف." (١/ ٦٦)

ثانيًا: اتصلت بالفعل **قلَّ** من الأفعال فقط: في ثلاثة مواضع، هي:

"وقلَّما يجد من يخاصمه، ولا يلفي أبدًا من يناضله.." (٤/ ٢٣١)

"وقلَّ ما يظهر المعشوق عشقًا.." (٢/ ١٦٩)

"وقل ما يكون عشق بين اثنين يتساويان.." (٢/ ١٦٩)

ثالثًا: اتصلت بالحروف الناسخة **وإنّ، وأنَّ، وكأن** فقط على النحو الآتي:

أوَّلًا: اتصالها بـ **إنَّ**: في سبعة وأربعين موضعًا وقد دخلت **إنَّ** بعد اتصال **ما** بها على ما يأتي:

أوَّلًا: على الجملة الاسميّة وتعد في هذا الموضع كافَّة فقط؛ لجواز إعمالها لولا **ما** الكافَّة فيما بعدها: في سبعة عشر موضعًا، منها قوله:

"والذي يجوز بين العباد إنَّما هو تعزير أو حدٌّ، أو قود أو قصاص، أو حبس أو تغريب.." (١/ ٢٧٥)

ثانيًا: على الجملة الفعليّة وهي هنا تعد كافَّة ومهيئة في آن واحد؛ لأنَّ (**ما** الكافَّة هيئتها لما لا يجوز أن تدخل عليه، ودخولها على الجملة الفعليّة ورد بصورتين:

الأولى: دخولها على الجملة الفعليّة الماضي فعلها: في تسعة عشر موضعًا، منها قوله:

"وكان يقول: إنَّما وضعت الأسماء على أقدار المصلحة..." (٣/ ٣٣٠)

الثانية: دخولها على الجملة الفعليّة المضارع فعلها: في أحد عشر موضعًا، منها قوله:

"والحرة إنَّما يستشار في جمالها النساء، والنساء لا يبصرن من جمال النساء..." (٣/ ١٥٧)

ثانيًا: دخولها على **أنَّ**:

في قوله: "ومن العجب أنَّهم يزعمون أنما تصرع المرأة لأنَّ واحدا من الجن عشقها، وأنَّه لم يأتها إلَّا على شهوة الذكر للأنثى، أو شهوة الأنثى للذكر..." (٢/ ٣٧٢)

ثالثًا: اتصالها بـ **كأنَّ** :في قوله:

"ويستدلّ على كرم طينهم ببياض كيزانهم وعذوبة الماء البائت في قلالهم، وفي لون آجرهم، كأنَّما سبك من محِّ بيض..." (٤/ ١٤١)

النتائج الخاصّة بـ ما الكافَّة:

- اتصالها بالحروف أكثر من اتصالها بالأسماء والأفعال وهذا بنسبة ٩٠,٧٤٪.
- اتصالها بـ **إنَّ** أكثر من اتصالها بـ **أنَّ** و**كأنّ** حيث لم تتصل بهما إلَّا في موضعين فقط.
- دلّت على الحصر في اتصالها بالحروف.
- اتصلت بـ **حيث** وهيئتها للشرط.
- اتصلت بالفعل الماضي وكفته عن طلب الفاعل.
- لما اتصلت بـ **إنَّ** كفتها عن العمل وهيئتها للدخول على الجملة الفعليّة أكثر من الاسميّة وهذا بنسبة ٦٥,٩٥٪.

الثامن عشر: ما غير الكافَّة:

زيدت **ما** غير الكافَّة في **رسائل الجاحظ** في المواضع الآتية:

بعد إذا: في موضعين، هما:

"فإمَّا إذا ما تمَّ الأمر بينهما، فإن بيعهما وابتياعهما حلال..." (٢/ ٣٥٦)

"حتّى إذا ما قابلت بين مرجُّوهما ومخوّفهما، وبين تقديم اللَّذة وخوف الآخرة، وبين تعجيل المكروه وتأميل العاقبة، وجدتهما في الحدر والرفع، وفي القبض والبسط سواء..." (٤/ ٥٨)

بعد كلمة **أمر**: في موضعين، هما:

"يريد أن يسوى بالكفاة، ويرفع فوق الحماة، لأمر ما سلف له، ولإحسان كان من غيره، وليس ممَّن يربُّ قديم مجد..." (١/ ٧)

"وقلت: لأمر ما جمعوا أسباع القرآن وسوره في مصحف..." (١/ ٢٤٧)

النتائج الخاصّة بـ ما غير الكافَّة:

-قيل بزيادتها بعد **إذا** لعدم لزومها فـ **إذا** تكون أداة شرط تلتها **ما** أم لم تلها.

- ولعلَّ الغرض من زيادتها هنا تأكيد النكرة التي سبقتها لأنَّها **ما** موغلة في التنكير.

التاسع عشر: ما النافية الداخلة على الجملة الفعليّة:

وقد وردت عند الجاحظ في واحد وتسعين موضعًا على النحو الآتي:

أوَّلًا: دخولها على الجملة الفعليّة الماضي التام فعلها: في اثنين وخمسين موضعًا، منها قوله:

"ولو كانت الأشربة كلّها عند أهل اللغة في القديم خمرا لما احتاجوا إلى أهل الروايات في الخمر..." (٤/ ٢٧٥)

ثانيًا دخولها على الجملة الفعليّة الماضي الناقص فعلها: في اثنين وعشرين موضعًا، منها قوله:

"ولو كان في الكبر خير لما كان في دهر الجاهلية أظهر منه في دهر الإسلام، ولما كان في العبد أفشى منه في الحر، ولما كان في دهره الجاهلية أظهر منه في دهره الإسلام، ولما كان في العبد أفشى منه في الحر، ولما كان في السند أعمُّ منه في الروم والفرس..." (٤/ ١٨٢)

ثالثًا دخولها على الجملة الفعليّة المضارع التام فعلها: في ثلاثة عشر موضعًا، منها قوله:

"وما أعرف هاهنا اجتماعًا على مشاكلة إلَّا في الإيثار بخبر الخُشكار على الحواري.." (١/ ٢٦٦)

رابعًا: دخولها على الجملة الفعليّة المضارع الناقص فعلها: في أربعة مواضع، منها قوله:

"وما أظنُّ من أحسن بك الظنَّ إلَّا وقد خالف الحزم..." (٣/ ٣١)

النتائج الخاصّة بـ ما النافية الداخلة على الجملة الفعليّة:

- دلّت على النفي في كلّ المواضع.
- دخلت على الجملة الفعليّة الماضي فعلها أكثر من المضارع فعلها وهذا بنسبة ٨١,٣١٪، ويعد دخولها على الفعل التام أكثر من الناقص.

العشرون: نعم:

وردت في سياقين:

أوَّلًا: في صدر جملة لا سؤال قبلها للتوكيد: في أحد عشر موضعًا، منها قوله:

"وأما المواد فلا تعرض له البتة، ولا تلتفت لفته، ولو أتى على الحرث والنسل، وحتَّى على الروح والقلب. ولا تغتر بقوله إنيّ وادٌّ، ولا تحكم له بدعواه بأني جدّ وامق. وانظر أنت في حديثه وإلى مخارج لفظه، وإلى لحن قوله، وإلى طريقته وطبيعته، وإلى خلقه وخليقته، وإلى تصرُّفه وتصميمه وإلى توقُّفه وتهوُّره. ...

نعم، ثمّ لا تحكم له بذلك حتّى تكون حاله مقصورة على محَّبتك، ومحنوة على نصيحتك، بالعلل التي توجب الأفعال..." (١/ ٢٣٩)

ثانيًا: حرف إيجاب على سؤال افتراضي في مناظرة تخيليّة: في موضعين، هما:

"قيل لهم: أو ليس اعتقاد خلاف ذلك أجمع باكتساب؟ فإن قالوا: نعم. قيل لهم: فإذا كان اعتقاد الحق واعتقاد الباطل باكتساب أفليس كلّ واحد من المكتسبين عند نفسه على الصواب؟ فإذا قالوا: نعم. قيل لهم: أو ليس كلّ واحد منهما ساكن القلب إلى مذهبه واختياره؟ فإذا قالوا نعم قيل لهم: فما يؤمّن المحقُّ من الخطأ؟..." (٤/ ٥٣)

النتائج الخاصّة بـ نعم:

- ورودها في صدر جملة لا سؤال قبلها يعد أكثر الموقعين اللذين وردت فيهما، ولا ضير في هذا؛ لأنَّ التصديق بعد الاستفهام يقتضي مواجهة بين متكلم ومخاطب في مواقف حيه أما الرسائل فلا يتوفر فيها هذا؛ لذلك فإنَّ ما فيها كان من باب تصدر جملة أرى أنَّها تذكيرًا وتوكيدًا لجملة قبلها لتثبيتها في ذهن القارئ ولبيان رغبة الجاحظ في الإصرار عليها، وليست حرف إعلام لسؤال مقدر إذ لا ضرورة لتقديره؛ وممَّا يلاحظ على استعمال الجاحظ لها أنَّ ما بعدها فيه إشارة لما قبلها ممَّا يؤكد أنَّها استعملت فيها للتوكيد.

الواحد والعشرون: نون الوقاية:

وردت **نون** الوقاية في **رسائل الجاحظ** مع الأفعال والحروف على النحو الآتي:

أوَّلًا: اتصلت بالأفعال: وهذا في مئة وثلاثة وأربعين موضعًا، منه قوله:

"والذي دعاني إلى وضع جميع هذه الأشربة..." (١/ ٣١٧)

ثانيًا: اتصلت بالحروف الناسخة وحروف الجرّ: وهذا على النحو الآتي:

أوَّلًا: مع الحروف الناسخة: وهذا في تسعة وستّين موضعًا، منها قوله:

"أني لم أقل إلَّا بعد الحجّة..." (٢/ ١٨٨)

ثانيًا: مع حروف الجرّ: وهذا في ستّة عشر موضعًا، منها قوله:

"ومن السجع أن يظهر مني، ومن الصنعة أن تعرف في كتبي، ومن العجب بكثير ما يكون مني...." (٤/ ٢٥٣)

النتائج الخاصّة بـ نون الوقاية:

- قامت بوظيفتها وهي حماية ما دخلت عليه من الكسر.
- لزمت الأفعال.
- في الحروف الناسخة وردت كما نص النُّحاة لزمت **ليت** وترددت بين الدخول وعدمه مع **إنّ، أنّ، لكنّ، كأنّ** ولم ترد مع **لعلَّ**.

الثاني والعشرون: واو الاستئناف:

وردت في رسائل الجاحظ في أربعمئة وتسعة وثمانين موضعًا، وقد دخلت على الجملتين الاسميّة والفعلية على النحو الآتي:

أوَّلًا: دخولها على الجملة الاسميّة: في مئتين وسبعة وأربعين موضعًا، منها قوله:

"والحبّ اسمٌ واقع على المعنى الذي رسم به ..." (٢/ ١٦٧)

ثانيًا: دخلوها على الجملة الفعليّة: في مئتين واثنين وأربعين موضعًا، منها قوله:

"ورأيتُ المتأدِّب من البرامكة المتفلسف منهم، إذا سافر سفراً أخذ معه من تربة مولده في جرابٍ يتداوى به. ..." (٢/ ٤١٠)

النتائج الخاصّة بـ الواو الاستئنافيّة:

- وردت داخلة على الجملتين الاسميّة والفعلية بنسب متقاربة.
- دلّت على الاستئناف في كلّ المواضع.

الثالث والعشرون: واو الحال:

أوَّلًا: دخولها على الجملة الاسميّة: في مئتين وثلاثة وثمانين موضعًا، منها قوله:

"فأما إسلامه وهو حدث غرير، وصبي صغير، فهذا ما ندفعه؛ غير أنَّه إسلام تأديب وتلقين وتربية." (٤/ ٢٠)

ثانيًا: دخولها على الجملة الفعليّة ويندرج تحتها الآتي:

أوَّلًا: دخولها على الجملة الفعليّة الماضي فعلها: وله عدَّة صور:

الأولى: الفعل الماضي الخالي من قد ويندرج تحته نوعان:

الأوَّل: الماضي المتصرف: في ثلاثة وثلاثين موضعًا، منها قوله:

"وشهد مزبِّد المديني عند قاضي المدينة بشهادة؛ وكان ذلك القاضي مفرط الحدة..." (٢/ ٢٣٩)

الثاني: الماضي الجامد: في ستّة وعشرين موضعًا، منها قوله:

"فإن كان ذلك كذلك فلم سميتموه بالغًا، وليس في طاقته بعد العلم يفصل ما بين النبيّ والمتنبي؟" (٤/ ٦٢)

الثانية: الفعل الماضي المقترن بـ قد: في خمسة وأربعين موضعًا، منها قوله:

"وما أظنُّ من أحسن بك الظنَّ إلَّا وقد خالف الحزم..." (٣/ ٣١)

الثالثة: الفعل الماضي المنفي: في عشرة مواضع، منها قوله:

"وساد أبو جهل وما طرَّ شاربه، ودخل دار الندوة وما استوت لحيته..." (٤/ ١٨٤)

ثانيًا: دخولها على الجملة الفعليّة المضارع فعلها وله عدَّة صور:

الأولى: المضارع المثبت: في ثلاثة مواضع، منها قوله:

"وكيف تسلم القينة من الفتنة أو يمكنها أن تكون عفيفة، وإنَّما تكتسب الأهواء.." (٢/ ١٧٦)

الثانية: المضارع المنفيّ بـ لم: في عشرين موضعًا، منها قوله:

"لأنَّ الناس يعلمون أن لو وضع في إحدى كفتي الميزان شيء ولم يك في الأخرى قليل ولا كثير، لم يكن للوزن معنى..." (١/ ١٠١)

الثالثة: المضارع المنفيّ بـ لا وما: تسعة مواضع، منها قوله:

"قد يجتمع الحب والهوى ولا يسميان عشقًا..." **(٢/ ١٦٨)**

ثالثًا: دخولها على الجملة شرطية:

"لا تعرض له البتَّة... ولو أتى على الحرث..." (١/ ٢٣٩)

"آية أخرى لا يعرفها إلَّا الخاصّة، ومتى ذكرت الخاصّة فالعامَّة في ذلك مثل الخاصّة...." (٣/ ٢٨٠)

رابعًا: دخولها على صيغة تعجب:

"قد أقبل بوجوه الناس إليه، وما أحمقهم إذ انثالوا عليه...." (٣/ ٨)

النتائج الخاصّة بـ واو الحال:

- أنَّه لم تقع الجملة الاسميّة حالًا إلَّا وفيها ضمير عائد على صاحبها سواء صدر ليكون مبتدأ أو اتصل الضمير بالخبر أو معموله، ويعد هذا أكثر مواضعها ورودًا.
- أنَّ وقوع الفعل الماضي حالًا متصلًا بـ **الواو** في أكثر أحواله أن يكون مقترنًا بـ **قد** وعلته "أنَّ **قد** تقرب الماضي من الحال، وتلحقه بحكمه، وهذه واو الحال، ولأنه بدخول "قد" أشبه الجملة الاسميّة من حيث إنَّ الجزء الأوَّل من الجملة ليس فعلا"[1].
- أنَّ وقوع الفعل المضارع حالًا متصلًا بـ **الواو** أكثر أحواله أن يكون منفيًا سواء بـ **لم** أو **لا** أو **ما**؛ لأنَّ "الفعل المضارع إذا دخل عليه النافي، جاز دخول الواو عليه وتركها، لشبهها بالجملة الاسميّة

(١) شرح المفصَّل لابن يعيش، ابن يعيش (٢/ ٣٠)

من حيث صار أوَّل جزء منها غير فعل"[1]. لهذا نستطيع القول أنَّ الجملة الحالية كلما اقتربت من مشابهة الجملة الاسميّة كثر اتصالها بـ **الواو**.

- قامت **واو** الحال بدورها في ربط جملة الحال بالجملة السابقة عليها.

الرابع والعشرون: واو الاعتراض:

وردت في رسائل الجاحظ في واحد وعشرين موضعًا، وقد دخلت على الجملتين الاسميّة والفعلية على النحو الآتي:

أوَّلًا: دخولها على الجملة الاسميّة: في سبعة عشر موضعًا، منها قوله:

"حكمت وكيل الله عندك – وهو عقلك – على هواك..." (١/ ٩٢)

ثانيًا: دخولها على الجملة الفعليّة: في أربعة مواضع، منها قوله:

" فذلك احتاجوا إلى الحكَّام – وقد أطلق لهم تصريف أخلاقهم وأماناتهم – ..." (١/ ١٦١)

النتائج الخاصّة بـ واو الاعتراض:

- رافقت الجملة الاعتراضية.
- دخولها على الجملة الاسميّة أكثر من الفعليّة وهذا بنسبة ٨٠,٩٢٪.

الخامس والعشرون: الواو الزائدة:

وقد وردت في رسائل الجاحظ في عشرين موضعًا، منها قوله:

"في الظهور بعد الفضائل التي أوجدناكها في البطون، إما قياسًا، وإما اختياراً، وإما ضرورة، وإما اختباراً وإما اكتساباً، أو في كتاب منزل، أو سنَّة مأثورة، أو عادة محمودة، أو صلاح على خير...." (٤/ ١٦٦)

النتائج الخاصّة بـ الواو الزائدة:

- اقتصرت على الورود قبل **إمّا** العاطفة حيث لا يمكن توالي عاطفين لغرض واحد فخرجت **الواو** على الزيادة، والدلالة على التوكيد.

---

(١) شرح المفصَّل لابن يعيش، ابن يعيش (٢/ ٣٠)

السادس والعشرون: واو اللصوق:

وقعت واو اللصوق في المواضع الآتية:

أوَّلًا: دخولها على الجملة الاسميّة: في عشرين موضعًا، منها قوله:

"وليس يرى من قرب القرية التي يقال لها النيل إلى أقصى أنهار الكوفة نخلة طالت شيئا إلَّا وهي معوجَّة كالمنجل" (٤/ ١٤٢)

ثانيًا: دخولها على الجملة الفعليّة: وقد وردت على النحو الآتي:

أوَّلًا: الجملة الفعليّة الماضي فعلها: في أربعة مواضع، منها قوله:

"وليس في الأرض صناعة غريبة من أدب وحكمة.. نظرت فيها الخراسانية إلَّا وبرعت فيها الرؤساء، وبزَّت فيها العلماء.." (١/ ٢٠)

ثانيًا: الجملة الفعليّة المضارع فعلها: في قوله:

"ولا فتاة إلَّا تشكو تباريح حبِّك.." (٣/ ٨٦)

النتائج الخاصّة بـ واو اللصوق:

- وردت الجملة الاسميّة بعدها أكثر من الفعليّة وهذا بنسبة ٨٠٪، وبه يتبين أنَّ الجاحظ لم يلتزم باشتراط الجملة المضارعية بعدها بل وقع بعدها الجملة الاسميّة والجملة الفعليّة الماضي فعلها.

النتائج العامة للحروف المتفرّقة المشتركة:

وردت حروف المتفرّقة المشتركة في **رسائل الجاحظ** على النحو الآتي:

أوَّلًا: أنْ الزائدة: وردت بنسبة ٠,١٥٪.

ثانيًا: إنْ النافية: وردت في موضع واحد.

ثالثًا: بل الابتدائية: وردت بنسبة ١,٨٤٪.

سادسًا: الفاء التزيينيّة: وردت بنسبة ٠,١٥٪.

سابعًا: الفاء الزائدة: وردت بنسبة ١,٣٨٪.

ثامنًا: الفاء الداخلة على جواب الشرط: وردت بنسبة ٦,٩٥٪.

تاسعًا: الفاء الداخلة على جواب أمّا: وردت بنسبة ٣,٤٢٪.

عاشرًا: الفاء الفصيحة: وردت بنسبة ١١,٥١٪.

الحادي عشر: لا الزائدة: وردت بنسبة ٨,٠٨٪.

الثاني عشر: لا النافية الداخلة على الجملة الفعليّة: وردت بنسبة ٢٥,٧٨٪.

الثالث عشر: لام الابتداء: وردت بنسبة ٠,٦٣٪.

الرابع عشر: لام جواب القسم: وردت بنسبة ١,٢٥٪.

الخامس عشر: لام جواب لو ولولا: وردت بنسبة ٨,٦٩٪.

السادس عشر: اللَّام الموطئة للقسم: وردت بنسبة ٠,٣٣٪.

السابع عشر: اللَّام المزحلقة: وردت بنسبة ٠,٧١٪.

الثامن عشر: ما الكافَّة: وردت بنسبة ١,٣٨٪.

التاسع عشر: ما غير الكافَّة: وردت في أربعة مواضع فقط.

العشرون: ما النافية الداخلة على الجملة الفعليّة: وردت بنسبة ٢,٣٢٪.

الواحد والعشرون: نعم: وردت بنسبة ٠,٣٣٪.

الثاني والعشرون: نون الوقاية: وردت بنسبة ٥,٨٣٪.

الثالث والعشرون: واو الاستئناف: وردت بنسبة ١٢,٥٪.

الرابع والعشرون: واو الحال: وردت بنسبة ١١,٠٢٪.

الخامس والعشرون: واو الاعتراض: وردت بنسبة ٠,٥٣٪.

السادس والعشرون: الواو الزائدة: وردت بنسبة ٠,٥١٪.

السابع والعشرون: واو اللصوق: وردت بنسبة ٠,٦٣٪.

وبهذا يظهر أنَّ أكثر الحروف ورودًا **لا** النافية الداخلة على الجملة الفعليّة، **واو** الاستئناف، ثمّ **الفاء** الفصيحة. كما وجد أنَّ هذه الحروف لم تخرج في دلالتها واستعمالها عمَّا قرَّره النُّحاة.

الخاتمة

أحمد الله عزَّ شأنه وأثني عليه حمدًا وثناءً لائقين بجلاله وعظمته أن بلَّغني هذه المرحلة، ويسّر لي إتمام هذه الرحلة الشاقَّة والمحفوفة بالمخاطر في هذا البحث والتي خففها لطف الله، ثمّ مرافقة أدب الجاحظ ولغته الراقية، في بحث بعنوان: **حروف المعاني في رسائل الجاحظ دراسة في التركيب والدّلالة** حيث استقصى البحث جميع حروف المعاني المذكورة في **رسائل الجاحظ** وعرضها على ما ورد عند النُّحاة من ضوابط استعمالها، وأحكامها، ودلالاتها.

وبعد رصد جميع حروف المعاني وعرضها على ما ذكر عند النُّحاة من حيث ضوابط وأحكام استعمالها، وتراكيبها، ودلالتها، ألحق كلّ حرف بنتائج تبيّن تراكيبه ودلالاته ومدى توافقها مع ما ذكر عند النُّحاة وأيَّها أكثر ورودًا من غيرها إحصائيًا، ثمّ قائمة نتائج في آخر كلّ مبحث تبيّن الحروف الواردة وغير الواردة، وكذلك أكثر الحروف وأقلَّها ورودًا.

ومن نتائج هذا البحث أنَّ حروف المعاني ودلالاتها واستعمالاتها عند الجاحظ قد وردت متوافقة مع ما ذكر في كتب النحو إلى حدٍّ بعيدٍ؛ ممَّا يحث على الاستفادة منها بتعزيز الأمثلة النحويَّة والابتعاد عن الأمثلة المصنوعة التي تفقد الروح والمعنى، ومنها أيضًا أنَّ أكثر حروف المعاني ورودًا، هي: الحروف المختصَّة بالأسماء وخاصة منها **أل** التعريف، ثمَّ الحروف المشتركة وخاصَّة **واو العطف**، ثمَّ الحروف المختصَّة بالأفعال وخاصَّة **لم**.

وجد البحث الفرق بين اللغة المنطوقة والمكتوبة وغياب روح اللغة التداوليَّة قد بان أثره في لغة الرسائل في أمرين: الأول قلَّة ورود حروف الاستفهام والنداء؛ ولعلَّ هذا لتطلُّبها مباشرة بين المتكلم والمخاطب والمتكلم، والآخر قلَّة المعاني الحقيقيَّة مقابل المعاني المجازيَّة في كلٍ من حروف النهي والاستفهام والأمر؛ إذ لم يجد البحث هذه المعاني بصورة حقيقيَّة كما في اللغة المنطوقة.

وجد البحث أن ما ذكره النُّحاة من أن لكل حرف معنى عامٍ قد تقرَّر في الرسائل فقد وجد أن **إلى** معناها العامّ الانتهاء، و**في** الظرفيَّة، و**عن** المجاوزة، **وعلى** الاستعلاء، و**اللَّام** الاختصاص، **والكاف** التشبيه، **والباء** الإلصاق، و**الواو** الجمع والربط وإن تعددت وظائفها النحويَّة سواء كانت حرف عطف أو للحال أو للاستئناف أو الاعتراض، و**الفاء** الترتيب والتعقيب مهما تعدَّدت وظائفها النحويَّة سواء كانت سببيَّة أو للاستئناف.

وجد البحث أنَّ ما يتردَّد حول أنَّ لغة النثر لغة سعة واختيار كلامٌ صحيح إلى حدٍّ بعيدٍ جدًّا فلم يجد ما زخرت به اللغة الشعريَّة من الشذوذ والاضطرار. ومن حيث دلالة الحروف فإنَّها لم تخرج في غالب مواضعها عن المعاني التي قرَّرها النُّحاة إلَّا في المواضع التي ألقى السياق اللغويُّ وغير اللغويُّ بضلاله عليها.

وهذا البحث يقدِّم بين أيدي المتخصصين نتائج مستخلصة إحصائيًا تمكِّنهم من قراءة الأحكام النحوية بأمثلة واقعيّة، والوقوف على واقع الأحكام النحوية وما هو مستعمل منها وما هو مهمل.

ونظرًا لما وجده البحث من العنت والصعوبة الشديدتين في جمع المادة، ومعالجتها؛ لطول المدونة ولأهمية النثر في قراءة النحو العربي؛ فإنَّه يوصي بإنشاء برامج معالجة للنصوص عربيَّة اللغة والمنشأ تراعي طبيعة اللغة العربية، وتصدر عنها عن طريق الاشتراك مع الأقسام المختصصة في الحوسبة. كما يوصي البحث بربط الطلاب في التعليم العام والجامعي في التمثيل للقواعد النحوية بمثل هذه النصوص الأدبية الرصينة ذات اللغة السهلة البسيطة قريبة التناول تعويضًا عن الأمثلة الميتة المكرورة التي في الكتب والتي لا ينشط لها الطلاب، وبعض الأمثلة التي لا يستسيغون مفرداتها فضلًا عن دراستها وتحليلها.

فهرس المصادر والمراجع

- ارتشاف الضرب من لسان العرب، أبو حيّان محمد بن يوسف الأندلسيّ، تحقيق: رجب عثمان محمد، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.
- الأزهية في علم الحروف، علي محمد الهرويُّ، تحقيق: عبد المعين الملوحيُّ، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، دمشق، ١٤١٣هـ.
- الأساليب الانشائيّة في النحو العربي، عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجيِّ، القاهرة، الطبعة الخامسة، ١٤٢٠هـ.
- الأشباه والنظائر في النحو، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطيُّ، تحقيق: غازي مختار طليمات، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، دمشق، ١٤٠٧هـ.
- الأصول في النحو، محمد بن السريِّ ابن السراج، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، لبنان — بيروت.
- ألفية ابن مالك، ابن مالك الطائيّ الجيَّانيّ، دار التعاون.
- أمالي ابن الحاجب، ابن الحاجب، تحقيق: فخر صالح سليمان قدارة، دار الجيل، بيروت، ١٤٠٩هـ.
- الإيضاح في شرح المفصل، ابن الحاجب، تحقيق: موسى بناي العليليّ، مطبعة العانيّ، بغداد.
- الإيضاح في علل النحو، أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجيّ، تحقيق: الدكتور مازن المبارك، دار النفائس، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٤٠٦ هـ -١٩٨٦ م.
- بدائع الفوائد، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن القيّم، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.
- بناء الجملة العربية، محمد عبداللطيف حماسة، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠٠٣م.
- تاريخ بغداد، الخطيب البغداديُّ، تحقيق: د. بشار عوَّاد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢ م.
- التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل، أبو حيّان محمد بن يوسف الأندلسيُّ، تحقيق: د. حسن هنداويُّ، دار القلم، دمشق (من ١ إلى ٥)، دار كنوز إشبيليا، الرياض (من ٦ إلى ١٣).
- تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، جمال الدين محمد بن عبدالله ابن مالك، تحقيق: محمد كامل بركات، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م.
- التعليقة على كتاب سيبويه، أبو علي الحسن بن أحمد الفارسيّ، تحقيق: د. عوض بن حمد القوزيُّ، مطبعة الأمانة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م

- البحر المحيط، أبو حيّان محمد بن يوسف الأندلسيُّ، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، وشارك فيه د. زكريا عبد المجيد النوقيّ، د. أحمد النجوليّ الجمل، دار الكتب العلميَّة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ.
- تقويم الفكر النحويِّ، علي أبو المكارم، دار غريب، القاهرة، ٢٠٠٥م.
- تهذيب اللغة، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهريّ، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.
- جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن الأزديُّ ابن دُريد، تحقيق: رمزي منير بعلبكيُّ، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م.
- الجنى الداني في حروف المعاني، بدر الدين حسن المراديّ، تحقيق: د. فخر الدين قباوة، الأستاذ محمد نديم فاضل، دار الكتب العلميَّة، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٣ هـ – ١٩٩٢ م.
- حاشية الخضريِّ على شرح ابن عقيل على ألفيَّة ابن مالك، محمد مصطفى الخضريُّ، ضبط وتشكيل وتصحيح: يوسف الشيخ البقاعيُّ، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ.
- حاشية الشهاب على تفسير البيضاويِّ المسمَّاة (عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاويِّ)، أحمد بن محمد بن عمر الخفاجيُّ المصريُّ الحنفيُّ الشهاب، دار صادر، بيروت.
- حاشية الصبَّان على شرح الأشمونيِّ لألفيَّة ابن مالك، أبو العرفان محمد بن علي الصبّان، ضبط وتصحيح: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلميَّة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ –١٩٩٧م.
- حروف المعاني العاملة في سنن أي داوود معانيها أحكامها واستعمالاتها (دراسة نحويَّة تطبيقيَّة)، عبد العزيز عبد الله الروميّ، (رسالة دكتوراه)، جامعة أمِّ القرى، مكة المكرمة، ١٤٢٤– ١٤٢٥هـ.
- خزانة الأدب ولبُّ لباب لسان العرب، عبد القادر بن عمر البغداديِّ، تحقيق: هارون عبد السلام، مكتبة الخانجيّ، القاهرة، ١٤١٨هـ.
- خطاب الأخلاق والهويَّة في رسائل الجاحظ مقاربة بلاغيَّة حجاجيَّة، محمد مشبال، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمّان، ٢٠١٥م.
- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، شهاب الدين أحمد بن يوسف بن عبد الدائم الحلبيّ، تحقيق: الدكتور أحمد محمد الخرَّاط، دار القلم، دمشق، ١٤٠٦هـ.
- دراسات في فلسفة اللغة والنحو والصرف والرسم، مصطفى جوَّاد، مطبعة السعد، بغداد، ١٩٦٨م.
- دراسات لأسلوب القرآن الكريم، محمد عبد الخالق عضيمة، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٥هـ.

- دلائل الإعجاز في علم المعاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجانيّ، تحقيق: محمود محمد شـــاكر أبو فهر، مطبعة المدنيّ، القاهرة، الطبعة الثالثة ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.
- رسائل الجاحظ، الجاحظ، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجيّ، القاهرة، أربعة أجزاء الأوَّل والثاني منها طبع في ١٩٦٤م، والثالث والرابع منها في ١٩٧٩م.
- رصف المباني في شرح حروف المعاني، أحمد عبدالنور المالقيّ، تحقيق: أحمد محمد الخرَّاط، دار القلم، دمشق، ٢٠٠٣م.
- سـرُّ صـناعة الإعراب، أبو الفتح عثمان ابن جنيّ، تحقيق: حسـن هنداويُّ، دار القلم، دمشـق ١٩٨٥م.
- السمات التفريعيّة للفعل في البنية التركيبيّة مقاربة لسانيّة، أحمد حسانيُّ، ديوان المطبوعات الجامعيَّة، الجزائر.
- شرح تسهيل الفوائد، محمد بن عبد الله، ابن مالك الطائيُّ الجيَّانيُّ، تحقيق: د. عبد الرحمن السيد، د. محمد بدوي المختون، هجر للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
- شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو، خالد بن عبدالله الأزهريُّ، دار الكتب العلميَّة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م
- شرح الرضيّ على الكافية، الرضي الاستراباذيّ، تصحيح وتعليق: يوسف حسن عمر، جامعة قاريونس، ليبيا، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٨م.
- شرح المفصَّل للزمخشريّ، أبو البقاء موفق الدين ابن يعيش، قدم له الدكتور إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلميَّة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م
- شرح كتاب سيبويه (رسالة دكتوراه)، علي بن عيسى الرمانيّ، تحقيق: محمد إبراهيم شيبة، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤١٤- ١٤١٥هـ.
- شرح كتاب سيبويه، أبو سعيد الحسن بن عبد الله السيرافيّ، تحقيق: أحمد حسن مهدليّ، علي سيد علي، دار الكتب العلميَّة، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨ م
- الصـاحبيُّ في فقه اللغة العربية ومسـائلها وسـنن العرب في كلامها، أحمد بن فارس الرازيّ، تحقيق: محمد علي بيضون، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ-١٩٩٧م
- علل النحو، أبو الحسن محمد بن عبدالله ابن الورَّاق، تحقيق: محمود جاسم محمد الدرويش، مكتبة الرُّشد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩م

- كتاب التعريفات، علي الشريف الجرجانيّ، تحقيق: ضبطه وصحَّحه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلميَّة بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م
- كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيديّ، تحقيق: د مهدي المخزوميُّ، د إبراهيم السامرائيُّ، دار ومكتبة الهلال.
- كتاب في المنطق، أبو نصر الفارابيّ، تحقيق: د. محمد سليم سالم، دار الكتب، القاهرة، ١٩٧٦م.
- الكتاب، سيبويه، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجيّ، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، الزمخشريّ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ.
- الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغويّة، أبو البقاء الكفويُّ، تحقيق: عدنان درويش، محمد المصريُّ، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٩هـ.
- اللباب في علل البناء والإعراب، أبو البقاء عبدالله بن الحسين العكبريُّ، تحقيق: د. عبد الإله النبهان، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ ١٩٩٥م
- لسان العرب، ابن منظور، تحقيق: عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذليُّ، دار المعارف، القاهرة.
- اللغة العربية معناها ومبناها، تمَّام حسَّان، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الخامسة، ١٤٢٧هـ.
- اللغة، جوزيف فندريس، ترجمة: عبد الحميد الدواخليُّ، محمد القصَّاص، مكتبة الإنجلو المصريَّة، القاهرة، ١٩٥٠م.
- المحتسَب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، أبو الفتح عثمان ابن جنيّ، تحقيق: علي النجديُّ ناصف، عبد الحليم النجَّار، عبد الفتاح إسماعيل شلبيُّ، وزارة الأوقاف المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ١٤٢٠هـ.
- المرتجل (في شرح الجمل)، أبو محمد عبدالله بن أحمد ابن الخشّاب، تحقيق: علي حيدر، دمشق، ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢م.
- معترك الأقران في إعجاز القرآن، جلال الدين السيوطيُّ، تحقيق: أحمد شمس الدين،ط١،لبنان، بيروت، دار الكتب العلميَّة، ١٤٠٨هـ.
- المعجب في علم النحو، رؤوف جمال الدين، منشورات دار الهجرة، إيران، د.ت.

- معجم الأدباء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب)، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحمويّ، تحقيق: إحسان عبَّاس، دار الغرب الإسلاميُّ، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤ هـ.
- معجم الأغلاط اللغويّة المعاصرة، محمد العدنانيُّ، مكتبة لبنان ناشرون، لبنان، الطبعة الثانية، ١٩٩٦م.
- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس الرازيّ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، القاهرة، ١٣٩٩هـ.
- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، جمال الدين عبد الله بن يوسف ابن هشام، تحقيق: د. مازن المبارك، محمد علي حمد الله، دار الفكر، دمشق، الطبعة السادسة، ١٩٨٥م.
- مفاتيح الغيب، الرازيّ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٢٠هـ.
- المفصل في صنعة الإعراب، الزمخشريّ، تحقيق: د. علي بو ملحم، مكتبة الهلال، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م.
- المقتصد في شرح الإيضاح، عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجانيّ، تحقيق: كاظم بحر المرجان، مطبوعات وزارة الإعلام العراقية- دار الرشيد، بغداد، الطبعة الأولى، ١٩٨٢م.
- المقتضب، المبرِّد، تحقيق: محمد عبد الخالق عظيمة، عالم الكتب، بيروت.
- من أسرار حروف الجرّ في الذكر الحكيم، محم الأمين الخضريُّ، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.
- نتائج الفكر في النَّحو للسُّهَيلي، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله السهيليّ، دار الكتب العلميَّة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.
- النجاة في المنطق والإلهيات، علي الحسين بن عبد الله ابن سينا، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٢م.
- نزهة الأعيُن النواظر في علم الوجوه والنظائر، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي، تحقيق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م
- النشر في القراءات العشر، شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد بن يوسف ابن الجزريِّ، تحقيق: علي محمد الضباع، المطبعة التجارية الكبرى [تصوير دار الكتاب العلميَّة]، بيروت.
- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطيّ، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة التوفيقية، مصر.

- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ابن خلكان، تحقيق: إحسان عبَّاس، دار صادر، بيروت، ١٩٩٧م.

فهرس الموضوعات

صفحة العنوان..... ١
البسملة..... ٢
المستخلص..... ٣
Abstract..... ٤
المقدمة ٥
التمهيد:..... ١٢
تعريف الحرف:..... ١٣
علامات حروف المعاني:..... ١٦
وظائف حروف المعاني: ١٨
خصائص حروف المعاني:..... ٢٠
حروف المعاني والعمل الإعرابي: ٢٢
أقسام حروف المعاني:..... ٢٢
نبذة عن الجاحظ: ٢٥
نبذة عن رسائل الجاحظ:..... ٢٥
الفصل الأوَّل: حروف المعاني المختصَّة بالأسماء في رسائل الجاحظ..... ٢٨
المبحث الأوَّل: الحروف الناسخة..... ٣٠
أوَّلًا: إنَّ المكسورة:..... ٣٢
ثانيًا: أنَّ المفتوحة: ٣٩
ثالثًا: لَيْت: ٤٦
رابعًا: لكنَّ:..... ٤٦
خامسًا: لعلَّ:..... ٥١
سادسًا: كأنَّ:..... ٥٤

سابعًا: لا النافية لجنس: ٥٦
النتائج العامة لحروف الناسخة: ٥٩
المبحث الثاني: حروف الجرّ ٦٠
أولًا: مِن: ٦٢
ثانيًا: إلى: ٦٥
ثالثًا: في: ٦٧
رابعًا: عَنْ: ٦٨
خامسًا: على: ٦٩
سادسًا: اللَّام: ٧٠
سابعًا: الكاف: ٧٣
ثامنًا: الباء: ٧٤
تاسعًا: الواو: ٧٧
عاشرًا: رُبَّ: ٧٨
النتائج العامة لحروف الجرّ: ٨١
المبحث الثالث: حروف متفرِّقة ٨٣
أوَّلًا: أل التعريف: ٨٥
ثانيًا: إذا الفجائية: ٨٦
ثالثًا: إلّا: ٨٦
رابعًا: أَمَا الاستفتاحية: ٩٣
خامسًا: أمَّا: ٩٣
سادسًا: لا العاملة عمل ليس: ٩٦
سابعًا: لولا: ٩٦

ثامنًا: ما النافية:..... ٩٨
تاسعًا: هاء التنبيه:..... ٩٩
عاشرًا: واو المعيَّة:..... ١٠٠
الحادي عشر: يا النداء:..... ١٠٠
النتائج العامة للحروف المتفرِّقة:..... ١٠٣
الفصل الثاني: حروف المعاني المختصَّة بالأفعال في رسائل الجاحظ..... ١٠٤
المبحث الأوَّل: حروف النصب..... ١٠٦
أوَّلًا: أنْ:..... ١٠٨
أوَّلًا: الظاهرة:..... ١٠٨
ثانيًا: أنْ المضمرة جوازًا:..... ١١٥
ثانيًا: أنْ المضمرة وجوبًا:..... ١١٦
أوَّلًا: لام الجحود:..... ١١٦
ثانيًا: حتّى:..... ١١٧
ثالثًا: فاء السببية:..... ١١٧
ثانيًا: لن:..... ١١٩
ثالثًا: كي:..... ١٢٠
رابعًا: إِذَنْ :..... ١٢١
النتائج العامة لحروف النصب:..... ١٢٢
المبحث الثاني: حروف الجزم والشرط..... ١٢٣
أوَّلًا: الحروف التي تجزم فعلًا واحدًا:..... ١٢٥
أوَّلًا: لا الناهية:..... ١٢٥
ثانيًا: لام الأمر:..... ١٢٦

ثالثًا: لمْ: ١٢٧
ثانيًا: حروف الشرط: ١٢٨
النتائج العامة لحروف الجزم والشرط: ١٣٦
المبحث الثالث: حروف متفرّقة ١٣٧
أوَّلًا: أَلَا: ١٣٩
ثانيًا: أنْ المصدرية: ١٣٩
ثالثًا: السين: ١٤٠
رابعًا: قد: ١٤١
خامسًا: لما: ١٤٢
سادسًا: لو: ١٤٤
سابعًا: نون التوكيد المشدَّدة: ١٤٨
ثامنًا: هلّا: ١٤٩
تاسعًا: واو الرغم: ١٤٩
النتائج العامة للحروف المتفرّقة المختصَّة بالأفعال: ١٥٠
الفصل الثالث: حروف المعاني المشتركة بين الأسماء والأفعال في رسائل الجاحظ. ١٥١
المبحث الأوَّل: حروف العطف ١٥٣
أوَّلًا: الواو: ١٥٥
ثانيًا: الفاء: ١٥٧
ثالثًا: ثمّ: ١٥٩
رابعًا: أو: ١٦٤
خامسًا: أمْ: ١٦٧
سادسًا: إمَّا: ١٦٨

سابعًا: لكنْ: ١٦٩
ثامنًا: بل: ١٦٩
تاسعًا: لا: ١٧٠
النتائج العامة لحروف العطف في رسائل الجاحظ: ١٧٢
المبحث الثاني: حروف الاستفهام ١٧٣
أولّا: الهمزة: ١٧٥
ثانيًا: هل: ١٧٨
النتائج العامة لحروف الاستفهام في رسائل الجاحظ: ١٨٢
المبحث الثالث: حروف متفرّقة ١٨٣
أوَّلًا: أنْ الزائدة: ١٨٥
ثانيًا: إنْ النافية: ١٨٦
ثالثًا: بل الابتدائية: ١٨٦
رابعًا: حتّى الابتدائية: ١٨٨
خامسًا: الفاء الاستئنافيّة: ١٨٩
سادسًا: الفاء التزيينيّة: ١٨٩
سابعًا: الفاء الزائدة: ١٩٠
ثامنًا: الفاء الداخلة على جواب الشرط: ١٩٢
أوَّلًا: الداخلة على جواب أدوات الشرط: ١٩٢
ثانيًا: الفاء الداخلة على جواب أمّا: ١٩٥
تاسعًا: الفاء الفصيحة: ١٩٦
عاشرًا: لا الزائدة: ١٩٧
الحادي عاشر: لا النافية الداخلة على الجملة الفعليّة: ١٩٩

الثاني عشر: لام الابتداء:..... ٢٠٠
الثالث عشر: لام جواب القسم: ٢٠١
الرابع عشر: لام جواب لو ولولا:..... ٢٠٣
الخامس عشر: اللَّام الموطئة للقسم:..... ٢٠٥
السادس عشر: اللَّام المزحلقة: ٢٠٦
السابع عشر: ما الكافَّة: ٢٠٦
الثامن عشر: ما غير الكافَّة:..... ٢٠٨
التاسع عشر: ما النافية الداخلة على الجملة الفعليّة:..... ٢٠٩
العشرون: نعم:..... ٢١٠
الواحد والعشرون: نون الوقاية:..... ٢١٠
الثاني والعشرون: واو الاستئناف:..... ٢١١
الثالث والعشرون: واو الحال: ٢١٢
الرابع والعشرون: واو الاعتراض:..... ٢١٤
الخامس والعشرون: الواو الزائدة: ٢١٤
السادس والعشرون: واو اللصوق:..... ٢١٥
النتائج العامة للحروف المتفرِّقة المشتركة:..... ٢١٦
الخاتمة..... ٢١٨
فهرس المصادر والمراجع..... ٢٢١
فهرس الموضوعات..... ٢٢٨